

عَلَوِيَّةُ الْيُونَانِ وَسَبِيلُ انْتِقَالِهَا إِلَى العَرَبِ



تأليف
د. لاسي أوليري

ترجمه
الدكتور وهيب كمال
راجعه
زكي عاصي



(٣٩٥)

الالف كتاب

عُلُوْمُ الْيُونَانِ
وَسَبِيلُ انْتِقَالِهَا إِلَى الْعَرَبِ

تصدر هذه السلسلة بمعاونة المجلس الأعلى
لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الالف كتاب

عُلُوْمُ الْيُونَانِ وَسَبِيلُ انْتِقَالِهَا إِلَى الْعَرَبِ

تأليف

ذِي لَاسِي أُولِيَّيْرِي

راجعه

زَكِيَّ عَلِي

ترجمه

الدكتور هيب كامل

الناشر

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع محمد با شا . بالقاهرة

١٩٦٢

هذه ترجمة لكتاب :

How Greek Science Passed to the Arabs.

تأليف

De Lacy O' Leary

المحتويات

صفحة

الفصل الأول : مقدمة ١

الفصل الثاني : الهيلينية في آسيا ٨

١ - اصطباغ سوريا بالصيغة اليونانية ٨

٢ - ولايات الحنود ١٤

٣ - إنشاء جنديسپور ١٩

٤ - دقلديانوس وقسطنطين ٢١

الفصل الثالث : تراث الإغريق ٢٢

١ - علوم الإسكندرية ٢٢

٢ - الفلسفة ٢٥

٣ - الرياضيون الإغريق ٣٧

٤ - الطب اليوناني ٤٤

الفصل الرابع : المسيحية باعتبارها عاملا في نشر الثقافة الهيلينية : ٤٧

١ - البيئة الهيلينية التي عانت فيها المسيحية ٤٧

٢ - انتشار المسيحية ٥٤

٣ - النظام الكنسي ٥٨

الفصل الخامس : النسطورة ٦٢

١ - مدرسة نصيبين الأولى ٦٢

٢ - مدرسة الرها ٦٦

٣ - المذهب النسطوري ٦٩

٤ - العصر المظلم في الكنيسة النسطورية ٨٢

٥ - حركة الإصلاح النسطوري ٨٥

(و)

صفحة

الفصل السادس : أصحاب الطبيعة الواحدة ٩٧

- ١ - نشأة مذهب الطبيعة الواحدة ٩٧
- ٢ - انشقاق أصحاب الطبيعة الواحدة ١٠٠
- ٣ - اضطهاد أصحاب الطبيعة الواحدة ١٠٦
- ٤ - تنظيم كنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة ١١٤
- ٥ - أصحاب الطبيعة الواحدة من الفرس ١٢١

الفصل السابع : الأثر الهندي الأول - الطريق البحري ١٣٠

- ١ - الطريق البحري إلى الهند ١٣٠
- ٢ - علوم الإسكندرية في الهند ١٤٢

الفصل الثامن : الأثر الهندي الثاني - الطريق البري ١٤٩

- ١ - بلخ ١٤٩
- ٢ - طريق مرو ١٥٩

الفصل التاسع : البوذية باعتبارها وسيلة من وسائل نقل العلوم اليونانية

إلى العرب ١٦٤

- ١ - ظهور البوذية ١٦٤
- ٢ - هل انتشرت البوذية غرباً ؟ ١٦٧
- ٣ - بلخ البوذية ١٧٤
- ٤ - إبراهيم بن أدهم ١٧٩

الفصل العاشر : الخلافة في دمشق ١٨٠

- ١ - فتح العرب لسوريا ١٨٠
- ٢ - أسرة سرجيوس ١٩١
- ٣ - مدن العسكر ١٩٧

الفصل الحادى عشر : الخلافة في بغداد ٢٠١

- ١ - الثورة العباسية ٢٠١
- ٢ - تأسيس بغداد ٢٠٤

(ز)

صفحة

الفصل الثاني عشر : الترجمة إلى العربية ٢١٢

١ - المترجمون الأول ٢١٢

٢ - حنين بن إسحق ٢٢٤

٣ - مترجمون آخرون ٢٢٢

٤ - ثابت بن قرة ٢٣٥

الفصل الثالث عشر : الفلاسفة العرب ٢٤١

ملاحظات ٢٤٩

ثبت بالمراجع ٢٦٧

فهرس ٢٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير المراجع

عند وفاة المرحوم الدكتور وهيب كامل فجأة منذ بضع سنين مـ. أكن قد بدأت فى مراجعة هذا الكتاب ، وبذلك أصبح له فى عتقى أكثر من واجب أوديه له بحق الزمالة والصلة القديمة التى كانت تربط بيننا . وضاعف من هذا كله مبلغ علمى بجرص الزميل الراحل على ظهور هذا الكتاب وإعداده للنشر وتطلع الكثيرين إلى إخراجه باللغة العربية . وإزاء هذا لم أدخر وسعاً فى الاضطلاع بهذه المهمة. المزدوجة من مراجعة وتنقية للترجمة مما كان بها من شوائب وإضافة عدد من التعليقات والتصويبات كان لا بد من إدخالها . وفى أداء هذه المهمة لم يكن للوقت والجهد أى حساب فى تقديرى ، وإنما كان كل همى أن يخرج الكتاب فى صورة قشبية يرضى عنها جمهرة القراء . ولعل هذا كله أكون قد وفيت الكتاب حقه .

زكى على

القاهرة فى ١٢/٢٢/١٩٦١

الفصل الأول

مقدمة

بين الحضارة والمرضى المُعدِي بعض أوجه الشبه ، فكلاهما ينتقل من جماعة إلى أخرى باللمس والاتصال ، وكلما انتشر أحدهما ، تبادر إلى أذهاننا أن نتساءل من أين جاءت العدوى ؟ وفي كلا الحالين على السواء نجد سؤالاً لا سبيل إلى الإجابة عليه وهو : أين الموطن الأصلي وهل مرجع كل مظاهر التفشي إلى مصدرٍ أصلي واحد أم إلى مصادر متعددة ، مستقل بعضها عن بعض ؟

ويوجد في تاريخ حياة المستشرق الكبير سير دينيسون روس (Sir Denison Ross) كما ديجيه بقلمه ، خطاب تلقاه من بعض المستفسرين يتضمن جملة تقول بأنه من الخير لو أننا استطعنا أن نعرف « كيف وعلى أى نحو وجد الكتاب اليونان والرومان سيبلهم إلى علم الباحثين من علماء العرب أو الفرس أو الترك »^(١) . وإن مؤلف الكتاب لا يعلق على هذا الخطاب . ولكن قد نلاحظ أن الطريق الذى سلكه الأدب اليونانى فى الانتقال إلى العرب والفرس ثم منهما إلى الترك ليس غامضاً إلى الحد الذى يلوح من هذا الخطاب ، ويمكن أن يستبين بصورة تتم عن التوكيد كما سيتضح من الصفحات التالية فيما نأمل . ولا شك أن العرف الإنجليزى الشائع هو الذى حدا بكاتب الخطاب إلى الجمع بين الكتاب اليونان والرومان على السواء . فالكتاب الرومان ، فيما يبدو ، لم يصلوا أبداً إلى أيدي العرب أو غيرهم من الشرقيين وإنما كان انتقال الثقافة القديمة على أيدي اليونان وحدهم ، ولم يكن الكتاب اليونانيون الذين تأثر بهم العالم الشرقى هم الشعراء والمؤرخون أو الخطباء ،

Sir Denison Ross, *Both Ends of the Candle*, n. d., p. 286. (١)

بل هم بوجه خاص العلماء الذين أَلَفُوا في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة ،
 أى هذا النمط من التفكير العلمى الذى لا يتبادر دائماً إلى الذهن لأول وهلة
 عندما نتحدث عن الأدب اليونانى القديم . ففى العصر الذى ورث فيه العرب
 ثقافة اليونان الأقدمين ، كان الفكر اليونانى منصرفاً إلى العلم بوجه خاص ،
 وكانت الإسكندرية قد حلت محل أثينا ، وكانت الثقافة الهيلينية ذات نزعة
 أقرب ما تكون إلى النزعة الحديثة . وهذه النزعة كانت الطابع الذى اتسمت
 به الإسكندرية وعلمائها بطريق مباشر ، ولكنها لم تكن بحال ما مقصورة
 عليها . فما كانت هذه النزعة إلا نتيجة منطقية لتأثير أرسطو الذى كان قبل
 كل شيء معنياً بدراسة الطبيعة فى أناة وصبر . وكان فى الواقع مؤسس العلم
 الحديث . على أن بنور هذه النزعة كانت كامنة ولا ريب فى الفكر السابق
 على أرسطو ، فى تأملات الفلاسفة الواعلن فى القدم فى بحوثهم عن أصل
 الكون ومنشأ سكانه ، من حيوان وإنسان . ولكن أرسطو هو الذى ابتكر
 ما يمكن تسميته بالمنهج العلمى .

وفى استهلانا لهذا البحث يجوز أن نفترض وجود ثلاثة خيوط على
 الأقل ، بينها تداخل وتشابك إلى أقصى حد ، فى المرتبة الأولى يأتى الكتاب
 اليونان المشتغلون بالمسائل العلمية الذين نقلت كتبهم إلى العربية فدرسها علماء
 العرب وكانت موضوع تعليقات وملخصات . وخط الاتصال فى مثل هذه
 الأحوال يبين . وتأتى بعد ذلك مرحلة كان فيها كتاب العرب يصلون إلى
 النتائج والمبادئ العلمية ويضيفون إليها دون أن يشيروا إلى المصادر التى
 استقوا منها ، ولكن لا سبيل إلى تفسيرها إلا بإرجاعها إلى أى مصدر يونانى
 (إسكندرى) . هذا وثمة مسائل ومشاكل كانت تثار ويتناولها العرب
 بطريقة الخاصة ولكنها لم تكن لتسنع لهم على الإطلاق لو لم يكن المفكرون
 اليونان الأقدمون قد أثاروها وهم يحاولون حل مشاكل من نوع مشاهه
 ولكنهم وصلوا إلى حل لها بطريقة مغايرة

لقد عاش الفكر اليوناني المشتغل بالعلوم ردىاً طويلاً من الزمان في العالم قبل أن يصل إلى العرب . وفي هذه الأثناء كان قد انتشر في الخارج في مختلف النواحي ، وعلى ذلك فليس من عجب أن يصل إلى العرب عن أكثر من طريق واحد . فقد وصلهم أولاً ومن أقرب السبل عن طريق المسيحيين من الكتاب والمفكرين والعلماء السورانيين ، ثم عكف العرب على المصادر اليونانية الأصلية وتعلموا منها من جديد كل ما كانوا قد عرفوه من قبل بعد أن صححوا وحققوا معلوماتهم السابقة . وهناك وسيلة أخرى غير مباشرة لانتقال العلوم اليونانية إلى العرب عن طريق الهند ، فقد برع علماء الهند في دراساتهم الرياضية والفلكية إلى حد بعيد ، ولكن براعتهم كانت على التحقيق معتمدة إلى ما أفادوه من العلم الذي استقوه أصلاً من الإسكندرية . فقد وصل هذا العلم إلى الهند عن الطريق البحري الذي كان يصل الإسكندرية بالشاطئ الشمالي الغربي من الهند . ثم كان هناك كذلك طريق آخر للوصول إلى الهند ، ويبدو أنه كان يبدأ من مملكة بلخ اليونانية وهي إحدى الدول الآسيوية التي أنشأها الإسكندر الأكبر ؛ وهو طريق برى ظل مفتوحاً لأمد طويل بين العالم اليوناني وآسيا الوسطى ، وبخاصة مدينة مرو ، ولعل هذا كان مرتبطاً بوسط بوذي كان يعمل في وقت ما على تشجيع الاتصال بين الشرق والغرب ، ولو أن البوذية بوصفها ديناً كانت في تراجع نحو الشرق الأقصى عندما وصل العرب إلى آسيا الوسطى . هذا وقد كان هناك بعض مصادر ثانوية متفرقة للعلوم اليونانية ، ولا نعرف عنها مع الأسف إلا القليل ، مثل مدينة حرّان (Harran) التي كانت مستعمرة يونانية ظلت متشبثة بوثنيتها في منطقة مسيحية ، ويغلب على الظن أنه كان لها نصيب في نقل العلوم اليونانية إلى العرب ولو في أضيق نطاق .

ولا بد أن نفهم ما يتضمنه اصطلاح لفظة « العرب » هنا من معنى واسع . فلا يقصد منها هنا تلك السلالة العربية لحماً ودماً فحسب ، بل

تشتمل على كل من خضعوا للحكم السياسى العربى واتخذوا العربية لغةً ، واعتنقوا دين العرب . ومنهم من كان كالفرس فى صدر الدولة العباسية فى القرن الثامن ، يضمم العداء للعرب ، ولكنهم عاشوا فى ظل الحكم العربى واستخدموا اللغة العربية فى كتاباتهم واعترفوا على الأقل أنهم اعتنقوا دين محمد . وإذا كان الأمر كذلك فقد ألفت بينهم وبين حكامهم العرب حياةً مشتركة ، كان من شأنها أن تصبغ آدابهم وتعليمهم ومصالحهم بوجه عام بصبغة معينة ، بل إن الأدب والدين الفارسى مع انحرافهما واتجاههما وجهة خاصة ، قد صدرا عن أصل عربى ، فإتسیر الثقافة ولا اللغة على قواعد مطابقة تمام المطابقة للأسس العنصرية . والغزو والفتح والحضارة ذات الغلبة والتفوق والمطالب الاقتصادية كثيراً ما تضطر الجماعات إلى الأخذ بلغات وثقافات جديدة ، ومع ذلك فقد كان يسود بين الجماعة التى انتظمها حكم الخليفة قدر كافٍ من التجانس يبرر اعتبارها وحدة ، ولو أن كل أعضائها لم يكونوا يدينون لنفس الخليفة . فالأمويون فى الأندلس كانوا رهن إشارة الخلفاء الحاكمين فى بغداد ، واتفق الشيعة المنشقون مع أهل السنة الصحيحة على أن إمامهم على الأرض يجب أن يكون من نسل النبی محمد ، ولو أنهم كانوا يختلفون على شخصية من يكون هذا الوريث الشرعى . والخوارج وهم ليسوا بأقل من الشيعة إمعاناً فى الشطط كان لهم خليفة خاص بهم ، يختارونه بحرية على أساس من الشورى ، وكانوا يسلكون هذا السبيل لأنهم رأوا فيه خير وسيلة متفقة مع سنة محمد .

وأهم من الاتحاد السياسى والعنصرى والدينى أن القوم الذين نطلق عليهم هنا لفظ العرب قد ساهموا بنصيب فى تاريخ ثقافى مشترك ، وشاركوا أجمعين فى التراث العلمى الذى استقوه من العالم الهيلينستى . ففى مبدأ الأمر كانت بغداد المركز الذى يلتقى فيه وتتوزع منه العلوم اليونانية من أنحاء مختلفة مثل سوريا وبلخ والهند وفارس وغيرها . ومنها كانت تنتشر هذه العلوم فى صورة عربية إلى كل الطوائف الاجتماعية التى كان الدين الإسلامى

يربطها بعضها إلى بعض . وبعد ذلك عندما حَدَّت الاضطرابات السياسية والاقتصادية من الحياة الثقافية في بغداد ، ودخلت الإمبراطورية الإسلامية في طور من التحول والانتقال أو الانحلال شديد الشبه بما حلَّ بإمبراطورية شارلمان في الغرب ، انتقلت الزعامة من بغداد إلى حلب ودمشق والقاهرة وقرطبة وسمرقند . ولكن قبل أن يقع هذا كله ، كان التراث اليوناني العلمي قد استقر وتوطد بين العرب واستهل حياة جديدة مستقلة في جو عربي . وإن التراث اليوناني الذي تلقاه العرب قد ازدهر في بيئته العربية وتطور تطوراً حقيقياً ، فهم لم يكونوا مجرد نَقْلَة له إلى من خَلَفَهُم من الأمم ، فقد طابقوا ووفقوا بين مؤلفات العلماء الإغريق والهنود في الفلك والرياضيات ، وبذلك أحرزوا تقدماً حقيقياً فيهما ؛ ويمكن أن يقال إن العرب قد اخترعوا الجبر وحساب المثلثات بشقيه المسطح والكروي ، كما أنهم كانوا مدققين في أخذ الأرصاد الفلكية وتسجيلها ، وهم لم يقتصروا على التوسع فيما تلقوه منها عن اليونان فحسب ، بل حققوا وصححوا السجلات القديمة منها . وقد فطن العرب إلى الخطأ في وصف الكون كما جاء في بطليموس . وكان « الفلك الحديث » في القرن الثالث عشر يحاول أن يصحح هذا الخطأ دون جدوى ، فلم يوفق أحدٌ إلى معرفة وجه الصواب إلا عندما جاء كوبرنيك (Copernicus) . ولم يكن المسلمون جميعهم يُقرون ما يقول به علم التنجيم فقد رأى الكثيرون أنه لما كان كل شيء بمشيئة الله ، فلا يمكن أن تجرى الحوادث طبقاً لسلطان الكواكب . وكان هذا هو الرأي السائد وبمقتضاه جرى تعديل في نظرية التنجيم في الدين الإسلامي الصحيح فلم يعد ينظر إلى الكواكب على أنها هي المسيطرة والموجهة للحوادث كما كانت في التنجيم الوثني ، بل صارت تعد مجرد أدلة تشير إلى ما قد كتبه الله من قبل . ومع ذلك فقد اعترض بعض المدققين المشتغلين بالشئون الدينية واضطر حزب التنجيم إلى إصدار مؤلفات يدافعون فيها عن علمهم ، أما اليهود فقد اعترفوا صراحة بالكواكب على أنها

« حكام » استناداً إلى ما جاء في سفر التكوين (١ ، ١٤ - ١٦) الذي يقول فيما يبدو إن الله وضع أنوار السماء ليحكم الأرض ، وقد جرى المسيحيون على نهجهم في هذا الصدد .

أما عن الطب فقد كان الأطباء العرب شغوفين بدقة الملاحظة ، وبفضل ما دونوه من ملاحظات طبية أضافوا شيئاً كثيراً إلى ما تلقوه عن اليونان ، واخترعوا بعض الآلات الجديدة وتقدموا بالعلوم الطبية في كل الفروع ما عدا الجراحة . ذلك أن الدناسة التي تصيب من يلمس جثث الموتى قد عاقت تقدم الجراحة ، ولو أن هذه الدناسة يمكن أن يحوها الغسل الأكبر . وقد شاع الاعتقاد بأن الروح لا تفارق الجسد بعد الموت مباشرة وأنها تبقى فيه مدة من الزمان ، وهذا ما جعل التشريح عملاً لارحمة ولا إنسانية فيه . وقد تعلم العرب مع ذلك ، عن أرسطو وجه التشابه بين علم وظائف الأعضاء عند الإنسان والحيوان ، وتقدموا إلى حد ما في علم التشريح المقارن . على أنه قد أصبح كثير من مؤلفات العرب في الطب كما هو في الفلك ، عديم الجدوى بفضل الاكتشافات الحديثة التي لم تدر بخلداهم على الإطلاق ، ذلك أن اكتشاف هارفي (Harvey) للدورة الدموية والمعرفة التي أصبح من اليسير الحصول عليها بفضل استخدام المجهر قد فتحت آفاقاً جديدة من الفكر ، الذي حجب جهود العرب عن العيان . ومع ذلك فقد ظل الأطباء العرب قرونًا عديدة أصحاب الصدارة في فن الطب ؛ ولما كان التقدم العلمي مطرداً فإن ما حققوه في حياتهم جعل فضلهم غير قاصر على مجرد نقل ما قام به غيرهم ، بل فيما قاموا به من تقدم جوهرى حقاً ، أتاح لهم أن يورثوا الأجيال اللاحقة أكثر مما ورثوه هم أنفسهم عن سبقهم .

وقد بلغت العلوم العربية غاية ازدهارها في جو بلاط المنصور ، فقد كان العلماء يعتمدون عادة على من يرعونهم من الأثرياء الأقوياء ، وقليلًا ما كانوا يستهونون عامة الناس ، خصوصاً وأن التفكير العلمي والتأملات الفلسفية بوجه

خاص كانت تعد جنوحاً إلى التفكير الحر في الدين . وعلى ذلك فقد عُد الفلاسفة ضرباً من أصحاب البدع والمارقين ، وفي نهاية الأمر رضى الفلاسفة أنفسهم بعض الرضى بهذا الحكم ، وأخذوا بالفكرة القائلة بأن القرآن الذى نزل على لسان الوحي يلائم الحياة الروحية السائدة بين العامة والسذج أما العلماء المستنيرين فيرون ما خفى من كلماته المسطورة ويدركون مكونات ما به من حق وصدق مما لم يروا من المصلحة أن يكشفوه للبسطاء من العامة .

وفي الوقت نفسه كان للإسلام بوجه عام حكماؤه من الراسخين في العلم والمعرفة بالفقه والسنة والشريعة والقرآن ، وكان الناس كافة يجلونهم ولا يضمنون عليهم بالتقدير الذى لم يولوه أبداً لأصحاب العلم الذين لم يهتموهم ، إلا لأن الدولة أسبغت عليهم حمايتها ورعايتها . وإن تقديرنا للدراسات العربية ليقبله كثيراً ما نذكره من أن هذه الدراسات العلمية والفلسفية كانت مقصورة على طائفة واحدة ممتازة .

الفصل الثاني

الهيلينية في آسيا

١ - اصطباغ سوريا بالصبغة الهيلينية

كيف وقعت آسيا الغربية أو ما نسميه الآن غالباً بالشرق الأدنى تحت تأثير الثقافة اليونانية ؟ ونقطة البداية هي فتح الإسكندر لفارس في سنة ٣٣١ ق . م ، فقد تحطمت المماكة الشرقية العظيمة وهي فارس التي كانت تمتد من نهر السند إلى البحر المتوسط إرباً أمام هجوم هذا الملك الذي كان حاكماً على إحدى دول الإغريق الصغيرة نسبياً . وهو شاهد من الشواهد الكثيرة التي يسوقها التاريخ للتدليل على أن الأعداد الغفيرة لا تغني إلا قليلاً إذا ما تصدت لها قوة صغيرة ولكنها حسنة التدريب . لقد أتبع الإغريق هذا الانتصار بغزو فارس فأصبحت البلاد كلها تحت سيطرتهم بالتدريج ، وفي آخر الأمر توغلوا حتى وصلوا إلى إقليم البنجاب الذي عدوه من ولايات فارس . ولم يكن من أثر هذا الفتح السياسي أن صارت البلاد المفتوحة إغريقية ، بل ظلت فارسية في ظل حكم الإغريق ، وأقام الإسكندر الجاليات الإغريقية في صورة حاميات متفرقة هنا وهناك في الأراضي التي فتحها .

ومات الإسكندر وهو لا يزال شاباً في يونية ٣٢٣ ولم يترك من وريث إلا ابناً في سن الطفولة ؛ وسرعان ما بدأ قواده يتناحرون على تركته واستمرت الحرب الأهلية بينهم إلى سنة ٣١٢ حينما رضى الزعماء المتنافسون أن يفتسموا الأسلاب فيما بينهم . وفي هذا التقسيم حصل سيلوقوس (Seleucus) على نصيبه في آسيا وهو كل مملكة فارس القديمة تقريباً . ودبت الغيرة في قلب سيلوقوس من قائد آخر هو بطلميوس الذي كانت مصر من نصيبه ؛ وكان أكثر اهتماماً بخصومته مع ملك مصر هذا منه بأمور فارس الداخلية . وقد

أسس حوالي ٣٠٠ ق . م عاصمته الجديدة أنطاكية في سوريا الغربية ، وترك الجزء الأكبر من بلاده الآسيوية في أيدي عامل له . وقد استغل أرساكيس (Arsaces) هذا الوضع وأنشأ في ٢٤٨ مملكة جديدة مستقلة هي مملكة پارثيا وكانت أصغر كثيراً من المملكة الفارسية القديمة ولكنها مع ذلك قوة كبيرة ، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت هذه المملكة تفتت على ممتلكات السلوقيين وبالتدريج أخذت ترحف شيئاً فشيئاً نحو البحر المتوسط حتى ابتلعت بلاد ما بين النهرين سنة ١٥٠ ق . م . واثكشت دولة السلوقيين فلم تزد حدودها عن نطاق سوريا إلا قليلاً . وعلى ذلك فالنفوذ الإغريقي لم يقدر له البقاء إلا في المنطقة المحيطة بالبحر المتوسط فحسب .

فلما أي حد تأغرقت سوريا في ظل الحكم الإغريقي ؟ إن خير وسيلة لتوضيح هذا هو التعرّيج على الظروف المشابهة التي كانت سائدة في مصر . وهواؤها الجاف الصافي قد احتفظ لنا بقدر كبير من وثائق العصر البطلمي ومنها نقف على مدى تأثير البلاد بالثقافة اليونانية ، في حين أن مثل هذا القدر من الوثائق نادر نسبياً في جو سوريا الرطب . إننا نعلم من ثانيا ما كان يجري في مصر أن كل الأعمال الرسمية كانت تدار باللغة اليونانية . وكان يتعين على من يتوق إلى تولى منصب حكومي أن يعرف اللغة اليونانية ؛ ولا تزال توجد الكتب المتداولة التي كانت تساعد الطموحين لتولى هذه الوظائف ، على الإلمام باللغة اليونانية . وقد بقي من الوثائق ما يدل على مبالغ التوفيق في مسعاهم . والظاهر أن المصريين وجدوا اللغة اليونانية شديدة الصعوبة ، وفي معظم الأحيان كان إتقانهم لها ناقصاً جداً ؛ فن الواضح تماماً أنها لم تصبح أبداً في حقيقة الأمر لغة البلاد ، فقد كانت اللغة المصرية تستعمل في البيت وفي الأسواق ، ولم يحاول أن يتقن اليونانية إلا من رغبوا في الحصول على الوظائف الحكومية . وحتى في المستعمرات اليونانية مثل الإسكندرية وقفط . حيث

كانت اليونانية لغة المواطنين الأحرار ، وُجدت طبقة كبيرة كانت تشغل على الأكثر حياً خاصاً بها في المدينة - لا تستعمل إلا اللغة الوطنية . فقد كان المواطنون الأحرار في المدن اليونانية يؤلفون وحدهم طبقة حاكمة ممتازة وهي في الغالب كانت تمثل أقلية . أما الأغراب ممن وفدوا للإقامة في المدينة وأفراد عامة الشعب الخاضع للحكم الأجنبي وكذلك الرقيق فلم تكن لهم حقوق على قدم المساواة مع المواطنين الأحرار . فاللغة اليونانية ، إذن ، ومعها الثقافة والعادات والدين اليوناني كانت مقصورة على الطبقة الحاكمة ، وكان لها تأثير ضئيل جداً على أهل القرى ممن كانوا يفلحون الأرض وعلى عامة الشعب المحكوم بوجه عام . ومع ذلك فكثيراً ما كان يقع التزاوج بينهم وكان البيت بوجه عام يستعمل اللغة القومية ويمنح نحو الرجوع إلى طرق المعيشة الأهلية . وينطبق هذا فيما يبدو على سوريا كذلك ؛ فقد كانت الطبقة الحاكمة في المدن الكبرى تستعمل اللغة اليونانية ، كما كان يستعملها الموظفون في طول البلاد وعرضها ، ولم تكن اللغة إلا غلالة يونانية ظل الشعب الوطني من ورائها لا نقول غير متأثر بالثقافة اليونانية ، بل كان تأثره بها في نطاق ضيق فقط .

أما اللغة المألوفة في سوريا وبلاد ما بين النهرين فكانت اللغة الآرامية وهي لغة قريبة الشبه من اللغة العبرية ولكنها ليست هي بحال من الأحوال . إن اسم آرام يعني المرتفعات وقد كانت اللغة الآرامية بوجه عام لغة المرتفعات في الشمال وفي داخلية البلاد ، أما اللغة العبرية فقد كانت مقصورة على السهول وكانت أقرب إلى الفينيقية التي كانت سائدة على الشاطئ . ولما كانت اللغة الآرامية منتشرة في منطقة واسعة الأرجاء فقد تفرعت عليها لهجات كثيرة . وفي العصور المتأخرة تطورت لهجة هامة أو مجموعة من اللهجات بين الشعب المسيحي في سوريا وبلاد ما بين النهرين وكان مركزها الرثا وأصبحت تعرف باسم اللغة السريانية . وهذه اللغة السريانية - الآرامية^(١)

(١) انظر للملاحظة الأولى الواردة في الحواشي ، عن الآرامية .

كانت الوسيلة التي انتقلت بها الثقافة اليونانية إلى شعوب الشرق الأدنى . وإن الجماعات في بلاد الشرق تقوم في أكثر الأحيان على أساس من الدين ، وما الأمم إلا جماعات موقوتة بفترة من الزمان تكونت لأغراض سياسية . أما الأديان فتؤلف جماعات لها طابع اجتماعي . تساهم في حياة ثقافية وبناء اقتصادي وأدب وفن مشترك . وكقاعدة عامة تقوم الفوارق بين أتباع الديانات المختلفة بدرجة أشد وضوحاً من تلك التي بين رعايا الدول المختلفة .

وعندما غزا البارثيون بلاد ما بين النهرين في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد كانت الدولة السلوقية متداعية ، منهكة القوى في صراعها الطويل غير المجدي من أجل السيطرة على مصر . ولكن البارثيين لم يتابعوا انتصاراتهم لأن ولاياتهم الشرقية كانت في هذا الوقت هدفاً لهجوم القبائل المغولية ، فلم يكن في وسعهم أن يستغنوا عن موارد حربية يوجهونها للغرب . ولكن قوة ثلاثة قريبة منهما كانت قادرة على الاستفادة مما ألمَّ بسوريا من ضعف ، تلك هي دولة أرمينيا في عهد الملك الطموح تيجرانيس (Tigranes) الذي غزا سوريا فعلاً سنة ٨٣ ق . م . ولكن كانت قد ظهرت في هذه الفترة قوة جديدة على شواطئ البحر المتوسط هي الجمهورية الرومانية التي لم تكن دولة فائحة غازية مثل دولة الإسكندر ، ولكنها كانت ديمقراطية اتسمت بضيق الأفق إلى حد ما وكان لها غرضان رئيسيان : أن تمارس التجارة بنجاح ، وأن تضمن السلام في أراضيها . فمن أجل السلام قام الرومان شيئاً فشيئاً بغزو إيطاليا ، ثم حاولوا أن يفرضوا ضرباً من الوصاية على سائر البلدان المحيطة بالبحر المتوسط ، وأن يقمعوا أى قوة تحاول أن تهدد سلامتها أو تجارتها . وإن الظروف هي التي أكرهت روما على أن تسلك سبيل الغزو والتوسع ، فلم تقم بها روما إلا عندما هدد الأجانب سلامتها أو تجارتها بالمنافسة التجارية كما كان الأمر مع قرطاجة أو بالقرصنة في البحار التي كانت مراكبها التجارية تمخر عبابها كما كان الحال مع مملكة بنطش (Pontus) .

إن إيطاليا - وهي شبه جزيرة طويلة ضيقة ذات شواطئ ممتدة - كانت تعتمد بالضرورة على القوة البحرية في تأمين سلامتها وفي تجارتها الخارجية ، ولو أن الناس في روما لم يعترفوا بهذا الوضع إلا في تلكؤ وتراخ . وقد فطن الناس شيئاً فشيئاً إلى أن حرية إيطاليا ورخاءها وما يتضمنه هذا من حرية روما ورخائها كانتا تعتمدان على السيطرة على البحر المتوسط ، وجعلنا من الضروري منع قيام أى دولة كبرى على شواطئه من شأنها أن تقطع المواصلات البحرية . ولقد حاول الملك السلوقي أنطيوخوس إيفانيس (Antiochus Epiphanes) إقامة دولة هذا شأنها عندما حاول في سنة ١٦٨ ق . م . أن يغزو مصر . فقد كان معسكراً أمام أسوار الإسكندرية عندما أتاه رسول من روما يحذره ويأمره بالارتداد عنها ، ففعل على مضض . لقد كانت روما ولاشك قوة هائلة ورأى السلوقيون أن من الحكمة ألا يتصلوا لها ويتحدوها . وحدث فيما بعد أن ساورت ميثريداتيس (Mithridates) السادس ملك بنطش الأطماع في تكوين إمبراطورية فاحتل آسيا الصغرى واغتال عدداً من المواطنين الرومان ثم غزا بلاد اليونان . وفي هذه الأثناء كان القرصان من أهل بنطش منتشرين في شرق البحر المتوسط ولم يكن بالرومان رغبة في التدخل في شئون الشرق السياسية ولكن هذا التصرف اضطرهم إلى التدخل ، فشنت الحرب الميثريداتية التي انتصر فيها الرومان بقيادة بومبي سنة ٨٣ ق . م (١) . وهذه الأحداث قد أقحمت روما في الصراع السياسى المعقد في البلاد التي نسميها اليوم بالشام . وفي سنة ٨١ ق . م . اضطروا إلى التماهى في سياسة التدخل عندما مات الإسكندر الثاني ملك مصر وعهد في وصيته بمملكته للشعب الرومانى .

إن سوريا لم تعد إذ ذاك منذ أمد طويل خطراً يهدد روما ، ذلك أن السيادة البارثية كانت قد انحسرت عن بلاد ما بين النهرين وسوريا إذ اضطر

(١) كان قضاء بومبي على القرصان في ٦٧ ق . م وإحرازه النصر على ميثريداتيس في ٦٦ ق . م . وصحب ذلك تسوية وتنظيمه لشئون الشرق ومنها ضم سوريا إلى أملاك روما ٦٤ ق . م (المراجع)

البارثيون إلى أن يواجهوا ما استهدفت له حدودهم الشرقية من ضغط وتهديد . وكانت سوريا تحت حكم السلوقيين المستضعفين في حالة تقرب من الفوضى . وكان سادة البلاد الحقيقيون هم القبائل العربية التي كانت أعداد كثيرة منها تجوب أرجاء البلاد وتقوم بأعمال النهب ، واستقرت قبائل أخرى في البلاد التي فتحوها وكونوا فيها دويلات عربية .

لقد كان پمبي قد فرغ لثوه من الحرب الميثريداتية عندما تبوأ أنطيوخوس الأسوي (Antiochus Asiaticus) آخر ملوك السلوقيين عرش البلاد ، وظن أن من الحكمة أن يحصل على اعتراف رسمي بمركزه من روما . وقد أجاب پمبي على طلبه هذا بأن روما لا يمكنها أن تعترف بملك ليس في مقدوره أن يجعل الأمن محيما في أرجاء بلاده ، وكان من الجلي أن الملك السلوقي لم يكن قادراً على ذلك في تلك الآونة . وعلى ذلك ضمت سوريا إلى روما في سنة ٦٥ ق . م . وأصبحت ولاية رومانية تحت إمرة والٍ كان من أولى واجباته أن يصد البارثيين عن حدود البلاد . وقرر پمبي أن يعتبر نهر الفرات حداً لسوريا . على أن الدويلات العربية التي قامت على طول حدود سوريا الشرقية قد تركت وشأنها ، وكذلك الدولة التي تعرف باسم الدولة النبطية ، ولو أن پمبي قد قاد حملة ضد سلع = البتراء (Petra) عاصمة الأنباط سنة ٦٣ ق . م . وهكذا خرجت سوريا من سلطان السلوقيين الإغريق وأصبحت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية . ولكن هذا التغيير كان قاصراً على الجانب السياسي فقط ، فلم يكن ثمة تغيير من الناحية الثقافية . ذلك أن أثر روما كان يونانياً مثلما كان أثر السلوقيين من قبل تماماً ، فقد اطردت الحياة الثقافية في سوريا وبلاد ما بين النهرين غير متأثرة بالتغيير السياسي ، وكان الرومان منذ ذلك العهد حملة لواء الثقافة اليونانية التي أثرت على الشرق الأدنى .

٢ - ولايات الحدود

لما صارت سوريا ولاية رومانية أصبحت سلامتها في أمن من العدوان المباشر من جارتها الشرقيتين وهما بارتيا وأرمينية ، ذلك أن الأسلحة الرومانية أمنت الحدود بل كانت أحياناً تجاوز الحدود مكللة بالنصر داخل أراضي الأعداء . وكان ذلك فاتحة سلسلة طويلة من الحروب دامت سبعة قرون كانت فيها الحدود كثيراً ما تتغير تبعاً لتطورات الحرب . وكان موضوع التنازع ذلك الإقليم الواقع بين دجلة وجبال لبنان فكان أحياناً يونانياً رومانياً وأحياناً بارتياً أو فارسياً ، وكان لهذه التقلبات السياسية أثرها على الحياة الثقافية في هذه المنطقة التي كانت محل النزاع .

لقد اعترف الإمبراطور أغسطس باتخاذ الفرات حداً وسمح للدويلات العربية بالبقاء دون تدخل منه في شئونها ، وسارت الأمور على هذا المنوال إلى أن تولى الإمبراطور تراچان (Trajan) الحكم ورأى أن طريق التجارة عبّر بلاد ما بين النهرين كان من الناحية العملية مغلقاً . لأن البارثيين لم يستطيعوا السيطرة على شعوب القبائل الساكنة على طول الحدود فقرر أن يمد النفوذ الروماني شرقاً وأن يهيئ للبلاد المضطربة الواقعة على الحدود ظروفًا أفضل . ولتحقيق هذه السياسة غزا بلاد ما بين النهرين في سنة ١١٥ م . وجعلها ولاية رومانية ، وفي السنة التالية غزا بارتيا وسار إلى نهر دجلة واحتل حديب (Adiabene) في شمال ما بين النهرين وجعلها ولاية باسم آشوريا ، وأخذ سلوقية (Seleucia) وهي المستعمرة اليونانية الرئيسية على نهر دجلة ، كما استولى على عاصمة البارثيين طيسفون (Ctesiphon) القريبة منها ، وتوغل إلى أن بلغ مصب دجلة ولم يثنه إلا ما بلغه من أنباء الثورة التي قامت في بلاد ما بين النهرين في مؤخرته ، فقمع هذه الثورة وأحرق سلوقية والرها ولكنه توفي في الثامن من أغسطس سنة ١١٧ م . وعلى يد خلفه هادريان انعكست

سياسته بتنازله عن بلاد ما بين النهرين وأشوريا واتخاذ الفرات من جديد حداً للإمبراطورية ؛ أما أرمينية - وكانت قد ضمت إلى الإمبراطورية - فلم تعد ولاية رومانية بل صارت دولة تابعة لها .

وما إن مات أنطونيوس پيوس (Antonius Pius) في سنة ١٦١ م . حتى غزا البارثيون أرمينية ونصبوا على عرشها أميراً من الأسرة الأرساسية ثم غزوا سوريا وهزموا الجيش الروماني فيها ، وقد اضطر الرومان لإزاء هذا أن يتحركوا ، فذهب فيروس (Verus) ، الذي كان شريكاً لمازكوس أوريليوس (Marcus Aurelius) في حكم الإمبراطورية ، إلى الشرق ليقود الجيش الروماني بنفسه سنة ١٦٢ م . وعلى الرغم مما أظهره البارثيون من عناد وإصرار في الدفاع عن نهر الفرات فإن الرومان فتحوا آخر الأمر ثغرة في صفوف الأعداء وساروا إلى أرض الجزيرة وحاصروا الرها وداوسارا (Dausara) وبلغوا نصيبين وهي الحصن الواقع على الحدود ، ثم أخذوا طيسفون قاعدة البارثيين ودكوها ، ولكن جيش الرومان الظافر رجوع ونقل معه الطاعون الذي فتك بالكثيرين . وفي نهاية هذه الحملة استولت روما على النصف الغربي من بلاد ما بين النهرين وأصبح أمير الرها تابعاً لروما وصارت بلدة حرّان مدينة حرة تحت الحماية الرومانية .

وفي سنة ١٩٤ م . قاد سبتيوس سيفيروس (Septimius Severus) جيشاً رومانياً إلى بلاد ما بين النهرين وجعلها كلها ولاية رومانية كما كانت في عهد الإمبراطور تراچان ، وأصبحت نصيبين عاصمة هذه الولاية وسمح للرّها بأن تبقى بوضعها باعتبارها إمارة تابعة . ولكن البارثيين عادوا في سنة ١٩٨ إلى مناصبة روما العداء وساروا إلى بلاد ما بين النهرين ودمروا كل شيء في طريقهم إلى أن بلغوا نصيبين فحاصروها . وكان الإمبراطور سيفيروس قد بدأ رحلة الإياب ، فرجع عندما سمع بهذه الأنباء ، وأنقذ نصيبين وسار

إلى پارثيا فاستولى على مدينة سلوقية وطيسفون التي هرب منها الملك مع نفر قليل من فرسانه ، تاركاً وراءه الكنوز الملكية غنيمة للرومان .

لقد كان لهذه الهزيمة أثرٌ بالغ على البارثيين ، وكانت السبب في الثورة التي قامت في سنة ٢١٩ و انتهت بعزل أسرة الأرساسيين وإعادة الدولة الفارسية تحت حكم الأسرة الساسانية التي ادعت الانتساب إلى الملوك الأكمينيين القدماء . وفي الشرق كثيراً ما تكون الحركات السياسية ذات طابع ديني ، فهذه الثورة الساسانية اقترنت بإحياء وإصلاح في الديانة المزدية^(١) . ففي الزمن القديم كان ملوك فارس ينتمون إلى طبقة الكهنة وكان ينظر إليهم على أنهم مؤيدون بروح علوية . ولكن الملوك البارثيين لم يكونوا من هذه الطبقة الممتازة .- ويبدو أن بعض الملوك البارثيين قد حاولوا إبان القرن الأول الميلادي أن يقوموا بحركة إصلاح ديني ، ولكن وضاعة مكانة الطبقة التي ينتمون إليها قد أحبطت مساعيهم ، فكانت الشعائر الدينية منذ ذلك الحين مهملة فتركت النار المقدسة تنطفئ^(٢) ، ذلك أن جثث القتلى كانت قد أحرقت ضد تعاليم المزدية الدينية فنجست النار^(٣) ، ثم إن شهرة طبقة الكهنة المحجوس كانت قد ساءت^(٤) ، ولا شك أن الناس تصوروا أن إرجاع الملكية القديمة نصف الإلهية من شأنه أن يجبي من جديد العظمة القومية .

كان أردشير هو الملك الساساني الذي تبوأ العرش الفارسي الجديد ، وكان من أول أعماله أن دعا إلى مجمع عام عالج الانقسامات الداخلية التي سببت ما آلت إليه الديانة المزدية من التفرق إلى فرق متعددة ، ليجعلها ديانة رسمية موطدة ، فمن جهة كانت حركة الإحياء الديني التي كانت تستكمل

(١) انظر الملاحظة الثانية في الحواشي عن الديانة الزرادشتية .

(٢) موسى الخوريفي ، تاريخ أرمينيا ج ٢ ، ٩٤ .

(٣) هيروديانوس ، ٤ ، ٣٠ .

(٤) أجاثيان-٢٦٠٢ .

عناصرها لبضعة سنين قد نضجت ، ومن ناحية أخرى جعل الملك نصب عيـنه أن يعيد مكانة بلاده الحربية ، التي تضعفت كثيراً تحت حكم الملوك الأرساسيين المتأخرين .

كان أردشير منصرفاً فيما بين ٢٢٤ - ٢٤١ إلى القضاء على أتباع الأسرة الأرساسية المعزولة ، ولكنه في هذه الفترة أرسل في سنة ٢٣٠ إلى روما متحدياً ومطالباً الإمبراطور سيفيروس^(١) بأن تُرد إلى فارس كل البلاد التي كانت تابعة له من قبل وهي سوريا وآسيا الصغرى ومصر . وفي الوقت عينه أعدّ العدة لغزو سوريا . وكان هذا التحدي بالطبع بمثابة إعلان الحرب . ولكن أردشير لم يكن في تلك الآونة قادراً على القيام بأكثر من ذلك ، لأنه لم يكن بعدُ قد حطّم بالفعل الحزب الموالي للأرساسيين ، ومات سنة ٢٤١ تاركاً الملك والحرب لابنه سابور (٢٤١ - ٢٧٢) . وقد ساعدت الحوادث التي وقعت في أرمينية على اندلاع نيران الحرب بسرعة ، ذلك أن رسلاً من قبل سابور اغتالوا خسر ملك أرمينية - وهو من أفراد الأسرة الأرساسية ، وكان الرومان هم الذين نصبوه على عرشها ، كما أن نبلاء أرمينية رفضوا تأييد سابور وأعلنوا ولاءهم للابن الأصغر لخسر واسمه تيريداتيس (Tiridates) وقد كان تحت وصاية روما . وعندئذ احتل سابور أرمينية فهرب تيريداتيس إلى الرومان ، ومن أرمينية اجتاحت الفرس أرض ما بين النهرين وكبدوشيا وسوريا حيث استولوا على أنطاكية ونهبوها ولكنهم صدوا أمام الرّها . وعندئذ زحف الإمبراطور جورديانوس (Gordianus) للملاقاة الفرس وصدّهم وحلّهم على التفهقر . وقد أعاد هذا الانتصار الحكم الروماني إلى نهر دجلة ، وتقدم بعده جورديانوس فهدّد عاصمة الفرس طيسفون ، ولكنه اغتيل سنة ٢٤٤ وعقد خليفته فيليب صلحاً

(١) تولى عرش الإمبراطورية في الفترة ما بين ١٩٣ ، ٢١١ م إمبراطور إفريقي الأصل يسمى لوكيوس سبتيموس سيفيروس وفي الفترة ما بين ٢٢٢ ، ٢٣٥ م كان الجالس على العرش يسمى ماركوس أوريليوس سيفيروس الإسكندر . (المراجع)

كانت أرمينية بمقتضاه من نصيب الفرس وكانت بلاد ما بين النهرين من نصيب روما .

واندلعت نيران الحرب من جديد سنة ٢٥٨ وكانت الإمبراطورية الرومانية يومئذ تحت حكم الإمبراطور فاليريانوس وابنه جالينوس (Gallienus) . ذلك أن سابور كرر أساليبه التي كان قد انتهجها من قبل سنة ٢٤١ وأعد فاليريانوس العدة لغزو فارس ، فاحتل كبدوشيا وتقهقر الفرس أمام جيشه ولكن الطاعون يدد قوى الجيش الروماني وأخر دخوله بلاد ما بين النهرين أكثر مما ينبغي ، فالتقى بالفرس بالقرب من الرها فيما بين ٢٥٩ ، ٢٦٠ إذ لا يمكن تحديد تاريخ هذه الموقعة بالضبط ، وهزم شر هزيمة وأسر هو وجيشه ، وظل أسيراً في يد الفرس إلى أن مات سنة ٢٦٧ . وبعد ذلك اجتاحت الفرس سوريا واستولوا على مدينة أنطاكية ونهبوها ، ولم يجدوا مقاومة إلا من رجل يدعى كالستوس (Callistus) ، نصب نفسه قائداً وأبحر بسفنه من ثغور كيليكية وذهب لنجدة پومپيوپوليس (Pompeiopolis) التي كان الفرس يحاصرونها ، فقتل بضعة آلاف منهم وأسر نساء سابور . وهذا ما حدا بسابور إلى أن يرجع مسارعاً إلى وطنه . ودفع إلى أهل الرها كل ما كان قد غنمه من الرومان لقاء السماح له باجتياز أراضيهم دون أن يتعرضوا له بسوء . وقد قوبل الفرس أثناء تراجعهم بهجوم أذينة (Odaenathus) ملك تدمر (Palmyra) وانقضاضه عليهم فتكبدوا على يديه خسائر فادحة . وبعد ذلك رفع اثنان من أقطاب الرومان هما كالستوس الذي كان قد جاء لنجدة پومپيوپوليس وماكرينوس (Macrianus) المتصرف في رواتب الجند ، راية العصيان على جالينوس بن فاليريانوس ، وناديا بولدى ماكرينوس وهما فولفيوس ماكرينوس (Fulvius Macrianus) وفولفيوس كويتوس (Fulvius Quietus) إمبراطورين سنة ٢٦١ . واعترف الناس بهذين الإمبراطورين في مصر والشرق فيما عدا تدمر التي استمرت على ولائها لجالينوس . ولكن فولفيوس ماكرينوس ذهب إلى الغرب وسقط صريعاً

فى موقعة مع مدعٍ آخر للعرش ، أما فولقيوس كويتوس فكان ضحية غده كاليستوس وانتهى بأن قتله أذينة . وهكذا وعلى غير انتظار صارت تدمر وعلى رأسها ملكها أذينة ، من العوامل الرئيسية فى سياسة الشرق الأدنى .

٣ — إنشاء جنديسابور

لقد أرسل الكثيرون من الأسرى الذين وقعوا فى أيدي الفرس من جيش فاليريانوس ليعملوا فى إنشاء الجسر الكبير أو الشادروان على نهر دجيل فيما يلى « تسر » ، ولا تزال بعض أجزاء منه باقية إلى الآن . وقد عومل هؤلاء الأسرى الذين كانوا على شئ من العلم أو المهارة الفنية معاملة كريمة . ذلك أن سابور كان يعرف فضل الرومان فى هذه الأمور وكان يؤمل أن يستخدم أمثال هؤلاء الأسرى كمهندسين أو معماريين أو أطباء أو مساحين للأرض أو ما شاكل ذلك ، فأسكن هؤلاء الأسرى المتعلمين فى ثلاث مدن سمح لهم بأن يعيشوا فيها وفقاً لقوانينهم ويتكلموا لغتهم الخاصة ويتبعوا دينهم الخاص . وكانت إحدى هذه المدن بالقرب من السوس (Susa) وهى شوشن المذكورة فى العهد القديم^(١) والى كانت إحدى مدن المقر الملكى ، وفيها كان الملك يتخذ مقامه الشتوى . إن مدينة العسكر الأمري بالقرب من السوس كانت تسمى « به لىز أنديو شافور » أى « شافور خير من أنطاكية »^(٢) أو جنديسابور أى عسكر سابور ، ولكن السوريين كانوا يسمونها بيت لايات أى بيت الهزيمة « وعلى بعد ثمانية فراسخ إلى الشمال الغربى من « تسر » توجد على الطريق إلى ديز فول (Dizful) خرائب تسمى الآن شاه أباد ، تشهد على موقع جنديسابور . وكانت جنديسابور فى عهد الساسانيين عاصمة خوزستان »^(٣) . ولما كانت السوس المقر الشتوى لملوك الفرس فإننا نجد أن

(١) دانيال ، ٢ ، ٨ ، نحميا ، ١ ، ١ ؛ إستير ، ٢ ، ١

(٢) الطبرى ، تاريخ الأمم ، الجزء الثانى ، ٦ ، ٨٦١

(٣) Le Strange, *The Lands of the Eastern Caliphs*, 236.

« كل الملوك الساسانيين الذين ورد ذكرهم حتى هرمز بن نرس عاشوا في جنديسابور في خوزستان^(١) » .

وحيث أن الأسرى كانت لهم مطلق الحرية في إتباع دينهم الخاص ، فقد تمتعوا تحت حكم الفرس بقسط من الحرية الدينية أكبر مما كان يسمح لهم به رسمياً في ذلك الوقت في الإمبراطورية الرومانية . فقد أُبيح للمسيحيين منهم بناء الكنائس وصيانتها ، في حين أن المسيحية كانت لا تزال معرضة للاضطهاد تحت حكم الرومان . وكان لهم في يارا نيشهر - وهي إحدى مدن العسكر التي خصصت للأسرى - كنيسة ، يقام القداس في إحداها باللغة اليونانية وفي الأخرى كان يجري استخدام اللغة السريانية^(٢) .

وهناك رواية مؤداها أن ديمتريانوس (Demetrianus) أسقف أنطاكية كان أحد هؤلاء الأسرى ، وأن رفاقه في الأسر طلبوا إليه أن يكون أسقفاً عليهم وأن يحتفظ بلقب أسقف أنطاكية ولكنه أبى . فنصبه البابا الجاثليق أسقفاً على جنديسابور وأعطى له المكان الأول في رسامة الجاثليق وهو اللقب الذي كان يمنح لأسقف سلوقية باعتباره رئيس الكنيسة الفارسية . ولكن هذه الرواية تستند إلى كتاب الطره *Liber Turris* لمار (Mare)^(٣) وهو كتاب من عهد متأخر جاء مليئاً بما لا يقبله العقل وبالأخطاء التاريخية^(٤) . ويبدو أن المؤلف قد افترض أن أسقف أنطاكية - ولم يكن بعدُ قد لقب بطريكاً - كان أحد أقطاب البلاط الإمبراطوري ، وهذا لا يمكن أن يكون صحيحاً تحت حكم فاليريانوس ، وأن الكنيسة في ذلك العهد المتقدم كانت منظمة أحسن تنظيم ،

(١) المسعودي ، المروج ، الجزء الثاني ، ١٧٥ .

(٢) Chron. de Séert, ed. Scher, P.O., IV, (320-1)

(٣) ص ٧

(٤) Labourt, *Le Christianisme dans l'empire Perse*, p. 20, note 1.

ففيها البطارقة وروساء الأساقفة والمطارنة وكلها تنظيمات لم تستحدث إلا بعد مجمع نيقية .

٤ — دقلديانوس وقسطنطين

لقد أهدق بالرومان بعد هزيمتهم في سنة ٢٦٠ أعداء كثيرين لم يمكنهم لفترة من الزمان من استعادة مركزهم في آسيا . وتمتعت تدمر ربحاً من الزمان بمركز ممتاز ، فقد كانت حليفة لروما ولكنها لم تكن تحت الوصاية الرومانية . وامتدت أراضيها إلى نهر الفرات وكانت تضم المعبد المشهور بالقرب من سورا (Sura) وأصبحت منذ عهد الفوضى التي سادت في أواخر أيام السلوقيين السوق الكبرى على طريق التجارة بين بلاد ما بين النهرين وسوريا ، فصارت ذات ثراء واسع واقتبست الفن اليوناني الروماني ونظام المعار ولكنها ظلت إلى حد كبير دولة شرقية . والنقوش اليونانية في تدمر نادرة ولكن كثيراً ما تضاف ترجمة يونانية للنقوش الآرامية التي تنص على قوانين عامة . وقد احتفظت تدمر بأهلها القومية واتبعت تقوياً يحسب بما يعرف باسم الشهور الآشورية .

وبعد سنة ٢٦٠ اتخذ أذينة لنفسه لقب ملك وشغل مركز نائب ملك مستقل تحت سلطان روما الأسمى إلى حد ما . وفي سنة ٢٦٤ عبر نهر الفرات وفك حصار الرها ، واسترد نصيبين وحران (Carthae) من الفرس ثم سار إلى فارس وهاجم طيسفون ، وكان أذينة في هذا الحين مستقلاً وله مركز خطير ولا يخضع للنفوذ الروماني إلا خضوعاً اسمياً . ولكنه اغتيل في ٢٦٦ - ٢٦٧ ، لا كما قيل بإيعاز من الحكومة الرومانية التي غارت منه ، بل اغتاله ابن أخيه الخائن حقدأ وحسداً .

ولما مات أذينة أدارت أرملته زينوبيا (الزباء) شئون الحكم في تدمر وكانت تدعى أنها تحكم مصر وآسيا مع أن نفوذها كان مقصوراً على سوريا وبلاد العرب في واقع الأمر .

الفصل الثالث

تراث الإغريق

١ - علوم الإسكندرية

كان من مقتضى الأحداث السياسية أن جعلت غرب آسيا خاضعاً إلى حد كبير للنفوذ الثقافي الإغريقي ، فقد كانت السيادة فيه طيلة قرون عدة للملوك سوريا من السلوقيين ، ومع أن ملوك هذه الأسرة المتأخرين كانوا عاجزين مستضعفين فإن ملوكها الأوائل لم يكونوا كذلك . وكان تصريف الشؤون العامة يجرى باللغة اليونانية . وكان على جميع من تتوق نفسه إلى المشاركة في الأعمال الإدارية أن يتعلم اليونانية ويستخدمها . وبما لا ريب فيه أن هذا الطابع الهيليني كان سطحيّاً ، ونحن على ثقة من أن ذلك هو الحال فعلاً ولكنه ترك مع ذلك أثراً باقياً . وبعد ذلك جاء الحكم الروماني فلم يجلب معه ثقافة جديدة ، وإنما دعم النفوذ الإغريقي الذي كان سائداً فيها ، ثم جاءت آخر الأمر الكنيسة المسيحية التي كانت ولا ريب أكثر نشرّاً للثقافة الإغريقية من كل من الملوك السلوقيين أو الدولة الرومانية.. وعقب عصر قسطنطين كانت الحكومة الرومانية والكنيسة المسيحية يعملان جنباً إلى جنب .

على أن الثقافة اليونانية التي وفدت إلى سوريا عن هذا الطريق لم تكن ثقافة أئينا وإنما كانت ثقافة صادرة عن الإسكندرية في مصر ، لم تكن ثقافة هيلينية صرفة بل هيلنستية أي هيلينية متأثرة بالشرق . ولا شك أن ثقافة الإسكندرية قد تطورت تطوراً طبيعياً لا مندوحة عنه من ثقافة اليونان الأولين ، ولكنها اتخذت صورة مختلفة ؛ ذلك أن الفلسفة كما نعهدا حتى عصر أفلاطون بدأت تنحو تحت لواء أرسطو إلى العلوم الطبيعية وتبلورت آنحدر المطاف في الطب والفلك والرياضيات ، فقد كانت هذه الدراسات كلها تعد

فواح من العلوم الطبيعية . وكانت الفلسفة تتناول الحقائق الكافية التي تعد هذه العاوم الفرعية صوراً منها لها تخصصها ، كما كانت تهدف إلى الوصول إلى تفسير النظام الطبيعي الذي كان يسود الاعتقاد بأنه يؤلف وحدة عظيمة . متجانسة . أما المنهج الذي يتبع في البحث للوصول إلى هذا التفسير فقد رسم بحيث يقتصر على استخدام المنطق بدقة ، وهذا يعني بالطبع أن المنطق المستعمل في العلوم كان صالحاً لعلم اللاهوت أيضاً . وهذا الفرض جعل من الكنيسة رسولا مبشراً بالثقافة العقلية اليونانية ، مثلما كانت رسولا للدين المسيحي ؟

لقد أسس الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية سنة ٣٢٣ ق . م في الموقع الذي كانت تشغله من قبل القرية المصرية راقودة (Ptochute) وقد ظل هذا الاسم علماً على الإسكندرية في اللغة المصرية القبطية الدارجة . وعندما انقسمت إمبراطورية الإسكندر بين قواده كانت مصر من نصيب بطليموس سوتير (Ptolemy Soter) وظلت في أيدي أسرة البطالمة إلى أن انتقلت إلى الرومان . واتخذ بطليموس سوتير الإسكندرية قاعدة للكهنة ، وبذل مجهودات طائلة ليجعل منها موئلاً للثقافة والعلوم اليونانية ، وأنشأ فيها الأكاديمية التي أصبحت ولما يمض على إنشائها وقت طويل بمثابة جامعة يونانية نبارى المدارس الأثينية القديمة . ويظهر أنه كان في معبد عين شمس ما يشبه مجتمعا للحكام من قبل ، وأن هؤلاء الحكماء انتقلوا إلى المؤسسة الجديدة التي ورثت بذلك حكمة قدماء المصريين . ولكن العنصر المصري قد تلاشى فيما يبدو في الجوانب اليونانية حتى أن الإسكندرية لم تكن وريثة عين شمس بقدر ما كانت وريثة أثينا ، ومع ذلك فالحيث اليوناني في الإسكندرية فقد الأصالة التي كان يمتاز بها الفكر الأثيني واتخذ طابعاً عالمياً وظهر فيه ميل ظاهر نحو الفكر الشرقي . وعلى الرغم مما كانت تدعيه الثقافة اليونانية القديمة من الأصالة ، فإنها لم تكن خالية تماماً من المؤثرات الشرقية ، ويمكن أن نرجع الكثير من مظاهر الحياة والفكر اليوناني إلى أصول مصرية وبابلية .

هذا ، وينبغي أن نلاحظ أنه بالرغم من أن الإسكندرية كانت ذات أثر بارز جداً في تطور الفكر اليوناني في العصر المتأخر ، فإن مثل هذا التطور لم يكن وقفاً عليها ، ولم يكن محلياً ، بل لم يكن قومياً أيضاً وإنما كان تطوراً عالمياً . فالمصريون أنفسهم لم يعدوا الإسكندرية أبداً جزءاً من مصر ، بل كانت دائماً بالنسبة إليهم مستعمرة يونانية ومعقلاً رئيسياً للجنس الأجنبي الذي احتل مصر وحكمها .

لقد أنشأ بطليميوس سوتير الأكاديمية وألحق بها مكتبة ولكن كرم خلفه بطليميوس فيلادلفوس (Ptolemy Philadelphus) (٢٨٥ - ٢٤٧ ق . م) هو الذي أثرى هذه المكتبة حتى أصبحت أعظم مكتبة في العالم القديم . وكانت المكتبة في حد ذاتها من أهم العوامل التي جعلت من الإسكندرية كعبة يؤمها العلماء .

إن الحياة اليونانية العالمية الجديدة التي ازدهرت بعد عهد الإسكندر كانت ذات جوانب متعددة ، فقد أنتجت نوعاً من الأدب خاصاً بها ، وأخرجت نقداً أدبياً علمياً وسارت قدماً بالفلسفة متهجة في أكثر الأحيان سبلاً جديدة ، كما أنتجت أبحاثاً جديدة في الطب والفلك والرياضيات والفروع الأخرى من العلم ، فكل هذه متداخل بعضها في بعض ، ولأنها كلها ذات منزع متماثل وكلها تتطور تطوراً طبيعياً من ثقافة اليونان القديمة . ولكن من الخير لنا على سبيل التيسير أن نقصر اهتمامنا على فروع رئيسية ثلاثة هي الفلسفة والطب والفلك والرياضيات ، باعتبار أن الفرعين الأخيرين يُعدان فرعاً واحداً ، لما بينهما من صلات وثيقة ولأن تقدمهما جاء على أيدي طائفة واحدة من العلماء .

٢ — الفلسفة

لقد كان الفيلسوف أرسطو معلماً للإسكندر ، ولكن حياته كانت أوثق اتصالاً بأثينا منها بالإسكندرية . ومع ذلك فقد تغلغل أثره في الفكر اليوناني ، وكان المستول الأول عن توجيهه نحو العلوم الطبيعية والرياضيات ولو أن هذا الاتجاه العلمي كان له سابقة في الفلسفة المتقدمة .

وآخر مذهب في الفلسفة اليونانية وهو المذهب الذي كان طاغياً على الفكر اليوناني عند ما اتصل بالعرب كان ذلك المذهب الذي يعرف باسم الأفلاطونية المحدثة . ولقد كانت هذه المدرسة الفلسفية مولعة بإرجاع أصولها إلى فيثاغوراس (٥٨٠ - ٥٠٠ ق . م . ؟) وهو شخصية تكاد تكون أسطورية ، من أهل ساموس أو صور ، وهو إذا لم يكن من تلاميذ طاليس (Thales) فقد زاره على الأقل وتأثر به . ويقال إن طاليس قد درس الرياضيات والعلوم الطبيعية في مصر ، ويقال إن فيثاغوراس نهج على منواله فذهب إلى مصر وتلقى العلم فيها عن الكهنة ، وتلقى فيما تلقى من هؤلاء الكهنة مبدأ تناسخ الأرواح^(١) ، ولما رجع إلى وطنه ساموس ، وجده تحت وطأة الطاغية بوليقراتيس (Polycrates) . وعلى ذلك هاجر إلى بلاد اليونان الكبرى (Magna Graecia) واستقر آخر المطاف في أقروطونا (Croton) وأنشأ فيها مدرسة على هيئة جماعة من الإخوان محتدياً حذو المصريين . وكانت هذه الجماعة تملك كل ما لها بطريق المشاع وتجعل كل تعاليمها سرّاً تصونه عن العالم الخارجي ، مما دعا إلى جعلها موضع الشبهات باعتبارها جمعية سرية قد تتمخض عن اتجاه سياسي انقلابي ، ولذلك لقيت الاضطهاد وفر فيثاغوراس إلى تارنتم (Tarentum) ومنها إلى ميتابونتم (Metapontum) وانحلت الجماعة.

(١) راجع هيرودوت ٢ ، ١٢٣ .

ولكنها استمرت كجمعية فلسفية مدة تقرب من قرنين من الزمان ولو أنها لم تعد تحافظ على السرية في تعاليمها . لقد كان فيلولاولوس (Philolaus) (حوالى ٤٠٠ ق . م) أول من خرق مبدأ السرية . والحق أن السرية كانت غربية تماماً عن الفكر اليونانى . وعقب القرن الرابع بعد ما كشف فيلولاولوس عن تعاليمها الخاصة ، هبطت المدرسة الفيثاغورية من عليائها . وقد اتخذت المدارس أو النوادى الفيثاغورية في بلاد اليونان الكبرى طابعاً سياسياً شديداً المعاداة للديموقراطية في نزعتة ، فقامت الثورة ضدها في فترة ما من القرن الرابع ، وأصبحت مدن بلاد اليونان الكبرى في أثنائها مسرحاً للقتل والثورات المسلحة وسائر ضروب القوضى^(١) . وإن أفلاطون ليبدى ميولا نحو الآراء الأورفية والفيثاغورية وبخاصة في بحوثه المتأخرة ، وإن الأكاديمية القديمة كانت أكثر ميلا نحو فيثاغوراس من أفلاطون . ولكن الأكاديمية الجديدة بحث نحواً مختلفاً ، وليس من الجلى إذا ما كان مبدأ خلود الروح قد جاء من مصر عن طريق وسيط فيثاغورى ، ولكن أكثر اليونان الذين قبلوا هذا المبدأ كانوا على اتصال بالمذهب الفيثاغورى .

وقامت حوالى سنة ١٠٠ ق.م حركة إحياء للمذهب الفيثاغورى ، وظهرت طائفة من الأبحاث تحت أسماء مستعارة تهدف إلى شرح تعاليم فيثاغوراس ، وتشتمل على مجموعة من الأقوال الشعرية تسمى « أشعار فيثاغوراس الذهبية » . والظاهر أن المدرسة الفيثاغورية لم تقم لها قائمة في روما أبداً . وفي هذه التعاليم الفيثاغورية بعد أن أصبحت أكثر نضوجاً كانت تعد الروح مكونة من ثلاثة عناصر : العقل والنفس والمخ ، وليس بخالد منها إلا العنصر الأول فقط ، وكانت ترى الطبيعة كلها نابضة بالحياة ، والحرارة هى التى تبعث الحياة فيها ، ولذلك تعد الشمس والكواكب آلهة باعتبارها مراكز حرارية ، ورأت في حركات الأجرام السماوية تجانساً تنظمه الأعداد ، وهى فكرة

(١) انظر بوليبيوس ٢ ، ٣٩ ؛ إسترابون ٨ ، ١٠٧ ؛ يوسين ٢٠ ، ٤٤ .

مصرية الأصل ، ولذلك كان لبعض الأعداد خواص مقدسة ، فالعدد عشرة مثلاً يمثل مجموع هرم مؤلف من أربع مراحل $1 - 2 - 3 - 4 = 10$. وتظهر من جديد هذه النظرة إلى العدد عند فيلون (Philo) والفلاسفة المتأخرين . وتعود كل هذه الآراء إلى الظهور مرة أخرى عند فلاسفة الأفلاطونية المحدثة المتأخرين الذين أثروا على العرب . لقد كانت التعاليم الفيثاغورية منذ البدء معنية بالرياضيات ، وكانت الهندسة فيها منصرفة إلى المساحة . وقد اتجه السوفسطائيون الأثينيون إلى هندسة الدائرة التي كان الفيثاغوريون قد أهملوها . ولقد كان لهذا المذهب الفيثاغورى بعد أن بُعث من جديد . تأثير عظيم على أثينا في عصرها المتأخر وعلى الإسكندرية كذلك فيما يظهر . وقد عرفت الأفلاطونية المحدثة التعاليم الفيثاغورية في صورتها المتأخرة ، فكتب فورفوروريوس (Porphyry) وجمليخا (Jamblicus) ، وكلاهما من أقطاب الأفلاطونية المحدثة ، سيرة فيثاغوراس . لقد كانت الأفلاطونية المحدثة في حد ذاتها تطوراً طبيعياً منطقياً للفكر اليوناني ولم تكن دخيلة عليه من الشرق . وكانت تنتقى ما يوافقها من آراء الفلاسفة المتقدمين ، وكذلك كان أكثر المذاهب الفلسفية المتأخرة . وجمعت مذاهب أفلاطون وأرسطو والرواقين تحت راية فيثاغوراس وبرزت في صيغتها النهائية الواضحة في تعاليم أفلوطين وتلاميذه .

لا بد أن نعدّ الفيلسوف الفيثاغورى المحدث ، نوميونيوس (Numenius) من أهل أباميا (Apamea) (حوالي ٢٦٠ - ١٨٠ ق . م) الذي نعرف تعاليمه مما ورد من كلامه في يوسيبوس (Eusebius)^(١) ومن إشارات قليلة أخرى^(٢) ، رائداً للأفلاطونية المحدثة . فكان أول فيلسوف يوناني يظهر أى تقدير للدين العبرى ، فقد وصف أفلاطون بأنه أشبه بموسى يتحدث بلهجة

(١) « مقدمة المداية » ١١ ، ١٠ ، ١٨ ، ٢٢ ، ١٥ ، ١٧

(٢) مثل فورفوروريوس كما ورد في ستوبايرس « التاريخ الكنسى » ١ ، ٨٣٦

أتيكا^(١)، وتنجلي فيه أشد الجلاء نزعته نحو التوفيق الديني على نحو ما يظهر بشكل واضح في الأفلاطونيين الجدد ولكنها ليست مقصورة عليهم ، إذ يبدو أنها نزعة كانت واسعة الانتشار في القرن الثاني وما بعده .

لقد تولدت المدرسة الأفلاطونية المحدثة عن آمونيوس ساكاس (Ammonius Saccas) أو ساكوفوروس (Saccophorus) . وقد لقب بهذا اللقب لأنه كان حملاً في شبابه ولا نعرف من حياته إلا الذنر اليسير ، والمصدر الرئيسي فيما نعرفه عنه هو ما نقله يوسيبوس^(٢) عن فورفوريوس الذي يقرر أنه كان مسيحياً من أهل الإسكندرية وتفقه في الدين على يد والديه ، ولكنه عندما بدأ يدرس الفلسفة تحول عن دينه وصار وثنياً ولو أن يوسيبوس ينكر هذا القول^(٣) ؛ وقد ذهب البعض إلى أن يوسيبوس قد خلط بينه وبين آمونيوس آخر كان معاصراً له ومن أهل الإسكندرية أيضاً وهو الذي نشر الإنجيل الرباعي (Diatessaron) الذي أثبت فيه بشاره متى ومعها الأجزاء المقابلة لها من سائر الأناجيل ، وهي أصل ما عرف فيما بعد باسم الفصول الآمونية . ويقول هيرونيموس^(٤) (Hieronymus) : إنه ألف «سفرًا لطيفاً في التوافق بين موسى وعيسى وشرح القوانين الإنجيلية» ؛ والظاهر أنه كان هناك شخصان متعاصران كلاهما من أهل الإسكندرية وكلاهما يسمى آمونيوس ، ويذهب لونجينوس (Longinus) وفورفوريوس إلى أن آمونيوس موضوع حديثنا قد كف عن تأليف أي كتب متبعاً سنة فيثاغوراس ، أما آمونيوس الآخر فقد ألف عدة كتب . وكان من بين تلاميذ آمونيوس

(١) كلمنت السكندري «الكشكول» ١ ، ٣٤٢ ، ويوسيبوس «مقدمة الهداية» ١١ ، ١٠ .

(٢) « التاريخ الكنسي » ٦ ، ١٩ ، ٧ .

(٣) المرجع السابق ٦ ، ١٩ ، ٩ .

(٤) « في مشاهير الرجال » ٥٥ .

هذا أوريجين وأفلوطين وهيرنيوس ولونجينوس الناقد وهرقل (Heracles) وأوليمبيوس (Olympius) وأنطونيوس ، على أن جميع هؤلاء قد لا يكونون تلاميذ أمونيوس نفسه . ويقول فورفوريوس إن تعاليمه بقيت سرّاً وهذه أيضاً فكرة فيثاغورية ، وأنه جعل تلاميذه يقسمون الأيمان ألا يفشوها وقد حث بهذا اليمين هيرنيوس أولاً ثم أوريجين . وكان هناك شخصان يسميان أوريجين ، أحدهما الكاتب المسيحي المشهور والآخر فيلسوف وثني وكلاهما من الإسكندرية وكانا متعاصرين . ولعل أوريجين وهرقل كانا من تلاميذ أمونيوس الآخر الذي وضع الإنجيل الرباعي . أما عن تعاليم أمونيوس فلإن هيروقليس (Hierocles) (كما ورد في فوتيوس Photius) يقول إنه حاول أن يوفق بين أفلاطون وأرسطو ، ومع ذلك فقد كان هذا هدف كل فلاسفة الإسكندرية المتأخرين . أما نيميسيوس (Nemesius) وهو أسقف أفلاطوني يحدث من أواخر القرن الرابع فيورد اقتباسين أحدهما لنومينيوس وأمونيوس والآخر لآمونيوس وحده ، وكلاهما في طبيعة الروح وصلتها بالجسد . فإذا كان حقاً أن أمونيوس لم يترك شيئاً مكتوباً فلا يمكن أن تمثل هذه الإشارات إلا المأثور عن تعاليمه . أما صلته بنومينيوس فلها مغزاها .

كان أفلوطين مصرياً من أهل ليكوپوليس أوسيوط التي تعرف الآن بأسيوط ، وقد ولد فيها حوالي سنة ٢٠٠ م^(١) . وكان يختلف إلى مدرسة الإسكندرية ولكنه لم يكن راضياً عن التعاليم التي يتلقاها فيها إلى أن اصططحه أحد أصدقائه ليتلقى العلم على أمونيوس ساكاس . وقد قرر أفلوطين عند سماع محاضراته أنه قد اهتدى إلى العلم الحق . وكان حينئذ في الثامنة والعشرين من عمره ولازم أمونيوس إحدى عشرة سنة . ولا شك أن ملازمة أفلوطين لآمونيوس كانت نقطة تحول في حياته ، فهو الذي حدد

(١) انظر يرناتيموس « حياة السوفسطائيين » صفحة ٦ ، أما سويداس تحت اسمه - فيضع

مولده في نيقوپوليس (ومعناها مدينة النصر وخطها الآن مصطفى باشا برمل الإسكندرية) .

اتجاه مذهبه . ولكن آمونيوس لم يؤلف كتباً ، ولا هو بذل أى جهد لنشر تعاليمه مفضلاً أن يعلم أشخاصاً فرادى وبشرط التزام السرية ، وكان من نتائج تعاليم آمونيوس أن صار أفلوطين شديد الرغبة في الحصول على معلومات أوفى وأدق عن معتقدات الهنود والفرس ، فقد كان احترام الفكر الشرقى والعناية به طابع المدرسة الإسكندرية ، وقد ورثه عنها الأفلاطونيون المحدثون . وقد التحق أفلوطين لإشباع رغبته هذه ، بحملة الإمبراطور جورديان إلى فارس سنة ٢٤٢ ، وهى الحملة التى باءت بالفشل وكان من نتائجها أن مات الإمبراطور ووجد أفلوطين مشقة في الوصول إلى أنطاكية سالماً ، وقد سافر منها إذ ذاك إلى روما وكان حينئذ في الأربعين من عمره ، وحاضر فيها مدة عشر سنوات وكان له فيها مريدون كثيرون كان بعضهم من أعضاء مجلس الشيوخ وبعضهم من المواطنين البارزين . ولكنه حذا حذو آمونيوس رداً طويلاً من الزمان ، فدرس لأشخاص فرادى ولم يكتب أو ينشر شيئاً ، ولكنه بدأ يكتب في سنة ٢٥٤ . وفي سنة ٢٦٣ دخل فورفوروريوس في زمرة مريديه إذ قدمه له أميليوس (Amelius) الذى كان من مريديه وظل يتلقى العلم على يديه مدة أربع وعشرين سنة ، فلأزم فورفوروريوس أستاذه أفلوطين طيلة ست سنوات ، وكان أفلوطين قد كتب واحداً وعشرين كتاباً من تأسوعياته (Enneads) عندما التقى بفورفوروريوس ، وكتب في السنوات الست التى تلازما فيها أربعاً وعشرين كتاباً أخرى ، عدها فورفوروريوس أحسن أعمال أستاذه ، وكتب تسعة كتب أخرى في المدة القصيرة الباقية من حياته ومات سنة ٢٦٩ في التاسعة والستين من عمره . لقد كان موته إبان تفشى الطاعون ولكنه لم يكن بسببه ، والظاهر أنه مرض لما حُرِم من عناية خدمه الخصوصيين الذين كان الطاعون قد أطاح بهم . فلما ألقى نفسه مريضاً اعتكف في كامبانيا (Campania) في منزل أورثه إياه أحد مريديه وهو الطبيب العربى زيثوس (Zethus) وختم حياته فيه بسلام .

وكثيراً ما كان الأفلاطونيون المحدثون فيما بعد يقرنون أنفسهم بحركة إحياء العبادات الوثنية التي نشطت يومئذٍ ، كما فعل تلميذه أميليوس ، ولكن أفلوطين نفسه ظل بمنأى عن هذا . ولقد وصلت إلينا تاسوعات أفلوطين بعد أن بَوَّها وراجعها تلميذه فورفوريوس الذى رسم لنا مع ذلك منهجاً آخر للتبويب . رتبت بمقتضاه الكتب ترتيباً تاريخياً فأصبح تطور أفلوطين الفكرى أكثر وضوحاً .

وعلى الرغم من أن أفلوطين قد تعلم فى الإسكندرية فإن تعاليمه قد اكتملت وأقيمت فى روما ، وكانت الأفلاطونية الجديدة تعتبر فى وقت ما إسكندرية فى جوهرها . ولكن هذا الاعتبار مبالغ فيه ، إن لم يكن غير صحيح من أساسه . وعلى الرغم من أن الأفلاطونية الجديدة كانت تنطوى على عناصر تظهر كذلك فى تعاليم فيلون اليهودى السكندرى كما تظهر عند الاغنوستيين الذين يبدو أنهم كانوا من أصل مصرى ، وعند كلمنت وأوريجن وهما من مسيحيي الإسكندرية . فإنها كانت فعلاً تنبت من الفلسفات السابقة عليها ما يوافقها من تعاليم ولو أنها تزعم أنها كانت أفلاطونية . أما ما يظهر فى تعاليمها من التوفيق الدينى فقريب مما نجده عند بلوتارخوس (Plutarchus) ومكسيموس (Maximus) من أهل صور ويبدو أنه كان مستفيضاً على نطاق واسع فى هذا العصر .

إن الجوهر الفرد (Monad) يتمثل فى تعاليم أفلوطين على أنه الإله الأسمى والمصدر الأول لكل خير ونظام . والله موجود ولكنه فى الوقت نفسه غير محدود ، ويوجد بين الله والعالم عالم من الأرواح ، وهو الخالق وليس عمله كله خيراً محضاً أو نظاماً محضاً ، أما عالم الظواهر نفسه فغير مادى ولا استقرار له . وهذا القول يشبه تماماً موقف الغنوسية من مشكلة الشر . فالخالق الذى ينبئ عمله مشوباً بنقص واضح ما هو إلا تابع لله وليس بالإله الأسمى ، ومن ثم فهو غير كامل . ويمكن تبصيل المعرفة بالإدراك

الحسى وبلاستدلال من الإدراك الحسى : أما أسمى مراتب المعرفة فتتلقاها بالإحاطة المباشر .

إن الأفلاطونية المحدثة في جوهرها هي مذهب أفلوطين كما يتجلى في التاسوعيات ولو أن خلفاءه قد أضافوا وزادوا عليها . ولقد كان لها تأثير قوى على العالم اليوناني الروماني طيلة قرون عديدة : وقد انتشر تداول الكتب ٤ - ٦ من التاسوعيات في ترجمة سريانية مختصرة بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية وخصوصاً أصحاب الطبيعة الواحدة باسم « لاهوت أرسططاليس » وقد قبلها علماء بغداد الأوائل قبل عصر الكندي على أنها أرسططاليسية حقّة . وظلت مقبولة على هذا الاعتبار مدة طويلة بعد الكندي . ومن السهل أن نرى كيف أن هذه المادة قد ساهمت في خلق طابع الفكر الحلولى والصوفى الذى يتجلى في الفلسفة الإسلامية .

وفورفوروريوس (الذى ولد سنة ٢٣٣ ومات بعد سنة ٣٠١) كان سورياً وكان اسمه الأصلي مانحوس ومعناها «ملك» أو «ملكى» وغيره بناء على نصيحة معلميه إلى «باسيليوس»^(١) ثم إلى فورفوروريوس : وقد درس في أثينا على لونيچينوس ، تلميذ آمونيوس ثم في روما من سنة ٢٦٣ على أفلوطين . وبعد أن زار صقلية رجع إلى روما وألقى محاضرات استعرض فيها فلسفة أفلوطين وتزوج من مارسيللا (Marcella) وهي أرملة أحد أصدقائه بقصد تعليم أولادها فحسب . وكانت بعض الفرق قد أخرجت في هذا الوقت كتباً منحوّلة عن الوحي ، أرجعوها إلى مختلف الأئمة العظام في العالم القديم ، وقد تورط فورفوروريوس في مجادلة بعض هذه الفرق وبخاصة في نقد كتاب نشر تحت اسم زوسيموس (Zosimus) يهدف إلى عرض معتقدات الفرس الدينية . ويبيّن أن

(١) باسيلوس كلمة يونانية معناها ملك . (المراجع)

الكتاب ملفق حديث : وطبق لتحقيق غرضه مبادئ سليمة في النقد :
وقد قاده هذا البحث إلى مجادلة المسيحيين ؛ وقد ظل المسيحيون قرونًا
عديدة يعدون كتاباته أعنف هجوم على العقيدة المسيحية ولم تبق من
أعماله في هذا المجال إلا قطع اقتبسها الكتاب المدافعون عن المسيحية ،
والظاهر أنه كان يعالج الموضوع بطريقة النقد التاريخي الذي كان قد
تطور من قبل وارتقى في مدرسة الإسكندرية . وفي مبحث له في
« كهف الحوريات » (De antro nympharum) طبق طريقة التفسير
الرمزي على قصة زيارة أوديسيوس لكهف الحوريات في هوميروس
(الأوديسية ١٣ ، ١٠٨ - ١١٢) . لقد كان فورفوريوس يمتاز ككاتب
ابنظر ثاقب في فهم معنى الأثر الأدبي الذي ينتقده ، وكانت طريقته في تقرير
هذا المعنى في غاية من العذوبة . وقد ظل كتابه « الايساغوجي »
أو المدخل إلى مقولات أرسطو مستعملًا قرونًا عدة في الشرق والغرب
باعتباره أوضح المتون للمنطق الأرسطاليسي ، والحق أن الفضل في انتشار
المنطق الأرسطاليسي يرجع إلى حد كبير إلى براعة عرضه في الايساغوجي ،
أما كتابة « الكلمات » (Sententiae) فيمثل شرحه لأفلاطون وقد جاء في
عبارة سلسة ولكنه كثير العناية بتعاليمه الأخلاقية . وكتب تاريخًا للفلسفة ،
ولا شك أن كتابه الباقي بين أيدينا في « سيرة فيثاغوراس » كان جزءًا
منه . وكان فرفوريوس مثل الكثيرين من الأفلاطونيين المحدثين نباتيًا
متقشفًا . وهذا مما يتفق مع المأثور عن فيثاغوراس كما يبدو من حياة
أبولونيوس (Apollonius) من أهل تيانا (Tyana) وهو مصلح ديني
وأخلاقي من القرن الأول ، ويتناول أحد كتبه في الامتناع عن اللحوم
(de abstinentia) مثله الأعلى في التقشف . وهو لا يوصي كافة الناس
بالامتناع عن اللحم ويقرر أن الامتناع لا يصلح للجند وأبطال الرياضة .
ولكنه يوصي به المشتغلين بالفلسفة وهو لا يقر تضحية الحيوان ويعتبرها

من بقايا العهد الذى كان الناس فيه فاسدى الرأى فى الآلهة ، وشبهه بالتضحية الآدمية التى انقضت منذ عهد هادريان . وكان يعتقد أن التضحية بالحيوان لا تعدو أن تكون فى كثير من الأحيان بدلاً من التضحية بالإنسان التى كانت سائدة من قبل . والحيوان قسط من العقل ولذلك له قسط من الحقوق وهو لا يحيا من أجل خدمة الإنسان فحسب . وقد كان الامتناع عن أكل اللحوم من عادة متصوفة اليهود وكهنة المصريين وطائفة السارمانوى الهنود ويعنى بهم الكهنة البوذيين . وقد حصل على معلومات عنهم من الكاتب السورى ابن ديسان الذى كان على اتصال ببعثة هندية فى طريقها إلى روما^(١) . وهو يرفض عقيدة تناسخ الأرواح التى جعلت المذهب الفيثاغورى موضع سخرة الكثيرين . وألف أيضاً كتاباً عديدة فى علم النفس والرياضيات .

كان يملixa (Jamblichus) (المتوفى حوالى عام ٣٢٠) من أهل سوريا الخالية (سهل البقاع) وكان تلميذاً لفورفورىوس فى روما وخلفه كرئيس لأفلاطونيين المحدثين . وقد نسب الناس له قوى خارقة وقيل إنه كان أثناء تعبده يرتفع فى الهواء وتتغير صورته . وقد سأله تلاميذه عن صحة هذه الواقعة فضحك وقال إن القصة عارية عن الصدق تماماً . وهو أضعف من فورفورىوس ككاتب وفى أسلوبه عيوب . وكثيراً ما يكون غامضاً ولكن الإمبراطور جوليان كان يعده قريباً لأفلاطون إذ يقول « هو منكر يأتى بعد أفلاطون فى التاريخ ولكنه لا يأتى بعده فى العبقرية ، إلى أعنى يملixa من أهل خالقيس^(٢) » . ويبدو أنه كان فى وقت ما ذائع الصيت وكتب بحثاً أرجع فيه الفلسفة إلى فيثاغوراس وقد بقى منه أجزاء تشتمل على سيرة فيثاغوراس . أما كتابه «الكلمة المستنظمة» (Logos Protrepticos) فهو حوض على الأخذ بالفلسفة ويتألف من مقتطفات من أفلاطون وأرسطو والفلاسفة

(١) فورفورىوس . « فى الامتناع » ٤ ، ١٨ ا

(٢) جوليان ، الخطب ٤ « فى الملك الشمس » ١٤٦ ا .

الأفلاطونيين المحدثين ، وقد ألف إلى جانب هذه الكتب ثلاثة مباحث رياضية .

وعند موت يملیخا سنة ٣٣٠ تشتت مدرسته وظهر له خلف في شخص أیدیسوس (Aedisius) من أهل برجاموم (فرغانة) في ميسيا (Mysia) وهو الذي علم أبناء يوستاثيوس (Eustathius) وهو سرى روماني بعث في سفارة إلى البلاط الفارسي . وكانت الإمبراطورية الرومانية يومئذ قد اعتنقت المسيحية وكان على الفلاسفة الذين ظلوا متمسكين بالوثنية أن يحتفظوا بميولهم الدينية سرّاً . وكان من بين تلاميذ أیدیسوس الإمبراطور جوليان الذي حاول أن يحيى الوثنية المتداعية ولكن لم يكن لمحاولته هذه من أثر مقيم . لقد انعقدت الآمال الكبار للطائفة الوثنية على الأفلاطونيين المحدثين ، وفي مستهل القرن الخامس نشرت هيپاثيا (Hypathia) (التي قتلت سنة ٤١٥) شرحاً للنظريات الأفلاطونية المحدثّة في الإسكندرية ، ولكن الفكر السكندري لم يكن على الأكثر شديد التعلق بالأفلاطونية المحدثّة . وقد استمرت هذه التعاليم نفسها بعد هيپاثيا على يد هيروكليس (Hierocles) (حوالي ٤١٥-٤٥٠) وهو تلميذ بلوتارخوس من أهل أثينا (توفي ٤٨١) وهو الذي كان مسئولاً فيما يبدو عن إدخال الأفلاطونية المحدثّة إلى أثينا التي أصبحت منذ ذلك التاريخ موئلاً لها ، وخلف بلوتارخوس في أثينا سيريانوس (Syrianus) وهو من أهل الإسكندرية وجاء من بعده پروقليس (Proclus) (٤١٠ - ٤٨٥) وهو من أهل القسطنطينية وقد تلقى علومه في الإسكندرية ثم أكملها بعد ذلك في أثينا على يد بلوتارخوس وسيريانوس . وهو صاحب رسالة في «الإلهيات الأفلاطونية» وله بحث آخر يسمى «العناصر اللاهوتية» وهو يحتوي على بيان لمذهب أفلوطين في صورة معدلة بحيث مد الأفلاطونيين المحدثين بآرائهم الفلسفية ، ولذلك يأتي پروقليس في المرتبة التالية بعد أفلوطين باعتباره حجة في مذهب الأفلاطونية المحدثّة . وفي هذا الوقت كانت مدرسة أثينا ، موئل الأفلاطونية

انخذثة . وثنية سرا . وكانت تحس بأن التسامح الذى تتمتع به تكتشفه
انصباب ولا دوام له . وقد كتب مارينوس (Marinus) وهو أحد
تلاميذه سيرته .

وكن آخر رئيس للأكاديمية فى أثينا هو الدمشقي (Damascius) وهو من
أهل دمشق كما يدل عليه اسمه ، ولكنه تلقى العلم فى الإسكندرية ثم فى أثينا ،
وقد صرح بأداء يقبل النظرية الأرسطالية فى خلود المادة معارضا بذلك العقيدة
المسيحية المسلم بها فى خلق العالم . ولذلك لم يكن الإمبراطور جستنيان (يوستنيانوس)
ينظر إليه بعين الرضا . ولكن هذا الموقف لا يعدو أن يكون ذروة العداوة المتزايدة
التي استشعرها أقطاب الإمبراطورية نحو ما أحسوا به من شعور سائد وميل
بأن هذا مهد الوثنية . لقد كان مثل جستنيان الأعلى أن تتوافر له إمبراطورية
مركزة موحدة على اتفاق تام مع إمبراطورها وحاكمها فى الدين وفى كل شيء
آخر . وقد أدى هذا الاستنكار بصورة رسمية إلى نوع من الاضطهاد لكل
الفلاسفة فى سنة ٥٢٨ ، وفى السنة التالية أغلقت مدرسة أثينا وصودرت
الأموال المرصودة عايتها ، فهاجر سبعة من الفلاسفة المحرومين من مواردهم
وكان من بينهم الدمشقي ، إلى فارس فرحب بهم كسرى ، إذ كان شديد
الإعجاب بالفلسفة والعلم الإغريقي . ويبدو أن هذه الهجرة تمت سنة ٥٣٢ ،
وقد كان الفلاسفة السبعة يأملون أن يجدوا دولة مثالية تحت حكم ملك
فينسوف ولكن سرعان ما خاب أملهم وعرفوا أن الطغيان الشرقى يمكن أن
يكون أسوأ من قسوة جستنيان ، فالتمسوا أن يسمح لهم بالرجوع ، وقد حاول
كسرى أن يحملهم على البقاء ولكنه لم يقصرهم عليه قسراً . فلما رجعوا فعلا
احتاط فأضاف إلى معاملته مع جستنيان شرطاً يضمن لهم حرية الضمير
المطلقة وعدم التعرض للأذى طالما كانوا فى ظل الحكم الرومانى . وكان
رجوعهم هذا فى سنة ٥٣٣ .

وعلى الرغم من أن مدرسة أثينا كانت قد أغلقت ، فإن الفلاسفة الذين

تخرجوا فيها ظلوا يحاضرون ووضعوهم وتلاميذهم أيضاً تأليف مكتوبة ، ومن أظهر هؤلاء المتأخرين من الأفلاطونيين المحدثين آمونيوس (Ammonius) ويوحنا فيلويونوس (Philoponus) . أما آمونيوس فكان تلميذاً لپروقلس ووضع تفسيراً وشرحاً لإيساغوجي فورفوريوس . وقد أصبح هذا الشرح المرجع اليوناني المعتمد ، وقد أخذ به فيما بعد النسطوريون . وأما يوحنا فيلويونوس (حوالي ٥٣٠) وهو تلميذ آمونيوس فقد كان من شراح الإيساغوجي المتأخرين . وكان أصحاب الطبيعة الواحدة يفضلون شرحه .

٣ - الرياضيون الإغريق

لقد كان لشهرة إقليدس (عاش قبيل ٣٠٠ ق . م) وهو أحد علماء الإسكندرية الأوائل ، فضل كبير في جعل المتحف موثلاً للدراسات الرياضية . ويحتوى أهم كتبه وهو « العناصر » على كثير مما لم يكن أصيلاً على الأرجح ، ولكنه مع ذلك عظيم الفائدة باعتبار ما خصه للمعلومات الهندسية التي حصلها اليونان من أيام فيثاغوراس إلى عهده . وقد نسقها وبوَّها في تسلسل منطقي وهي طريقة نموذجية في العرض ولو أنها أكثر جوداً مما نعهده في الرياضيين المحدثين . وقد عُزيت إليه أعمال أخرى بعضها مشكوك فيه ، ومنها مقالة في البصريات قد تكون منحوالة ولكن العرب استعملوها .

كان أريستارخوس (المتوفى حوالي ٢٣٠ ق . م) من أهل ساموس وهو فلكي ومعلم في الإسكندرية وهو أول من بيَّن كيف نهتدى عن طريق المثلث الفيثاغوري إلى النسبة بين بعدى الشمس والقمر عن الأرض . على أن نتائجه لم تكن صحيحة ولو على وجه التقريب لعبوب في الآلات التي استعملها ، وهو الذي زعم أن الشمس لا الأرض هي مركز الكون وهي النظرية التي أثبتها كوبرنيك (Copernicus) في القرن السادس عشر الميلادي . ولم يشايحه في زعمه هذا الكثيرون فما يبدو . ولكن زعمه هذا لم ينس

كلية فقد ذكره البيروني (حوالي ١٠٠٠ م) ولكنه لم يأخذ به .

وكان إراتوستينيس (Eratosthenes) (المتوفى حوالي ١٩٤ ق. م.) عالماً من علماء الإسكندرية الممتازين . وهو إمام الجغرافيين في العالم القديم : وقد ابتكر طريقة لقياس محيط الأرض وقطرها ، وهي نفس الطريقة التي طبّقها فيما بعد الخليفة المأمون سنة ٨٢٩ وأعيد تطبيقها بعد ذلك بسترات قديمة . فقد لاحظ إراتوستينيس أن الشمس تكون عمودية تماماً في منتصف النهار عند سيني (أسوان) ولكنها في الوقت نفسه تكون في الإسكندرية على $٧٠١٢'$ (سبع درجات واثنى عشرة دقيقة) جنوب السمّ ، وقد استنتج من ذلك أن الإسكندرية على $٧٠١٢'$ شمال أسوان على سطح الأرض . وحيث أنه كان يعلم أن المسافة بين هذين الموضعين كانت ٥٠٠٠ ستاديات^(١) وحيث أن $٧٠١٢'$ هي عبارة عن $\frac{1}{160}$ من الدائرة الكاملة المؤلفّة من ٣٦٠° فقد حسب أن محيط الأرض لابد أن يكون ٥٠×٥٠٠٠ ستاديات وهو يساوي ٢٥٠.٠٠٠ ستاديات ولكنه غير هذا الرقم إلى ٢٥٢.٠٠٠ ستاديات حتى يجعل طول الدرجة الواحدة ٧٠٠ ستاديات بالضبط . ومن هنا حسب أن قطر الأرض يساوي ٧٨٥٠ ميلاً بأطوالنا الراهنة . وهو حساب صحيح في حدود خمسين ميلاً تحت العجز والزيادة . وقد ذهب أيضاً إلى أن البعد بين المدارين هو $\frac{1}{160}$ أحد عشر من ثلاثة وثمانين جزءاً من محيط الأرض ، فجعل بذلك درجة الميل المداري ألا وهو انحراف سمّ الشمس $٢٠' ٥٦'' ٢٣''$ أي ثلاثاً وعشرين درجة وإحدى وخمسين دقيقة وعشرين ثانية .

لم يكن أرشميدس (Archimedes) (المتوفى سنة ٢١٢ ق. م.) وهو صديق

(١) stadium وباللغوية stadion - مقياس تقاس به المسافات عند اليونان وهو
فلوة وطوله ٢٠٠ ياردة (المراجع)

إراتوستينس متصلاً بالإسكندرية اتصالاً مباشراً . ولكن العرب عرفوا أبحاثه وخصوصاً في الميكانيكا واستعملوها .

و درس أبولونيوس (Apollonius) (حوالى ٢٢٥ ق . م) وهو من أهل پرجا (Perga) ، فى الإسكندرية وتوفر على دراسة القطاعات المخروطية ، واستعمل الاصطلاحات : قطع أهليلجى (أوناقص) وقطع مكافئ وقطع زائد ، وقد وقع السفر الذى تناول فيه هذا الموضوع فى ثمانية كتب لا تزال الأربعة الأولى منها باقية فى اليونانية ، أما الثلاثة التى تليها فباقية فى الترجمة العربية . وقد ضاع الكتاب الأخير منه . والكتب الأربعة الأولى شأنها شأن « عناصر » إقليدس ، فهى عبارة عن مجموعة المعلومات المعروفة إلى عهدنا ، وقد بُوِّت فى نسق علمى سليم ، أما الكتب من ٥ إلى ٧ فتحوى على قدر كبير من المعلومات التى ترجع إلى أبحاثه الخاصة . وقد وضع أبولونيوس أسفاراً أخرى فى الهندسة .

وكان نيقوميديس (Nicomedes) (حوالى ١٨٠ ق . م) مؤلفاً صغير الشأن وهو يعرف باعتباره مكتشف المنحنى اللولبي الذى يمكن بوساطته تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية .

وقد اكتشف ديوقليس (Diocles) (حوالى ١٨٠ ق . م) المنحنى اللولبي الشكل الذى يمكن بوساطته تضعيف المكعب ، ودرس المشكلة التى أثارها أرشميدس فى شطر الكرة بمستوى بحيث يكون حيزا الشطرين بنسبة معينة .

ولعل هيبسيكلبس (Hypsicles) (حوالى ١٨٠ ق . م) وهو من الإسكندرية كان مؤلف الكتاب الذى يعرف باسم كتاب إقليدس الرابع عشر وهو يحتوى على سبعة فروض فى الجسم الكثير الأضلاع المنتظم . وقد بحث أيضاً الأعداد الدائرية وبعض المعادلات غير المعينة ، أما فى الفلك

فقد أدخل تقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة وتقسيمها إلى أقسام ستينية من بعد ، ولو أنه أخذ هذا التقسيم من مؤلفات الفلكيين البابليين . ولقد ترجم قسطنطين لوقا كُتُب هيبسيكليس إلى العربية وراجعها الكندي فيما بعد .

ولم يكن هيارخوس (Hipparchus) (المتوفى حوالى ١٢٥ ق . م) متصلاً بالإسكندرية اتصالاً مباشراً ، فقد كان يشتغل على الخصوص فى رودس . وهو الذى وضع علم الفلك على الطريقة العلمية التى كان لابد فيها من قياس الزوايا والأبعاد على الكرويات . وقد وضع بعمله هذا أساس علم حساب المثلثات الكروى ، وقد اكتشف جدولاً للأوتار والجيوب المزدوجة لنصف الزاوية ، وظلت هذه مستعملة إلى أن أدخل العرب النظام الهندى فى الحساب بالجيوب . أما حساب المثلثات على السطوح فلم يظهر إلا فيما بعد . وقد وضع أيضاً ثبناً يشتمل على ٨٥٠ كوكباً ثابتاً وقد كان هذا الثبنت إيداناً بظهور علم الفلك الحقيقى .

أما هيرون (Heron) (حوالى ٥٠ م) السكندرى فقد اكتشف آلات كثيرة وألف فى علم العدسات والميكانيكا وخواص الهواء والريح ، وقد كان قسط كبير من بحوثه الرياضية متعلقاً بعلم المساحة . وقد أتى بقاعدة لأضلاع المثلث يمكن تفصيلها على النحو الآتى :-

$$1 = \sqrt{s(s-a)(s-b)(s-c)}$$

مع العلم بأن $s = 1 + b + c$

وفى هندسته تظهر القاعدة التى نعبر عنها هكذا :-

$$c = \frac{180}{11} \times \frac{1}{2}$$

وفى ن = عدد أضلاع المضلع المكون من مساحة ١ والمضلع س

$$\frac{1}{2} = \text{ج}$$

وقد تمكن من حل المعادلات التي نرملها ب

$$1 \text{ ك}^2 + 2 \text{ ك} = \text{ح}$$

وقد قام قسطابن لوقا بترجمة أحد مؤلفات هيرون إلى العربية.
(الميكانيكا).

وكتب مينالاوس (Menelaus) (حوالي ١٠٠ م) عن الكريات وحساب
المثلثات الكروية كما كتب ستة كتب في حساب الأوتار. وهويذكر النظرية القائلة
بأنه إذا قطع خط مستقيم أضلاع المثلث الثلاثة فإن حاصل ضرب أطوال
الأجزاء الثلاثة غير المتقابلة يساوي حاصل ضرب أطوال الثلاثة الأخر. ولم
يكن مينالاوس متصلاً اتصالاً مباشراً بالإسكندرية، ولكن المعروف أنه قام
ببعض الأرصاد الفلكية في روما.

ولم يكن نيقوماخوس (Nicomachus) (حوالي ١٠٠ م) هو الآخر متصلاً
بالإسكندرية اتصالاً مباشراً. وقد كتب بحثاً في الموسيقى وكتابين في الحساب،
ولعلهما كانا اختصاراً لكتاب كبير ضاع الآن.

وكان مارينوس (Marinus) (حوالي ١٠٠ م) من أهل صور، وهو
جغرافي نفح طرق هيبارخوس وعيّن مواقع الأماكن باستعمال خطين
مساعدين من خطوط الطول والعرض، ولكن كتابه لم يصل إلينا، ولا شك
في أن كتاب بطلميوس قد تضمن أكثره.

وقد قام كلوديوس بطلميوس (حوالي ١٤٠ - ١٦٠ م) بالتعليم في كل
من أثينا والإسكندرية. وكان كتابه الأول يعرف باسم «الكتاب الأول من
المجموعة الرياضية»: Μαθηματικῆς συντάξεως βιβλίον πρῶτον وكتب

مجموعة أخرى سماها $\sigma\iota\upsilon\tau\alpha\iota\epsilon\iota$ ولذلك سمي العرب المجموعة الأولى $\tau\alpha\iota\iota\upsilon\sigma\tau\alpha\iota$ «مجسطى» وأضافوا إليها أداة التعريف العربية فصارت «المجسطى» ، وهي تشتمل على مختصر لكل ما سبقه من أبحاث في حجم الأرض وتحديد بعض الأماكن بالضبط . وقد أدخل تحسيناً آخر على جداول هيبارخوس عن الأوتار وتوسع في استعمال الكسور الستينية . وقد قورن كتابه عن جدارة بكتاب إقليدس في الهندسة لأنه يعطينا مختصراً ميوياً تبويماً منطقياً لكل ما سبقه من معارف : وزاد في ثبت هيبارخوس المحتوى على ٨٥٠ كوكباً فبلغت ١٠٢٢ كوكباً . وفي دراسته الفلكية كان يعتبر الأرض مركز الكون ووضع نظاماً معتدلاً من الدورات واللامركزيات والمركزيات ليفسر حركة الأجرام السماوية . والظاهر أن هذا النظام كان صحيحاً إلى حد ما ، ثم اكتشف فلكيو العرب أنه لا يصلح وبدلوا الجهود لإصلاحه . وأحسن ما نعرف من هذه المحاولات كتاب «الفلك الجديد» الذي ظهر في الأندلس في القرن الحادي عشر . ولكن هذه التنقيحات لم تأت بنتيجة مرضية إلا عندما أعيد النظر في النظام كله بعد أن أثبت كوبرنيك أن الشمس هي مركز الكون وأن الأرض وغيرها من الكواكب السيارة تدور حولها . وقد ألف بطليموس أيضاً كتاباً في التنجيم يسمى «الكتب الأربعة» (Tetrabiblos) وقد كان له تأثير عظيم على الفكر العربي . وقد ترجم يوسف الحجاج قدراً كبيراً من مؤلفاته إلى العربية .

وقد ترجم أبو يحيى البطريق «الكتب الأربعة» . أما جغرافيته فكانت أساس كتاب الخوارزمي «كتاب صورة الأرض» الذي وضع فيه خرائط بطليموس بطريقة معدلة .

كان ديوفانتس (Diophantus) (حوالي ٢٥٠ م) من أهل الإسكندرية ، وألف سفرًا في الحساب في ثلاثة عشر كتاباً بقي منها ستة . كما وضع بحثاً في الأعداد الدائرة ، لم يبق إلا شذرات منه . ووضع مجموعة من القضايا

الحسابية سماها « الفروض » . ويتناول كتابه الأول نظرية الأعداد ويشتمل على حل جبرى لمسائل حسابية . ولا يعتبر في حل المعادلات المعينة إلا جذراً واحداً فقط حتى ولو كان كل من الجذرين موجباً . وقد تناول أيضاً بعض المعادلات غير المعينة ، وشرح المعادلات المهمة . ولم يكن هو مخترع الجبر على وجه التحديد ، ولكنه مهد السبيل إليه بأن تناول الحساب بطريقة مهدت إلى الجبر . وقد كان لعمله هذا تأثير على الرياضيين من الهنود والعرب كليهما ، ولكن لا الهنود ولا العرب اقتفوا آثاره بخطوات الواثق الذى يسلك نفس السبيل الذى طرقه هو . وإذن فلم يستغل نهجه إلا عندما أعيد كشف كتابه في أوروبا في القرن السادس عشر ، فهو إذن واضع أساس علم الجبر الحديث .

وأما پاپوس (Papus) (حوالى ٣٠٠ م) الإسكندري فقد ألف ثمانية « كتب في المجموعات الرياضية » . وقد ضاع منها الكتابان الأولان وبقيت الستة الأخرى . فأما أول هذه الكتب الستة وهو الكتاب الثالث فيبحث في النسبة والأجرام المفرغة وتضعيف المكعب ويبحث الكتاب الرابع في الحلزونات وغيرها من المنحنيات المستوية ، ويتناول الكتاب الخامس الأشكال القعسوى وذات المحيطات المتساوية ، ويتناول السادس الكرة والسابع التحليل والثامن الميكانيكا .

وهيپاثيا (Hypathia) (كانت وفاتها حوالى ٤١٥ م) من أهل الإسكندرية وهى ابنة الرياضى ثيون . ويقال إنها كتبت تفسيراً لبحول ديوفانتس الفلكى ، ولعل ديوفانتس هذا ليس يديوفانتس الرياضى الشهير الذى سبق ذكره ، كما كتبت شرحاً « لخروطات » أبولونيوس ولكن لم يبق واحد من هذين الشرحين .

وبرقلس (Proclus) (المتوفى عام ٤٨٥ م) تلقى العلم في الإسكندرية وعلم في أثينا وأخرج كتباً كثيرة من بينها تفسير لأجزاء من بطليموس وكتاب في التنجيم وآخر في الفلك وشرح للكتاب الأول من « العناصر » لإقليدس .

٤ - الطب اليونانى

يبدأ تاريخ الطب اليونانى الصرف بأبقراط وهو من جزيرة كوس (Cos) وقد توفى سنة ٢٥٧ م . وقد ظل كتابه «الوصفات» على الدوام مرجعاً يعتد به لمن يمارسون المهنة . وقد كانت هذه المجموعة من الوصفات من أوائل المؤلفات الطبية التى نقلت إلى العربية ، إذ نقلها حنين بن إسحق الذى أوتى المقدرة على قراءة النص اليونانى . وهناك ترجمة سريانية لهذا الكتاب مجهولة الناقل ، وقد نشرها پنيون (Pognon) (ليبيج سنة ١٩٠٣) ولكن تاريخها ليس ظاهراً عليها .

وفى الفترة الأخيرة من مدرسة الإسكندرية كانت كتب جالينوس المتوفى سنة ٢٠٠ م) حجة فى الطب ، وكان البرنامج الرسمى للدراسة الطبية يتألف من مختارات من أبحاثه . وقد طبق هذا البرنامج فى الرها وجنديسابور ، وقد وضعت له تراجم سريانية ليستعملها من يتكلم السريانية من الطلاب . وقد قام بكثير من هذه الترجمات السريانية سرجيوس الرسعى ونقحها فيما بعد حنين بن إسحق وزملاؤه فى دار الحكمة ببغداد . ولعل هذه الترجمات قد استبدلت بترجمات جديدة من وضع دار الحكمة هذه . وإذن فهذه الترجمة إلى السريانية قد سبقت وضع الترجمات العربية وظلت أمداً طويلاً متداولة جنباً إلى جنب مع الترجمات العربية . لقد مارس جالينوس نفسه مهنة الطب فى روما ولكنه قام بدراساته فى سميرنا (أزمير) وكورنثة والإسكندرية .

أما مشاهير الكتاب من الإغريق فى الطب فهم :

أوريباسيوس (Oribasius) (ولد حوالى ٣٢٥ م) وكان صديقاً للإمبراطور جوليان حتى لقد اصطفاه الإمبراطور ليفضى إليه بسخطه على المسيحية وعزمه على الارتداد عنها إلى الوثنية . ولعله كتب خطابه إليه

« جوليان ، الرسائل ، ١٧) سنة ٣٥٨ . وقد كان في معية جوليان في بلاد الغال ورافق حملته المنكودة إلى فارس وكان حاضراً عند احتضار الإمبراطور سنة ٣٦٢ . ولما رجع من فارس صادر الإمبراطوران فالنتينيانوس (Valentinianus) وفالنس (Valens) ممتلكاته ، ولو أن السبب في هذه المصادرة غير واضح . وعندئذ نفى إلى « بلاد البرابرة » ولم يستمر هذا النفي مدة طويلة لأنه رجع ثانية سنة ٣٦٩ . وقد بقى من كتبه في الطب ثلاثة ، أحدها مختصر أهده إلى ابنه أسطاث (Estathius) في سبع مقالات ، وقد ترجمه إلى العربية حنين بن إسحق وكان معروفاً عند « علي عباس » . وقد اقتبس منه بولس من أهل أيجينا (Aegina) .

آيتوس (Actius) (نهاية القرن الخامس) — كان طبيباً يمارس مهنته في القسطنطينية ولا نعرف شيئاً من سيرة حياته ، بل ولا تاريخ نشاطه المهني . ولكن المفروض أنه عاش في أواخر القرن الخامس لأنه يشير إلى كيرلس السكندري الذي مات سنة ٤٤٤ م . ، كما يشير إلى بطرس أرخياتر الذي كان طبيب ثيودوريك ملك القوط الشرقيين . وكان آيتوس سورياً من أهل آمد وألف مختصراً في الطب من ستة عشر كتاباً وهو يقسم الآن إلى أربعة أقسام ، وليس بالكتاب قدر كبير من المعارف الأصلية ولكن المؤلف أحسن فيه الجمع والاختيار ، وهو أول طبيب يوناني يولى السحر والرقى اهتماماً جاداً .

بولس الأيجيني : لعله عاش في أواخر القرن السابع ولا نعرف من سيرة حياته شيئاً ، ويقول سويداس (Suidas) إنه ألف كتباً كثيرة في الطب . ولم يبق من هذه الكتب إلا كتاب واحد يعرف باسم « الكتب السبعة في الطب » وقد نقله إلى العربية حنين بن إسحق وكانت له شهرة عظيمة عند العرب خصوصاً باعتباره حجة في الولادة ولذلك سموه « القوابلي » أو المولّد .

آرون (Aaron) وهو كاهن وطبيب من أهل الإسكندرية . وهو الآخر

ممن لا نقف على خبر واحد من سيرة حياتهم . وهو مؤلف كتاب « المجموعة » (Syntagma) وقد ترجمه إلى السريانية من يدعى غوسيوس (Gosius) وقد قام الدليل على أن غوسيوس هذا هو نفسه غيسوس پتايوس (Gesius) Petaeus الذى عاش فى عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤ - ٤٩١) ويقرر الكاتب السريانى المتأخر ابن العبرى أن آرون ألف ثلاثين كتابا ترجمها كلها سرجيوس الرسعنى وأضاف إليها كتابين آخرين . ولكن شتاينشneider يرى أن هذين الكتابين المزيدين من عمل المترجم الذى وضع الترجمة العربية وهو يهودى فارسى اسمه مسيرغوية (Mesirgoyah) . ولقد انتشرت مؤلفات آرون بين العرب وكان لها أثر ضخم على الطب العربى .

الفصل الرابع

المسيحية باعتبارها عاملاً في نشر الثقافة الهيلينية

١ — البيئة الهيلينية التي عاشت فيها المسيحية

لقد كانت الكنيسة المسيحية في جوهرها في عصرها الأول قوة فعالة في نشر الثقافة الهيلينية. وكانت لغتها يونانية وكان انتشارها أولاً بين أقوام يونانيين لغة وثقافة إن لم يكن جنساً. وحتى في روما نفسها كانت الكنيسة تستخدم اللغة اليونانية كما يتضح من الكتاب المسيحيين الرومانيين الأول كلمنت (Clement) وهرماس (Hermas) وهيوليتوس (Hippolytus) وغيرهم، فقد كتبوا باليونانية. واليونانية هي اللغة التي شاع استعمالها في النقوش الأولى على السرايب، ويبدو أنها كانت لغة القدّاس الروماني الأول ولو أن العبارات اليونانية التي بقيت في القدّاس إلى الآن قد أضيفت في عصر متأخر ولعلها قد أضيفت في القرن الخامس، أما عبارة كيرالييسون (يارب ارحم) فقد أدخلها القديس أغريغوريوس في عصر لاحق للقرن الخامس^(١). وظلت اليونانية سائدة في روما فترة طويلة من القرن الرابع إلى أن نقل قسطنطين مقر الحكومة الإمبراطورية إلى روما الجديدة وهي القسطنطينية. وكانت كنائس بلاد الغال هي الأخرى تتخذ اليونانية لغة لها. ولو أن اليونانية لم تبقى فيها إلى هذا العصر المتأخر. ويبدو أن ولاية إفريقية التي أصبحت فيما بعد موطن المسيحية اللاتينية كانت يونانية الصبغة في عصرها الأول. هذا إذا كان أوبي (Aubé) محقاً في اعتباره النص اليوناني لسير الشهداء الذي اكتشفه أوسنر (Uesener) في اسكيليتي

(١) يوحنا الشماس: سيرة القديس أغريغوريوس ٢ ، ٢٠ ؛ كتابات الآباء اللاتين

(Scillite) هو النص الأصلي للكتاب وليس ترجمة له^(١) . وإذن فقد كانت اليونانية فيما يبدو شائعة الاستعمال في قرطاجة في القرن الثاني . كل هذا يوضح كيف أن المسيحية قد انتشرت أول الأمر بين سكان المدن التجارية حول البحر المتوسط . وقد كانت لغتهم المشتركة هي اليونانية . ولم تتوغل المسيحية في داخلية البلاد إلا فيما بعد ، فوصلت إلى أهل مصر وسوريا وإيطاليا وبلاد الغال وإفريقية الذين كانوا يتكلمون لغاتهم الدارجة الخاصة . فقد كانت اليونانية لغة دولية ، وظهرت المسيحية كدين دولي .

وبالطبع إنه إن الحق أن تدعى المسيحية أنها يهودية الأصل لأن « الخلاص هو من اليهود » (إنجيل يوحنا : ٤ ، ٢٢) ولكنها تطورت في جو يهودي هيليني مثل الجول الذي أخرج فيلون السكندري الذي كان يقرأ العهد القديم في ترجمته اليونانية وليس في النص العبري .

لقد بدأ شتات اليهودية (Diaspora) بعد تخريب أورشليم على يد البابليين سنة ٥٨٨ ق . م ، حين وجد الكثيرون منهم الملاذ في مصر . وهُزِمَ البابليون أمام الفرس بقيادة قورش (Cyrus) سنة ٥٣٨ ق . م وسمح قورش بإعادة بناء أورشليم وإقامة هيكلها من جديد ولكن الكثيرين من مهاجري اليهود لم يرغبوا في العودة إلى فلسطين إذ وجعلوا في غيرها من البلاد فرصاً أحسن للحياة . وكان هذا بوجه خاص موقف الذين كانوا قد هاجروا منهم إلى مصر . إذ أنشأوا فيها عدة جاليات عامرة مزدهرة . وعندما أنشأ الإسكندر الأكبر الإسكندرية سنة ٣٣٢ ، دعا اليهود إلى سكني مدينته الجديدة وأفرد لهم حياً بأكمله من الأحياء الثلاثة^(٢) التي كانت

(١) أوبي (Aubé) : دراسة لنص جديد لسير النجلاء الإسكليتيين ، باريس ١٨٨١ .

(٢) كانت الإسكندرية منذ تأسيسها وطوال عصر البطالمة وما بعده تنقسم إلى خمسة أحياء (demes) اختص اليهود بسكنى الحى الرابع المسمى بحى الدلتا وانتشروا في غيره . (المراجع)

تنقسم إليها المدينة^(١) . ومع ذلك فقد كان هؤلاء اليهود المقيمون في مصر جزءاً لا يتجزأ من الشعب اليهودي فقد كانوا يعترفون بخضوعهم في النظام القضائي لأحكام الأحرار العظام ، وكانوا يدفعون ضريبة معلومة للهيكل في أورشليم . ومع أن اليهود ظلوا تحت حكم ملوك سوريا السلوقيين يحافظون على قوانينهم الخاصة وعلى دينهم دون تدخل من السلطات الحكومية إلى عهد أنطيوخوس إبيفانيس (Antiochus Epiphanes) (١٧٥ - ١٦٤ ق . م) فإن هذا الملك حاول أن يشرّبهم الثقافة الهيلينية وأن يدخل عبادة الآلهة اليونانية في أورشليم . وقد أدى هذا إلى قيام الثورة بزعامة المكابيين ولم يستطع أنطيوخوس أن يقمعها . لقد خلّع أنطيوخوس في مستهل حكمه الكاهن الأعظم أونياس (Onias) الثالث ووضع أخاه ياسون (Jason) مكانه ثم استبدل ياسون بأخيه الأصغر مينالاوس (Menelaus) أو أونياس الرابع الذي دبر اغتيال أونياس الثالث . فهرب أونياس الخامس ابن الكاهن الأعظم السابق القتل إلى مصر لينجو من الرجس والفوضى اللذين أشاعتهما سياسة أنطيوخوس ، وجاء معه بعض مريديه الذين عدوه الكاهن الأعظم الشرعي . فأحسن بطليموس فيلوميتور (١٨١ - ١٤٦) وفادتهم وأعطاهم معبداً مصرياً مهجوراً في ليونتوبوليس^(٢) حيث أقاموا هيكلًا على صورة هيكل أورشليم ، وكانوا يقدمون القرابين اليومية ويؤدون سائر الطقوس بإخلاص . وظل هيكل ليونتوبوليس هذا مستعملاً إلى أن خرب هيكل أورشليم في سنة ٧٠ م وعندئذ أغلق المعبد المصري . وبالرغم من أن هذا الهيكل المحلي كان موضع تقديس يهود مصر ، فإنه لم يبلغ أبداً مرتبة هيكل أورشليم الذي كانت ترسل إليه الضريبة من مصر كما كانت ترسل إليه من سائر بلاد الشتات . ولعل الترجمة اليونانية للعهد القديم وهي التي تعرف باسم الترجمة السبعينية قد وضعت

(١) يوسيفوس « ضد آبيون » ٢ ، ٤ و « حرب اليهود » ٢ ، ١٨ ، ٧

(٢) ليونتوبوليس هي نيتو على عهد الفراعنة ، ومحلها الآن تل مقدم بالقرب من مركز

ميت غمر ، شافطة الدقهلية . (المراجع)

على مراحل متتالية من أجل هذا الهيكل المحلى . فقد جاءت أسفار موسى الخمسة فى لغة حوشية كانت دارجة فى مصر ، والتي نجد مثيلا لها فى كثير من الأوراق البردية التى عثر عليها فى مصر . وقد وضعت هذه الترجمة فى عصر متقدم بحيث أتيج لديمتريوس (Demetrius) الذى عاش على الأرجح فى عهد بطلميوس فيلوطاتور (٢٢٢ - ٢٠٥ ق . م) أن يستعملها (كما يبدو من العبارات التى اقتبسها منه كلمنت السكندرى فى كتابه « الأشبات » (Stromateis) ١ ، ٢١ ويوسيبوس فى كتابه « مقدمة الهداية » (Praeparatis Evangelica ٢٩.٢١.٩) . أما الأسفار التاريخية وكتب الأنبياء فقد ترجمت فيما بعد فى أسلوب أقرب من أسلوب تلك إلى الأدب ، أما آخر الأسفار وهى « الجامعة » و « نشيد الإنشاد » فقد ترجمت فى أسلوب أدبى أقوى وأفضل . أما رواية « الأحبار السبعين » الذين يقال إنهم وضعوا الترجمة السبعينية فى عهد بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧ ق . م)^(١) فلا تقوم إلا على أساس من خطاب منحول لأرستياس (Aristeas) أرسله إلى أخيه فيلوقراطيس (Philocrates) . وعلى ذلك فهى غير ثابتة تاريخياً . والأرجح أن الترجمة كلها لم تكمل إلا فى السنوات الأولى بعد الميلاد ؛ فإن فيلون السكندرى لا يقتبس من سفر « راعوث » ولا « الجامعة » ولا « نشيد الإنشاد » ولا « استير » ولا « المراثى » ولا « حزقيال » ولا « دانيال » . ثم إن العهد الجديد لا ترد فيه لاقتباسات من سفر « عزرا » ولا « نحميا » ولا « استير » ولا « الجامعة » ولا « نشيد الإنشاد » كما أنه لا يشير إلى طائفة من الأنبياء الصغار .

ومنذ ثورة المكابيين ظهر فى فلسطين رد فعل قوى ضد الثقافة الهيلينية . ويبدو أن هذه الحركة الرجعية قد امتدت إلى يهود الشتات فى السنوات الأولى من العصر المسيحى . لقد كانت هذه الحركة الرجعية مظهراً من مظاهر الحركة القومية التى أشعلت الثورة اليهودية والتي بلغت مداها فى تخريب

(١) حكم بطلميوس فيلادلفوس تسعة وثلاثين عاماً من ٢٨٣ حتى ٢٤٥ ق . م .

(المراجع)

أورشليم . لقد دعت هذه الحركة الرجعية إلى رعاية التقاليد العبرية في صرامة - إلى استعمال اللغة العبرية وإلى الفكرة القديمة التي تنادى بالانفصال التام عن غير اليهود « الشعوب » . ومن رد الفعل هذا تولدت الرجعية اليهودية الربانية . ولم يعد من الجائز في هذا المذهب اليهودي المتطرف أن تقرأ الأسفار المقدسة في البيعة (الكنيس) باليونانية . وفرضت فيه مراعاة طقس الختان وسائر السنن الشرعية الأخرى فرضاً لازماً ، كما حرّم بتاتاً قيام أى صلوات ودية مع الوثنيين أو غير المختونين ، وأصبحت الشريعة الموسوية أكثر صرامة بفضل شروح الربانيين .

لقد كان للخصومة بين هذا الحزب الرجعي المتطرف وبين يهود الشتات المتساهلين الآخذين بالثقافة الهيلينية أثر في الختتم المسيحي . فقد نشأ في أول الأمر طائفتان : المسيحيون الميالون لليهودية الذين كانوا يطالبون كل معتنق الدين المسيحي بأن يختنوا وأن ياتزموا الشريعة الموسوية كلها ثم المسيحيون المتأثرون بالثقافة الهيلينية الذين لم يطالبوا معتنق الدين المسيحي بأكثر من قبول العقيدة المسيحية . وقد سجلت الخصومة بين هاتين الطائفتين في « أعمال الرسل » ، الحوارين « . وقد اختفت طائفة المسيحيين الميالين لليهودية ولم يعد لها ذكر ، أما المسيحيون الميالون إلى اليهودية الذين ظهروا فيما بعد في أنطاكية في عهد القديس يوحنا فم الذهب فيلتمون إلى فرقة من أصحاب البدع أرادت عامدة أن تحيي العادات اليهودية . وإذن فيمكن أن يقال إن المسيحية هي وريثة اليهودية الهيلينية التي ورثت هذه الديانة الخلقية الموحدة وجارت وسايرت إلى حد كبير تيار الفكر الهيليني في الشرق .

لقد قبلت الكنيسة المسيحية العهد القديم ولكنها وضعت في المقام الثاني بعد العهد الجديد . ففسرت النبوءات على أنها إشارات إلى المسيح وأخذت تعاليم الخلقية على أنها تمهيد إلى وحى أكثر وضوحاً يأتي في العهد الجديد . ولما كان معتنقو الدين الجديد من اليونانيين يفوقون عدداً معتنقيه من اليهود بكثير ، فلا عجب في أنه سرعان ما أخذ التعليم اليوناني الذي كان يتضمن

الفلسفة اليونانية يسرى في التعاليم المسيحية . والحق إن الفكر اليوناني كان قد أثر من قبل في الفكر اليهودي كما يتضح من الأسفار المخدوفة العديدة مثل « حكمة سليمان » و « حكمة يشوع بن سيراخ » التي تحمل طابع الفكر النرواقى . ومن هذه الناحية وغيرها من النواحي عملت المسيحية على اطراد التطور الطبيعي لليهودية المتأثرة بالثقافة الهيلينية . وقد كان القديس بولس وائد التوفيق بين المسيحية وبين التراث الفكرى عند الشعوب الداخلة في المسيحية من غير اليهود ، فقد كان لرسائله أثر عظيم على تكوين العقيدة المسيحية وعلى التقريب بينها وبين الفلسفة اليونانية المعاصرة . فقد كان المسيحيون مثل اليهود المتأثرين بالثقافة الهيلينية يقرأون العهد القديم في ترجمته اليونانية ، كما أن قوانين عقيدتها الأولى قد صيغت في عبارات مستقاة من انقلسفة اليونانية . وهكذا أتيح منذ البدء للكنيسة المسيحية أن تكون مبشرة بالثقافة الذهنية اليونانية وبالعقيدة الإنجيلية معاً . وحدث فيما بعد عندما دبت الخلافات ونشبت الخصومات داخل الكنيسة أن صيغت هذه الخصومات هي الأخرى في مصطلحات فلسفية يونانية ودارت معاركها وفقاً للأصول الفلسفية .

قد يكون الدين مقتصرأ على مجرد القيام بالشعائر وهذا هو الحال في أغلب الأديان البدائية . إذ يقتصر فيها أمر الدين على مجرد تقديم القرابين وأداء الشعائر المقدسة الواجبة . وتلى ذلك مرحلة يكون الدين فيها عاملاً أخلاقياً ، ولعل هذه المرحلة تبدأ بمراعاة الحرام وتجنب المنهيات . وأخيراً تأتى مرحلة التأمل في الإلهيات وهى في ذاتها نوع من الفلسفة تهدف إلى تحليل كون الأشياء كما هى ، وإلى تفسير مركز الإنسان في الكون . ويبدو أن ديانة قدماء المصريين قد بلغت هذه المرحلة النهائية في أواخر عهدها ، ولكن الفلسفة في الفكر اليوناني قد حلت محل الدين وتمثلته ، وقد نشأت المسيحية في مجتمع قد حلت الفلسفة فيه محل الدين فعلاً . لقد كانت الديانات اليونانية والرومانية القديمة شعائرية صرفة وسحرية إلى حد كبير ، فلم تكن ذات أثر

حتى في الناس ولم يمنعها من الانهيار إلا أنها كانت من التقاليد الموروثة التي يتعلق بها الناس من طول أخذهم بها . وكانت الفلسفة قد استوعبت الأخلاق كما استوعبت التفكير والتأمل في وضع الإنسان في الكون . والحق إن واجب الإنسان كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بسبب وجوده . وهكذا تبدت المسيحية كأنها فلسفة جعلت هدفها حل مشكلة الوجود . ولا شك في أنها استعارت جانباً كبيراً من البيانات السرية التي كانت تشبهها بعض الشبه ، ولكن العنصر الغالب في تطور المسيحية كان موقف العالم الهيلينستي السائد من الدين ، وقد كان موقفه هذا من الدين موقفاً فلسفياً ، فالواقع أن الفلسفة كانت قد حلت فيه محل الدين بمعناه القديم .

وعلى الرغم من أن الكنيسة قد ورثت الكتب اليهودية المقدسة واقتفت آثار التقاليد المتبعة في بيع اليهود في قداستها ، فإنها على التحقيق قد قطعت صلتها باليهودية وقد ظهرت هذه القطيعة للسلطات اليهودية في جلاء . ذلك أن اليهودية أخذت تعود إلى طقوس إحياء الشعائر القديمة والدخول في عزلتها القومية ، أما المسيحية فقد انطلقت في مجال أرحب وأوسع قد مهدت له غزوات الإسكندر وفتوحه وكانت حركة طردية منطلقة إلى الأمام . فأمعنت اليهودية في انحرافها نحو اليمين أما المسيحية فأمعنت في انحرافها نحو اليسار . وكان هدف اليهود إلى الإصلاح عن طريق الرجوع إلى الماضي رجوعاً مطلقاً ، وهو الهدف الذي ينادى به دائماً دعاة الإصلاح الديني . وكانوا ينظرون بعزوف إلى المسيحيين على اعتبار أنهم يندفعون في استهانة متزايدة نحو التراخي الذي اعتبروه السبب فيما أصابهم من انحلال . حقاً إن الفلاسفة والعلماء اليهود قد أضافوا إضافات قيمة إلى الثقافة الذهنية في عهد متأخر ، ولكن هذا النشاط لم يحدث إلا في الفترة التي كانوا فيها تحت حكم العرب . ولا يظهر أى ميل مثل هذا في الأكاديميات اليهودية القديمة في سورا (Sora) وپومبادثا (Pumbaditha) حيث كان الاهتمام مقصوراً على الشريعة وإقامة الشعائر .

٢ - انتشار المسيحية

لقد كانت الكنيسة في عصرها الأول ولا شك ذات نزعة تبشيرية تتجلى في « أعمال الرسل » و « رسائل » القديس بولس . ولكن هذه النزعة التبشيرية تظهر للمرة الأولى كأنها نتيجة للاضطهاد . ويقال إن أول انتشار لمبشرين المسيحيين من أورشليم حدث عندما استشهد القديس اسطفانوس وتلاه الاضطهاد . وكثيراً ما حدث فيما تلى من عصور أن أدى سببٌ مثل هذا إلى التبشير بالمسيحية في أرجاء جديدة . ولعل الكنيسة الإنجليزية مدينة بنشأتها إلى اللاجئين من الاضطهاد الذي اندلع في ليون وثينا . ولم يكن الاضطهاد هو السبب الوحيد في انتشار المسيحية ولكنه كان سبباً من أسباب انتشارها ولعله كان من أهم الأسباب .

إن معارضة اليهود للمسيحية لتبدو واضحة في سفر « أعمال الرسل » . ويبدو أن عداة اليهود للمسيحية كان سبباً رئيسياً لكثير من الاضطهادات التي حاقت بالمسيحية في عصرها الأول إن لم تكن كلها . فالاضطهاد الحقيقي الأول الذي وقع على المسيحيين باعتبارهم طائفة معينة حدث في روما في عهد الإمبراطور نيرون . وكان اليهود ولا شك محرضين عليه ، إذ كانوا أصحاب نفوذ قوى في البلاط . وحدث بعد ذلك أن تفاقمت الكراهية الشعبية للمسيحيين في بقاع كثيرة وبخاصة في آسيا الصغرى فقد كان فيها مسيحيون كثيرون ، وبينوا أنه كان لليهود تأثير كبير في قيام هذه الموجات من الكراهية . وفي عهد الإمبراطور تراچان (Trajan) بذلت محاولة لتسقيت السياسة التي تدبها 'إمبراطورية في معاملة المسيحيين . فقد وجد بانيي عندما كان حاكماً لبثينيا (Bithynia) كثيرين من المسيحيين فيها . وحدثت اضطرابات كثيرة كانوا هم دستولين عنها . وكان بليني قد اكتسب في روما خبرة في أعمال الإدارة ذات الصبغة القانونية . ولكن من الواضح أنه لم تكن له علاقة بالقضايا الخاصة

بالمسيحيين ، لأن مثل هذه القضايا كانت ترفع لحاكم روما أو نائبه . فلما التمس بليسي التوجيه من الإمبراطور أجاب تراچان في خطابات عينت السوابق التي يعامل بها الأشخاص الذين يتهمون باعتناق هذا الدين غير المعترف به ه فتقرر أن اعتناق المسيحية كان جريمة تستحق الإعدام ، ولكن لم يكن مسموحاً بأن يجرى البحث عن المسيحيين ، وتعرض المخبرون الذين يتشؤون بهم للعقوبات ، وقد وضع فيما بعد دوميشيان أولتيانوس (Domitianus Ultianus) بحثاً في « واجبات الوالى » (De officio proconsulis) جاء في الكتاب السابع منه ملخص للتشريعات ضد المسيحيين . فلو أن هذا الكتاب وصل إلينا لزودنا بصورة تامة عن موقف القانون الرومانى من المسيحية : ولكن من سوء الحظ لم تبق منه إلا نبذة أهمها نقد غاضب « لكتانتىوس » (Lactantius) (لاكتانتىوس ، « النظم » ٥ ، ١١ ، ١٢) . والموضوع لا يزال يكتنفه الغموض مع الأسف لأن الاضطهاد أو التعرض للاضطهاد على الأقل كان ولا شك دافعاً قوياً فى حمل المسيحيين على النزوح خارج الإمبراطورية الرومانية ، فكان بذلك أحد الأسباب الرئيسية فى انتشار المسيحية ه

إن رواية هيپوليتوس عن كالستوس (Callistus) تلقى بعض الضوء على هذا الموضوع . كان كالستوس عبداً مسيحياً . وقد عهد إليه سيده وهو أيضاً مسيحى بمبلغ من المال ليفتح مصرفاً ولكنه أفلس . ولما حاول أن يسترد بعض السلفيات من مدينه وكان بعضهم من اليهود ، اتهم بأنه أثار بعض الشعب فى الكنيس أثناء محاولته وضع يده على مدينه . وحيث أنه أثار الاضطراب أثناء قيام طائفة يعترف بها القانون بالعبادة ، فقد سيق إلى القاضى . ومن الجلى أن اليهود بذلوا قصارى جهودهم ليلصقوا به تهمة اعتناق المسيحية بأن أثاروا هذا الموضوع عرضاً فى صدد إقامة الحجة عليه ، لأنهم لم يستطيعوا أن يوجهوا إليه تهمة اعتناق المسيحية مباشرة لثلايقعوا تحت طائلة العقوبات التى تنصب على من يشى بالمسيحيين . لقد أدين كالستوس بتهمة اعتناق المسيحية وحكم عليه بالاشغال الشاقة فى مناجم سردينيا . ولكن

بعد ربح من الزمان شمله العفو العام الذى استصدرته مارسيا (Marcia) مصرية الإمبراطور كومودوس (Commodus) فقد كانت مارسيا مسيحية أو كانت شديدة الميل إلى المسيحيين^(١). وطوال القرن الثالث كان النفوذ للمسيحي قوياً في البلاط^(٢). أما السبب الفعال في الاضطهادات العنيفة مع قصّرها - وهى اننى وقعت في عهد ديكْيوس (Decius) ودقلديانوس (Diocletianus) في أواخر هذا القرن فهو أن المسيحيين كانوا قد أصبحوا إذ ذاك على جانب خطر من القوة ، وصاروا يمارسون طقوس دينهم في علانية وجرأة ، وكانوا يبنون كنائس كبيرة . لقد كان القانون الروماني قبل عهد ديكْيوس يحمي مياكية المسيحيين وكانت الجبانة والدهاليز التي تمتد إلى مساحات واسعة تحت الأرض في روما ملكاً خالصاً لهم منذ عهد البابا زيفرينوس (Zephyrinus) (٢٠٢ - ٢١٩) . إن ديكْيوس عندما كان يتصيد المسيحيين حتى في جباناتهم ودهاليزهم ويستولى على ممتلكاتهم كان يأتي بدعة لا سابقة لها . لقد كان الاضطهاد يقع بين الحين والحين ، ولا يدوم إلا فترة وجيزة وكانت ثمره عادة دوافع لا تتصل بالدين . ولكن كان هناك دائماً احتمال وقوع الاضطهاد . وهذا ولا شك ما حدا ببعض المسيحيين إلى الزوح خارج نطاق الإمبراطورية الرومانية أو على الأقل إلى الانتقال إلى ولاية كان الاضطهاد فيها نادراً نسبياً . إن الكنيسة الإنجليزية ترجع في نشأتها الأولى فيما يبدو إلى اللاتين المارين من الاضطهاد في بلاد الغال وهى ليست الكنيسة الوحيدة المدينة بنشأتها الأولى لللاتين .

إن الرغبة في النجاة من التعرض للاضطهاد كانت فيما يبدو السبب في إنشاء كنيسة مزدهرة في بلاد ما بين النهرين خارج نطاق الإمبراطورية الرومانية . ولقد عاشت كنيسة ما بين النهرين هذه وخصوصاً فيما حول الرها

(١) تجد القصة بأكملها في كتاب فون دولينجر (Von Döllinger) « هيبوليتوس وكالستوس » Hippolytus und Kallistus الفصل الثامن .

(٢) انظر يوسيبوس « التاريخ الكنسي » ٤ ، ٣٤ ، ٧ ، ١٠ .

(Edessa) حياتها في جو طليق نسبياً ، وأنشأت طرازها الخاص في العمارة الكنسية وكذلك أسلوبها الخاص في النظام الكنسي . وحدث فيما بعد عندما أصبحت الإمبراطورية الرومانية دولة مسيحية وكان يرأس الكنيسة الجامعة (الكاثوليكية) الأساقفة اليونان ، أن قضى في عنف على أغلب تلك الأساليب المحلية التي قامت فيما بين النهرين . والحقيقة لا تزال ماثلة وهي أن بعض الأدلة الأولى الباقية على تنظيم الكنيسة ومبانيها ترجع إلى المنطقة التي تقع عبر الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية مباشرة . ولقد تعرضت منطقة ما بين النهرين هذه للتأثير اليوناني تحت حكم السلوقيين كما وقع التأثير اليوناني عن طريق الرومان الذين كانت حدودهم من ناحية پارثيا (Parthia) تتراوح إلى الأمام والخلف من حين إلى حين والذين كانت لهم على الدوام مصالح سياسية في مناطق الحدود . ولكن الكنيسة هي التي استطاعت أكثر من أي عامل آخر أن تسبغ ثوب الثقافة الهيلينية على هذه المنطقة التي تقع عبر الحدود الرومانية .

وعندما زاد ازدهار الكنيسة أخرجت ثماراً من الأدب فظهر في الإسكندرية طبعاً بعض كتابها الأول ومنهم كلمنت السكندري وأوريجين وغيرهما . وسافر هيجيسيپوس (Hegesippus) حول البحر المتوسط حوالي سنة ١٨٠م باحثاً عن الأدلة على صحة السنة الرسولية لتعاليم الكنيسة وأنظمتها ؛ ولنا لنجد قبله بقبائل في الشهيد جستن (Justin) معلماً مسيحياً يحاول أن يوفق بين الفلسفة السائدة والعقيدة المسيحية . وعند انتهاء القرن الثاني لم تكن المسيحية قوية بكثرة معتققيها فحسب ، بل كان يشد من أزرها أيضاً لإنتاجها الأدبي وتضافرها مع الفلسفة . ولقد كان الأدب المسيحي يكتب باللغة اليونانية . وأول ما ظهر من الآداب المسيحية بلغة خاصة جاء باللغة السريانية . وكان هذا بصورته المأثورة وهي لهجة الرها . وهو متقدم بزمان طويل على أي أدب مسيحي كتب باللاتينية . ولقد كانت الكنيسة يرمتها تقرأ العهد القديم في

ترجمته اليونانية فقط ، كما كان الحال مع اليهود في مصر أيام فيلون السكندري وكذلك مع اليهود الهيلينستيين بوجه عام فيما نرجح . هذا وإن ترجمات العهد القديم إلى اللغات الخاصة قد نقل أكثرها عن الترجمة اليونانية السبعينية ، إلا الترجمة السريانية الأقدم فهي وحدها التي تشير إلى مصدر مستقل وهي أقرب إلى الأصل العبري . ومع ذلك فن المحتمل جداً أن يكون النص المسوري الذي أصبح النص المعتمد للعهد القديم ، عبارة عن نص منتقى من نصوص سابقة مختلفة متعددة ، وعليه فتكون الترجمة السبعينية وما نقل عنها من ترجمات ، منقولة في بعض المواضع على الأقل من نص أقدم من النص المسوري ، وأن هذا النص المتقدم صار مهماً في العبرية بعد اعتماد نص موحد .

٣ - النظام الكنسي

على الرغم من أن نشأة الكنيسة المسيحية ترجع إلى الكنيس اليهودي ، فهي تبدو في التاريخ صرحاً منظماً لا على أسس يهودية بل على أسس تتبع نظام الإمبراطورية الرومانية . وكان هذا قد بدأ قبل أن تحظى الكنيسة بالتسامح الرسمي . ولكنه أصبح أكثر وضوحاً بعد أن أصبحت الكنيسة بفضل ما لاقت من تسامح على صلات أقرب وأوثق بالسلطة الزمنية . فقد حدث أن أصدر الإمبراطور قسطنطين في سنة ٣١٣ قراراً بالتسامح الرسمي مع الدين المسيحي ، وفي سنة ٣٢٥ دعا أول مجمع عام في نيقية لتحديد نقاط الخلاف في العقيدة المسيحية ، ولتنسيق النظام الكنسي . ومنذ ذلك التاريخ كانت الدولة تحمي الكنيسة وتضعها إلى حدٍ ما تحت إشرافها ، ولو أنها لم تصبح الديانة الرسمية إلا في عهد الإمبراطور غراطيان (جراتيانوس) سنة ٣٦٨ .

لقد كانت الكنيسة في أيامها الأولى مؤلفة من طوائف مدنية في الأكثر ، يرأس كلا منها أسقف تعاونه فئة من الشيوخ ، ثم امتدت المسيحية شيئاً فشيئاً إلى المناطق الريفية فأضيفت طوائف في مناطق متطرفة تحت رئاسة شيوخ

فقط ، وانطوت كل منها في نظامها تحت لواء الأسقف المجاور . وإذن فكما امتدت الكنيسة كانت الأبروشيات الإقليمية تتألف من المدن التي كانت موطنها الأول . وفي عهد مجمع نيقية كانت هذه الوحدات الإقليمية تتجمع كلها في أحلاف على غرار الولايات المدنية ، وتعرف كل منها باسم أبروشية . وكان لهذا الاسم معنى أوسع مما له الآن بكثير . وكان في الكنيسة الشرقية أربع من هذه الأبروشيات هي أبروشيات الشرق وبنطش وآسيا وتراقيا . وكانت الأبروشية تنقسم إلى مطرانيات يرأس كل منها مطران أو مطرانان ، وعلى هذا الأساس كانت أبروشية آسيا تضم مطرانيات إفسوس وسارديس واسميرنا (أزمير) وبرغامة ، وصار كبير الأساقفة أو المطارنة في كل مطرانية يعرف باسم رئيس الأساقفة . وكان هناك تسليم عام بصدارة الكنائس الكبرى وهي كنيسة روما وأنطاكية وضمت إليهما كنيسة الإسكندرية بعد شيء من التردد . وفيما بعد وضعت كنيسة أورشليم في مرتبة مساوية لتلك الكنائس لدوافع عاطفية ، مع أنها كانت في الواقع تالية لكنيسة أنطاكية . وقد وضع مجمع خالقيدونية (القانون ٢٨) حداً لاستقلال كنائس بنطش وآسيا وتراقيا وجعلها كلها تحت رئاسة أسقف كنيسة القسطنطينية التي رفعت بالرغم مما صدر من احتجاجات إلى مصاف كنيسة أنطاكية والإسكندرية . وكان أسقف هذه المجموعات الكبيرة من الكنائس يسمى بطريكاً وهو لقب كان شائع الاستعمال في العصر التالي لمجمع نيقية ، ولكن صاحبه لم يحظ رسمياً بمكانة خاصة في المجالع إلا في القرن التاسع .

لقد كانت كنيسة ما بين النهرين الواقعة فيما وراء حدود الإمبراطورية الرومانية تعد تابعة لأبروشية أنطاكية ، ومع ذلك فقد أطلق على كبير أساقفتها في تاريخ متقدم لقب الجاثاليق وهو اللقب الذي كان الإمبراطور قسطنطين يطلقه في رسائله على أسقف قرطاجة . كما كان يطلق في الإدارة المدنية على نائب حاكم الولاية وهو اللقب الذي يطلقه بروكوبيوس (Procopius)

٢٥٠، ٢) على رئيس الكنيسة الفارسية . وقد أصبح هذا اللقب في آخر الأمر لقباً خاصاً بأسقف سلوقية ، واتخذة أساقفة سلوقية بعد الانشقاق النسطوري لقباً خاصاً برئيس الطائفة النسطورية .

وكانت الكنيسة منذ عهد مجمع نيقية تنظم نفسها على الدوام على أسس مشابهة للأسس المتبعة في الإدارة المدنية الإمبراطورية، ولو أن رقعة الكراسي والأبروشيات والمطرايات لم تكن في كل الحالات تنطبق تماماً على التقسيمات المدنية . فلما انتظمت الكنيسة في صورة مطابقة لنظام الإمبراطورية الرومانية وفقت تمام التوفيق في أن تنشرب الطوائف المسيحية لافيا بين النهرين فحسب بل في فارس أيضاً أصول الحياة الهيلينستية ومعاييرها . وهذه الأصول والمعايير هي التي مهدت السبيل للثقافة اليونانية بعد أن طبقت على النظم الاجتماعية . ولم يكن الدين المسيحي — وهذا وجه من وجوه اختلافه عن بعض الديانات القديمة — قاصراً على إقامة الشعائر فحسب ولا كان قائماً على مجرد اتباع قواعد السلوك الأخلاقي . ذلك أن ميراث الدين المسيحي من اليونان كان من تراث الفكر اليوناني المتأخر الذي كانت الفلسفة فيه تغفلت في الدين وتشربت به . ولذلك فقد وضعت المسيحية طائفة من العقائد اللاهوتية في مكان الصدارة ، أما الشعائر ومراعاة الطقوس فقد قصد بها أن تعبّر عن هذه المجموعة من العقائد . وكذلك الأخلاق بنيت على أساس من التعاليم المتصلة بالعقيدة . وقد اصطبغت كل هذه العقائد بصبغة قوية من الفلسفة وكان الكثير منها فلسفة صرفة ، صيغت في عبارات ومصطلحات لاهوتية . إن الفلسفة التي اصططنعتها الكنيسة المسيحية واستغلتها هي التعاليم الفلسفية التي كانت شائعة في العالم اليوناني خلال القرون الأولى من المسيحية ، وهي فلسفة التوفيق (eclectic) التي تزعم لنفسها أنها مستقاة من أفلاطون وأرسطو . ومثل تلك الفلسفة هي التي وجهت الخصومات التي أثارها في الكنيسة آريوس (Arius) ونسطوريوس (Nestorius) وأوطيخي (Eutyches) وغيرهم . وكانت المسائل المختلف عليها

من وحى الفلسفة كما كانت النتائج التى وصلوا إليها من أثر المعالجة الفلسفية . ولعل أبرز نقطة هى التوخي المطلق لمنطق أرسطو واتخاذها أداة للبحث والتدليل . ومهما يكن من اختلاف الفرق المسيحية فى عقائدها ، فقد ارتضت كلها على السواء منطق أرسطو وسيلة للبحث والتدليل .

وهكذا أعادت الكنيسة المسيحية صوغ من دخلوا فيها من الطوائف وفق البناء الاجتماعى للإمبراطورية الرومانية ، فجمعت الفرس والعرب وغيرهم من الشرقيين وفقاً لنظام الكراسى والأبروشيات الذى ورثته عن النظام الإدارى الإمبراطورى . وأشاعت بينهم مناهج تعليمية تمثل المناهج التى كانت مقررّة فى الإسكندرية . فقد كان المصدر الرئيسى للمعارف العلمية والفلسفية التى تلقاها العرب عن طريق النفوذ المسيحى .

وحين نأتى للعصر العباسى أى عندما بدأ الأدب والعلم اليونانيان يوثران على الفكر العربى ، لا يعود هناك موضع للتساؤل . فقد انتقل تراث اليونان إلى العرب عن طريق الكنيسة المسيحية .

الفصل الخامس

النساطرة

١ — مدرسة نصيبين الأولى

تقع نصيبين في الرقعة التي تخلت عنها فارس لروما سنة ٢٩٨ . ولما كانت حينذاك مدينة من مدن الحدود تشرف على الطريق الرئيسي بين شمال ما بين النهرين وبين دمشق فإن الرومان حصنوها أحسن تحصين ، ولعله كان فيها بعض المسيحيين في ذلك الوقت كما كان الحال في أجزاء كثيرة في بلاد ما بين النهرين . وبعد ذلك بضع سنين ، في سنة ٣٠٠ أو ٣٠١ عُدَّت مقر كرسي أسقفى ، وكان أول أسقف لها هو بابو (Babu) وخلفه الأسقف يعقوب . وكان يسكن المدينة أيضاً كثير من اليهود ، وكان فيها مدرسة يهودية أنشأها الحبر يهوذا بن بائيرا وهو رواية شهير وقد ورد سبعة عشر فصلاً من فصوله في "المشنة" . ومن الجائز أن كان هناك ثلاثة أشخاص بهذا الاسم ، أب وابن وحفيد . كان أولهم على قيد الحياة عندما كان الهيكل لا يزال قائماً في أورشليم وكان الأخير معاصراً للحبر عقيبة (Akiba) وكان له معه فيما يقال مساجلات . والظاهر أن اليهود عانوا الأمرين عندما استولى الرومان على مدينة نصيبين ، والمرجح أن استيلاء الرومان على المدينة قضى على مدرستهم فيها ، وعلى أية حال فلا ذكر للمدرسة بعد هذا التاريخ .

وقد حضر الأسقف يعقوب مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ووقع على قراراته . وبعد ذلك بوقت غير طويل أنشأ يوستاثيوس (Eustathius) أسقف أنطاكية مدرسة بها على نمط مدرسة الإسكندرية العظمى وحلها حذوه الأسقف يعقوب فأنشأ على نخطها مدرسة في نصيبين ، وكان هدفها الأول نشر اللاهوت اليوناني بين المسيحيين الذين يتكلمون السريانية . وقد كانت عقائدهم اللاهوتية ونظام

كنائسهم كما بيّن استريجيوفسكى (Strzygowski) غير مطابقة للأصول المعتمدة في الكنيسة الكاثوليكية . وأقيم شيخ اسمه إبراهيم (إفرايم Ephraem) على رأس هذه المدرسة ، وصار إفرايم هذا معلماً شهيراً ورفع اسم مدرسة نصيبين حتى أصبحت ذات شهرة واسعة . ولم يقتصر نشاطه على المدرسة ، فقد امتاز أيضاً بأعماله الأدبية ؛ وهو ليس أول من كتب بالسريانية ولكنه صار على الدوام في العصور التالية الحجة المعتمدة في السريانية الفصحى . وقد نظم أثناء إشرافه على مدرسة نصيبين أشعاراً صارت نماذج في الشعر السرياني . ويقال إنه رأس المدرسة مدة لا تقل بكثير عن ستين سنة ، ولعله كان شاباً صغيراً عندما عُيّن رئيساً لها ؛ ولم تضع نهاية المدرسة حداً لنشاطه بأى حال ، ومع ذلك فالتواريخ وتسلسلها ليست هنا واضحة تماماً .

أما مدرسة أنطاكية فلم يسر تاريخها على وتيرة واحدة . ففي أوائل عهدها نُفى يوسطاثيوس نفسه سنة ٣٣١ وترك المدرسة في رعاية فلاقيان (Flavian) ؛ وقد أشرك فلاقيان معه في الأمر صديقاً حميماً له منذ عهد بعيد هو الناسك ديودوروس (Diodorus) . وهؤلاء الثلاثة جميعاً وهم الأسقف يوسطاثيوس وفلاقيان وديودوروس ، كانوا من زعماء الحصومة مع أتباع آريوس . وهذه الزعامة هي السبب في كثير مما تعرضت له مدرسة أنطاكية من عنت ، فقد كان لأتباع آريوس في هذا الوقت قوة سياسية كبيرة ، وزادت قوتهم بعد موت قسطنطين سنة ٣٣٧ ؛ ومع ذلك فقد استمرت المدرسة إلى سنة ٣٧٩ عند ما صار ديودوروس أسقفاً لطرسوس ، وقد كان في سنة ٣٨١ أحد الأساقفة الذين رسموا فلاقيان على كرسي أنطاكية . ولما ارتقى ديودوروس إلى كرسي الأسقفية تشنت المدرسة ولكن أحد أساتذتها ويدعى ثيودور (Theodore) ظل يعلم قليلاً من الطلبة الذين التفوا حوله إلى سنة ٣٩٢ حينما عين هو نفسه أسقفاً على مصبيصة (Mopseustia) . لقد صار ديودوروس أسقف طرسوس و ثيودور أسقف مصبيصة يُعدان أكبر أساتذة اللاهوت في

الكنيسة السريانية ، وهى الكنيسة التى كانت تصطنع اللغة اليونانية وتبج أنطاكية ، فكانت كتابتهما بالطبع باللغة اليونانية ، واتخذت درعاً واقياً للعقيدة فى سوريا . ومع أن هذين الأسقفين كانا يتمتعان باحترام كبير باعتبارهما من أساطين المذهب الأرثوذكسى ، فإن تعاليمهما كانت تختلف فى أسلوبها عن التعاليم التى كانت شائعة فى مدرسة الإسكندرية . ويبدو أن هذا الاختلاف فى الأسلوب المدرسى كان يزداد ظهوراً بفضل النعرة العنصرية بين السريان والمصريين . وما لاشك فيه أنه كان بين أنطاكية والإسكندرية تنافس وأن هذا التنافس لم يكن كله ودياً . ولم يكن فى الوسع لإثارة الشبهات حول استقامة عقيدة هذين اللاهوتين الشهيرين ، ولكنهما اتهما فى العصور التالية بأنهما بنرا دون قصد منهما بنور المذهب النسطورى . وأبرزت عبارات استعمالها ثيودور ولم يلتزم فيها غاية الخلد و قيل إنها تتضمن المذهب النسطورى . وعلى ذلك فقد أدين كلاهما رسمياً فى المجمع العام الخامس الذى انعقد فى القسطنطينية سنة ٥٥٣ .

وفى هذه الأثناء كان لنصيبين هى الأخرى مشاكلها ، فقد مات الأسقف يعقوب بعد سنة ٣٤١ بقليل على الأرجح ، عندما كان يزور ميليس (Milles) أسقف السوس (Susa) فى فارس . ولم ينقض زمن طويل حتى جاءت حملة جوليان المنكودة ضد فارس ، وبعد نهايتها المشثومة فى سنة ٣٦٣ كان لا بد من التنازل عن الولايات الخمس التى حصلت عليها روما سنة ٢٩٨ لفارس من جديد . وقد قام إفرايم رئيس مدرسة نصيبين فى الحرب اتنى انتهت بهذه الكارثة بدور هام فى الدفاع عن المدينة ضد الفرس ، فلما وقعت المدينة تحت نير الاحتلال الفارسى أدرك أنه من المستحيل عليه أن يبقى فى المدينة فهرب إلى الرها .

ولا شك أنه كان هناك لاجئون كثيرون إلى جانبه ، وقد اضطر إفرايم باعتباره هارباً مجهول الشخصية أن يكذب بيديه ليكسب قوت يومه ،

وقد وجد عملاً لفترة ما على الأقل كخادم في الحمامات العامة ، ولكن أصدقاؤه اكتشفوا أمره وشجعوه على أن يستأنف التعليم ، وهكذا أنشئت مدرسة مسيحية في الرُّها . إن مدرسة نصيبين لم تنتقل إلى الرُّها ، فقد انفرط عقدها عندما سقطت نصيبين في أيدي الفرس ، ولكن حيث أن رئيسها قد استأنف نشاطه في الرُّها فقد كان هناك استمرار بين هاتين المدرستين . ويمكن أن تعد مدرسة الرُّها بعثاً للمدرسة نصيبين . لقد عاش إبراهيم (إقرايم) اثنتي عشرة سنة بعد سقوط نصيبين ومات سنة ٣٧٥ وهو لم يصرف هذا الوقت كله في التدريس ، فإلى جانب ما قام به من أعمال أدبية يبدو أنه جاب البلاد وأمضى بعض الوقت ناسكاً . وكان للمدرسة بعد موته مستقبل زاهر . وقد كان التدريس فيها باللغة السريانية ، وتعد سريانية الرُّها اللهجة الأدبية للمسيحيين السريان .

وفي سنة ٤١٢ نُصب رابولا (Rabbula) أسقفاً على الرُّها . وكان أبوه كاهن الأصنام في قنشرين (Chalcis) وتنصر وكان رجلاً جم النشاط . وكانت المدرسة تحت إشراف أستاذ يدعى إهيبها (Abibha) أو هيبها (Hibha) وقد صار اسمه في اليونانية إيباس (Ibas) . وقد قامت قبل هذا العهد بزمن وجيز حركة إحياء للعلوم بدأت فيما يبدو في آسيا الصغرى وعلى الأرجح في كبادوكيا (Cappadocia) ، وانتقلت إلى الطائفة التي تتكلم السريانية خلال القرن الخامس . ويبدو أنها كانت متصلة بحركة التقدم الكنسي التي كان مركزها قيصرية في كبادوكيا . وقد بلغت الكنيسة هناك منذ عهد القديس غريغوريوس ، صنائع العجائب = (Thaumaturgus) شهرة عظيمة باعتبارها مثلاً يحتذى في كل ما يتعلق بالقداس^(١) . وبلغت الكنيسة ذروتها في القداس المنقح الذي أخرجه القديس باسيليوس (المتوفى سنة ٣٧٩) وهو القداس

(١) انظر برايتمان (Brightman) « القداسات الشرقية » (Eastern Liturgies) الملحق

الذى اعتمدته كنيسة القسطنطينية ولا يزال القداى الأساسى فى الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية . أما القداى اليونانى الثانى وهو أوسع انتشاراً فيحمل اسم القديس يوحنا فم الذهب (المتوفى ٤٠٧) وهو صورة مختصرة لقداى القديس باسيليوس ، على حين يوجد قداى ثالث يعزى خطأ إلى القديس غريغوريوس (المتوفى سنة ٦٠٤) وهو الآخر مبنى على قداى القديس باسيليوس . ومن بين هذه القداى لا يقام القداى الكامل للقديس باسيليوس إلا فى آحاد الصوم الكبير (فيما عدا أحد الشعانين) وفى خميس العهد وفى اليوم السابق لكل من عيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد القيامة كما يقام فى عيد القديس باسيليوس (الموافق أول يناير) . أما قداى القديس غريغوريوس فيقام فى أيام الأسبوع فى الصوم الكبير . على أن هذا الإصلاح فى القداى لم يكن إلا نتيجة ثانوية لموجة واسعة فعالة من التأثير الثقافى امتدت من كبادوكيا إلى القسطنطينية ومن ثم انتقلت عن طريق الكنائس الشرقية إلى آسيا . إن الرُّها باعتبارها مركز كنيسة الشعوب المتكلمة بالسريانية وباعتبارها موطن الجانب السريانى من الحياة العقلية اليونانية فى الشرق قد أصبحت مركز انتشار ضياء النهضة الكبادوكية .

٢ — مدرسة الرُّها

لقد استولى الفرس على نصيبين سنة ٣٦٣ ، وفر كبيرها إبراهيم (إفرام) إلى الرُّها واضطر باعتباره لاجئاً أن يكسب قوت يومه بطريقة متواضعة فالتحق بخدمة حمّامى . ولكنه كرّس وقت فراغه للتعليم ومناقشة أولئك الذين كانوا يحرصون على صحبته . وذات يوم فيما هو عاكف على نشاطه هذا ، سمعه ناسك عجوز كان قد نزل من صومعته ليزور المدينة فلامه على ما لم يزل فيه من الاهتمام بالعلوم الدنيوية . وقد حمل هذا اللوم لإبراهيم على الاعتصام بالجبل ، وقضى فى صومعته ردهاً من الزمان فى التأمل والقراءة والتأليف

الأدبي . وقد أثمر هذا الاعتكاف بعض ألقانه وأشعاره . وفي هذا الوقت كانت حركة إحياء العلوم التي أثرت على الكنيسة تأثيراً كبيراً قائماً في كبادوكية وكانت مقترنة على الخصوص بباسيليوس من قيصرية ، وهذا ما حدا بإبراهيم أن يسافر إلى كبادوكية ، وأن يزور باسيليوس ولعله عرج في طريقه على مصر « الأرض المقدسة » للرهبنة . ولم يمض وقت طويل حتى جاءت الأنباء بأن البدع المختلفة التي نشأت عن تعاليم ابن ديسان - الذي عاش في الرُّها في القرن الثاني - قد أثارت المدينة ، فحملته هذه الأنباء على الرجوع وعلى استئناف التعليم فيها . وقد رجع مرة أخرى إلى حياة النسك ولكنه عاد لما بلغته الأنباء بأن الرُّها تعاني من قحط شديد . وقد وفق بقوة شخصيته وتشجيعه في حمل أثرياء المواطنين على أن يبذلوا بسخاء للترفيه عن جيرانهم المحتاجين ، وقد جاء موته بعد ذلك بزمان غير طويل في سنة ٣٧٣ . وبالنظر إلى غيباته المتكررة في مدى السنوات العشر التي قضاه في الرُّها لا يمكننا أن نعدّه مؤسس مدرسة الرُّها وموجهها ولكن يظهر أن أثره قد أعطى قوة دافعة وتوجيهاً لمجموعة الطلاب الذين التفوا حوله . وقد كان التفافهم حوله بعد زيارته لكبادوكية بمثابة اتصالهم بنهضة كبادوكية .

لقد كان زينوبيوس الجزري (Zenobius Gaziraeus) أبرز تلاميذ إبراهيم ، وهو شماس من الرُّها وهو الذي كتب ضد المرقونيين ، وكان معلماً لإسحق الأنطاكي . ويبدو أن مدرسة الرُّها كانت في أول أمرها جماعة ليس لها صفة رسمية حتى أنه لا يمكن أن نسمي إبراهيم رئيسها الأول ولا أن نسمي زينوبيوس خليفته عليها . ولكن هذه الجماعة تطورت شيئاً فشيئاً فصارت مدرسة شهيرة ، مع أنه لم يكن لها سند رسمي ولا قانوني مثلما كان لمدرسة نصيبين وأنطاكية . ويمكن بالطبع أن نعدّها استمراراً للمدرسة نصيبين التي أغلقت سنة ٣٦٣ حيث أن رئيس مدرسة نصيبين الرسمي هو الذي أسسها

وسدد خطاها . ولكن لم ينتقل الأساتذة والطلبة من نصيبين إلى الرُّها انتقالاً
يبرر اعتبارها فرعاً من مدرسة نصيبين .

ولدينا دليل ظاهر على أن العمل كان يجري في الرُّها في أواخر القرن
الرابع في الترجمة من اليونانية إلى السريانية . فالخطوطة رقم ١٢١٥٠ في المتحف
البريطاني والمؤرخة بسنة ٤١١ تحتوي على ترجمات سريانية لكتابي « التجلي »
(Theophania) و « شهداء فلسطين » ليو سيديوس والمحاضرات طيطس (Titus)
البصري ضد المانويين ، في حين أن مخطوطة لينينجراد المؤرخة بسنة ٤٦٢
تتضمن على ترجمة سريانية لكتاب « التاريخ الكنسي » ليو سيديوس^(١) . وفي متن
هذه النصوص ما يقوم شاهداً على أنه قد تعاقبت عليها أيدي النساخ . فلا بد
أن تكون قد وضعت قبل ٤١١ و ٤٦١ على التوالي . وقد توفي يوسيديوس سنة
٣٤٠ وتوفي طيطس البصري سنة ٣٧١ . وإذن فقد وضعت هذه الترجمات
إلى السريانية في حياة مؤلفيها أو بعد موتها بقليل على الأرجح ، كما كان
الحال في رسالة كيرلس السكندري « في الإيمان الحقيقي بسيدنا يسوع
المسيح إلى الإمبراطور ثيودوسيوس » فقد ترجمها رابولا أسقف الرُّها إلى
السريانية بمجرد أن تلقى من مؤلفها نسخة منها .

لقد كانت مدرسة الرُّها وطيدة الأركان وذات شهرة واسعة بين سكان
ما بين النهرين وفارس ممن يتكلمون السريانية . وكان أكثر أساقفة الفرس
من خريجيها عندما نصب رابولا أسقفاً على الرُّها في ٤١١ - ٤١٢ . وحوالي
ذلك الوقت أو بعده بقليل عين لإسبها (إيباس) رئيساً للمدرسة . وكانت

(١) قام س . لي (S. Lee) بشر الترجمة السريانية لكتاب التجلي (Theophania) ،
لندن ١٨٤٢ وترجمت في كبردج سنة ١٨٤٣ . وكتاب « شهداء فلسطين » نشره مع ترجمة له
و. كوريتون (Cureton) ، لندن ١٨٦١ . وكتاب « التاريخ الكنسي » نشره و. رايت (Wright)
ون . ماكليين (McLean) كبردج ١٨٩٨ . ومحاضرات طيطس البصري نشرها ب . دي لاجارد
(de Lagarde) برلين سنة ١٨٥٩ .

عندئذ مؤلفات ثيودور المصيصي وديودوروس الطرسوسي العمدة المقررة في الكنيسة السريانية . ووضع إيهيبا ترجمة سريانية لمؤلفات ثيودور لاستعمالها في الرُّها . وعندما وجد الطلبة الشرقيون صعوبة في فهم مصطلحات كتاب ثيودور وضع ترجمة سريانية لإيساغوجي فورفوريوس ، وقد كان المدخل المتداول للمنطق ، كما وضع ترجمة لكتاب «العبارة» (Hermeneutica) لأرسطو . ولا يمكن الآن التأكد من هذه الترجمات . ولكن لا تزال توجد ترجمة لكتاب «العبارة» و«التحليلات الأولى» (Analytica Priora) لأرسطو وكتاب «إيساغوجي» لفورفوريوس مع شروح عليها ، وهي من وضع پروبوس (Probus) الذي يقال إنه كان قساً ورئيس شمامسة وكبير أطباء في أنطاكية . وهذه الترجمة ترجع فيما يبدو إلى هذا العصر ، ومن الممكن أن تكون الترجمة ترجمة نص إيهيبا . إن عبد يشوع بن بريخا (القرن الثالث عشر إلى الرابع عشر) يتحدث عن إيهيبا وكومي (Kumi) (وپروبوس) باعتبارهم متعاصرين ، وثلاثتهم مترجمي أرسطو . أما ترجمة كومي فلا نعرف عنها شيئاً . وإذن ففي مستهل القرن السادس كانت هذه المؤلفات في المنطق معروفة في الرُّها في ترجمتها السريانية^(١)

٣ — المذهب النسطوري

لقد نُصِّب نسطوريوس^(٢) وهوراهب أنطاكي في سنة ٤٢٨ بطريقاً على القسطنطينية . وهو دخيل وقع عليه الاختيار تجنباً لإثارة الروح الحزبية

(١) الترجمة السريانية لفورفوريوس نشرها ا . فان هوناكر (Van Hoonacker) في المجلة الآسيوية ١٦ ، ٧٠ - ١٦٠ ؛ وترجمة «العبارة» لأرسطو نشرها ج . هوفمان (Hoffmann) في ليبزج ١٨٦٩ وظهرت الطبعة الثانية سنة ١٨٧٨ . وترجمة «التحليلات» نشرها ج . فريدمان (Friedmann) (رسالة في جامعة إرنلنجر) برلين ١٨٩٨ .
(٢) انظر ملاحظات (٣) .

انعينة نسانة في العاصمة . والنبي كان لا بد من إثارها لوقوع الاختيار على مرشح محلي . وقد اصطحب نسطوريوس أخاً راهباً من أنطاكية اسمه أنسطاس (Anastasius) وكان كلاهما من خريجي مدرسة أنطاكية . وقد تفقها في دراسات ثيودور وديودوروس اللاهوتية . ولم يمض وقت طويل حتى كانت إحدى العظات التي ألقاها أنسطاس موضوع شكوى للطريق . وكان مثار اعتراض الشاكين أن أنسطاس أنكر إمكان إطلاق لقب « والدة الإله » (Theotokos) على العذراء مريم المباركة . ذاهباً إلى أنها لم تكن سوى أم لعيسى باعتباره بشراً آدمياً . ولقد كانت هذه المسألة إلى حد ما الصق بعلم النفس : فهل تستقر الروح في الإنسان عند مولده أم أنها قائمة قبل مولده ؟ لقد اختلف الآباء الأرثوذكس في إجاباتهم على هذا السؤال . فإذا كانت النفس العاقلة لا تدخل الجسد إلا بعد الميلاد ، فالمفروض أن « الكلمة » (اللوغوس) (Logos) أي نفس المسيح الإلهية . ما كانت لتدخل جسده وهو مجرد جسم حتى لم يبلغ المرتبة الإنسانية حتى تضاف إليه الروح العاقلة . إن تعاليم أنسطاس لم تكن تعاليم ديودوروس وثيودور لأنهما فيما يبدو لم يتناولا هذا الموضوع . أما العامة فقد بدا لهم أن رفض إطلاق لقب « والدة الإله » على العذراء مريم المباركة كفر وإلحاد ، واحتدمت عواطفهم . وكان يكمن وراء هذا الاختلاف ما كان بين أنطاكية والإسكندرية من منافسة وميول متعارضة . أما أنطاكية فكانت تنزع إلى تناول اللاهوت بما يمكن أن نسميه تناولا شبه عقلي ، وأما الإسكندرية فكانت تميل إلى تناوله تناولا رمزياً صوفياً . وكان للإسكندرية أنصار أقوىاء في القسطنطينية .

وعندما رفعت الشكوى إلى نسطوريوس انبرى للدفاع عن أنسطاس ، فاحتدم الجدل وتدخلت كنائس أخرى عندما استعرت الخصومة في العاصمة . وأثار كيرلس بطريرك الإسكندرية المعارضة ضد نسطوريوس . وأخيراً تدخل الإمبراطور فعقد مجمعاً عاماً في إفسوس سنة ٤٣١ صدف فيه قرار

بترد نسطوريوس وحرمانه . ولكن الكثيرين من السريان لم يقبلوا هذا القرار ورفضوا قرارات المجمع وانفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسية . وعرف هؤلاء المنشقون باسم النساطرة .

وانبرت المدرسة المسيحية في الرُّها ، وقد قامت على تعاليم ديودوروس وثيودور في اللاهوت ، إلى تعصيد نسطوريوس بوجه عام ، مع وجود أقلية قوية معارضة لتعاليمه . وأصبحت الرُّها معقل المذهب النسطوري ، وكان زعيمها في هذا التعصيد إيهيبها لأن الأسقف رابولا قد انحاز في أول الأمر إلى المذهب النسطوري ، ولكنه اقتنع بحجج كيرلس فتحول عن النسطورية وتصدى لمناهضة تعاليمها التي كانت غالبية على المدرسة . ولكن رابولا توفي سنة ٤٣٥ فعين إيهيبها رئيس المدرسة أسقفاً ، وهو نسطوري بارز فقلب سياسة رابولا .

لقد كان كيرلس بطريرك الإسكندرية عدو نسطوريوس الأكبر في الخصومة التي احتدمت حول مذهبه . ولا شك في أنه كان عنيفاً في معارضته ، حتى إنه تصرف في مجمع إفسوس تصرفاً عاتياً إذ ألح على المجتمعين بأن يبدؤوا بأعمال المجمع دون انتظار وصول الأساقفة الآسيويين . وكان المنتظر أن يقف بعضهم في جانب نسطوريوس . وعندما وصل هؤلاء الأساقفة الآسيويون وجدوا أنه قد بت في المسائل فعلاً وأن نسطوريوس قد أدين . وعظم حقنهم لأن هذا الإجراء قد تم في غيبتهم ، وعقدوا مجعماً آخر يناوئ مجمع إفسوس تحت رئاسة يوحنا بطريرك أنطاكية ، وقرروا فيه خلع كيرلس بطريرك الإسكندرية وخلع ممنون (Memnon) أسقف إفسوس وهو أكبر معصديه . وكان لا بد لقرارات كل من هذين المجتمعين أن يعتمدوها الإمبراطور ثيودوسيوس . وقد أحفظت الإمبراطور تصرفات كيرلس العاتية . فأقر عزل نسطوريوس وكيرلس وممنون . ولكنه عاد بعد ذلك فعدل عن قراره وسمح لكيرلس وممنون بالاحتفاظ بكرسيهما ، أما نسطوريوس فقد

اضطره إلى الرجوع إلى الدير الذي جاء منه بالقرب من أنطاكية حيث أقام إلى سنة ٤٣٥ حين نفى إلى بطرة أوسلح (Petra) في بلاد العرب . ومع ذلك فيظهر أنه أذن له أن يذهب إلى واحة في صعيد مصر . وفيما هو هناك اختطفته قبيلة من الرحل ولكنه هرب منها . وظل موظفو الإمبراطورية يطاردونه من مكان إلى آخر إلى أن توفى في ظروف مجهولة بعد عام ٤٣٩ ببعض الوقت .

وتوفى كيرلس بطريرك الإسكندرية سنة ٤٤٤ وخلفه ديوسقوروس (Dioscoros) . وكان يتبع تعاليم كيرلس ، ولكنه كان يفوقه في العنف والاعتداد بالنفس . فبدأ من فوره بالبحث عن كل من اتهم بالميل إلى المذهب النسطورى واضطهدهم . وعندئذ أثار أوطيخى - وهورئيس رهبان مسن في دير في القسطنطينية - خصومة جديدة . فقد أعلن عقيدته بأنه عند التجسد قد تلاشى ناسوت المسيح كلية في لاهوته . وزعم النساطرة خطأ أن أعداءهم من أنصار أوطيخى . وكان أوطيخى من أنصار كيرلس ولكن يوسيبوس أسقف دوريلايوم (Dorylaeum) كان يعارض تعاليمه ، مع أنه كان من أنصار كيرلس . ورُفِع الأمر إلى فلاثيان ، بطريرك القسطنطينية ، وإلى مجمع المقدس المحلى . وكان فلاثيان من مدرسة أنطاكية ولكنه من الجناح المعتدل فيها وقد زُجَّ به في معترك هذه الخصومة على كره منه . وعزل أوطيخى آخر الأمر وصدر القرار بحرمانه . وبدأ لديوسقوروس - والظاهر أنه كان يميل إلى وجهة نظر أوطيخى أو كان يعدها على الأقل أقرب إلى الحق من عقيدة نسطوريوس - أن هذا القرار يعنى إحياء المذهب النسطورى . فاستعان بنفوذ الإمبراطورة وحصل على إذن بعرض الموضوع مرة أخرى أمام مجمع مقدس محلى آخر في القسطنطينية يعقد في السنة التالية . ولكن هذا المجمع الجديد لم ينقض الحكم الصادر ضد أوطيخى . فلم يرض ديوسقوروس عن هذا القرار ، وحمل الإمبراطور على أن يدعو مجمعا عاما للقضاء على المذهب النسطورى سنة ٤٤٩ وترأس هو نفسه هذا المجمع .

ولكن عندما التأم شمل المجمع كان سلوكه عنيفاً متغطرساً . فصار الاجتماع مسرحاً للفوضى والارتباك واستحق بذلك اسم مجمع اللصوص الذى أطلقه عليه البابا ليون . وأعيد أوطيخى ولم يسمح لتهمة يوسيبوس من أهل دوريلايوم بالكلام وعُزل فلافيان ، وعندما تجرأ بعض الأساقفة الحاضرين على الاحتجاج استدعى ديوسقوروس ثلة من الجند وهددهم فأذعنوا للتهديد . وعزل في هذا المجمع إيهيبيا ، أسقف الرها ونصب مكانه نونوس (Nonnus) . أحد أنصار كيرلس المتطرفين .

لقد أثارت قرارات « مجمع اللصوص » سخطاً عاماً وولى أشد المعارضين لها وجههم شطر روما طلباً للمساعدة . وبعد أن استفاض النقاش والجلد العنيف ، عقد مجمع آخر في خلقيدونية سنة ٤٥١ ؛ وقد كان أعضاء هذا المجمع شديدي الحفيظة على ديوسقوروس فنقضوا قرارات سنة ٤٤٩ . وخلعوا ديوسقوروس ونشروا وثيقة إيمان تتسم بالتعقل والاعتزان فيما يبدو . ولكن ديوسقوروس وأشياعه رفضوا هذه الوثيقة وانفصلوا عن الكنيسة الرسمية . وهكذا انقسمت الكنيسة الشرقية إلى ثلاث شعب : الكنيسة الأرثوذكسية أو الكنيسة الرسمية ، والنساطرة ، وأعداء النسطوريين المتطرفين الذين رفضوا وثيقة الإيمان التى اقترحها مجمع خلقيدونية وهم يعرفون الآن عادة باسم أصحاب الطبيعة الواحدة .

لقد كانت هناك معارضة قوية في تعيين إيهيبيا ، أسقفاً على الرها . وقد رفع المعارضون شكواهم إلى دومنوس (Domnus) الذى صار بطريرك أنطاكية سنة ٤٤٢ . ويبدو أن دومنوس لم يكن حريصاً على سماع هذه الشكوى ولكن التهم صيغت في صورة جعلت من غير الممكن تجاهلها . فاستدعى إيهيبيا إلى أنطاكية ليرد على الاتهامات التى كبلت له . وعقد المجمع المقدس المحلى في أنطاكية بعد عيد الفصح ولم يحضره إلا قليل من الأساقفة ، فقراراته الباقية متهورة بامضاء تسعة أساقفة فقط . لقد كبلت لإيهيبيا ثمانى

عشرة تهمة . اعترف بصحة واحدة منها ، وهي أنه أصدر قرار حرمان ضد كيرلس بضريرك الإسكندرية باعتباره من أصحاب البدع . أما التهم الأخرى وهي أنه كان نسطورياً وأنه قد صدرت عنه أقوال معيبة في موعظته في يوم عيد الفصح سنة ٤٤٥ ، وغيرها من التهم فقد أنكرها . ولقد شهد ضده في هذه المحاكمة أربعة شهود . ذهب اثنان منهم إلى القسطنطينية لأنهما ارتابا أن دومنوس كان منحازاً إلى جانب إيهيبا . وفي غيابهما تأجلت المحاكمة إلى أجل غير مسمى . ولقد استأنف هذان الشاهدان اللذان وليا وجهيهما شطر العاصمة . الأمر إلى الإمبراطور ، فعهد بالقضية إلى لجنة خاصة صدرت إليها الأوامر بالاجتماع في صور (Tyre) ولكن مكان الاجتماع غير فيما بعد إلى بيروت (Berytus) . وقد رفض أعضاء اللجنة البت في الموضوع . ووضعت حل وسط في ٢٥ فبراير . ارتضى بمقتضاه إيهيبا أن يصدر علانية لعنته على نسطوريوس وأن يقبل قرارات مجمع إفسوس . ولا يمكن لهذه الهدنة أن تدوم . ذلك أن أعداء إيهيبا كانوا نشيطين وكان لهم أصدقاء كثيرون في البلاط . ولذلك فقد عقد مجمع آخر في إفسوس في نفس السنة ، وهذا هو « مجمع اللصوص » الشهير وقد عزل إيهيبا وطرد من الكنيسة . ولكن الفضيحة التي أثارها هذا المجمع قد سببت تغييراً في الشعور العام ، فلما عقد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ أعاد إيهيبا على اعتبار أنه حرم بغير سند قانوني ، ولكنه طلب منه أن يعلن اللعنة على كل من نسطوريوس وأوطيخي ، ففعل ذلك واستعاد كرسيه . والظاهر أن أخلاق إيهيبا الشخصية قد أفادته في هذا الصراع فقد احتفظ في هدوء بسلطانه على كرسيه إلى أن توفي في ٢٨ أكتوبر سنة ٤٥٧ وعندئذ استأنف نونوس الذي كان قد نُحى عن استرداد إيهيبا لمركزه الأسقي .

وعندما نُصّب إيهيبا أسقفاً عيّن تلميذه برسومة وهو من أهل شمال ما بين النهرين رئيساً على المدرسة . لقد شارك برسومة أستاذه إيهيبا في الحرمان

الذى صدر ضدّهما سنة ٤٤٩ ؛ والمفروض أنه أعيد إلى سيطرة الكنيسة عندما نقض مجمع خليقدونية قرارات مجمع اللصوص . ولما توفى إيهيبها كان برسومة لا يزال رئيساً للمدرسة . وحيث أنه كان السند الأعظم للمذهب النسطورى فقد كان الهدف الأول لاضطهاد عنيف من نونوس . ولم يعد في طاقته احتمال هذا الاضطهاد فقرّر أن يهجر الرّها وأن يطلب حياة جديدة في مملكة فارس . وليس من الواضح ما إذا كان قد نفي فعلاً ، فإن أعداء المذهب النسطورى كانوا أقلية في مدرسة الرّها ، ولكنهم كانوا أقلية قوية وكان لهم إذ ذاك سند من الأسقف . وقد ذهب البعض إلى أن مدرسة الرّها كانت نسطورية المذهب ، أما مدينة الرّها فكانت مضادة للمذهب النسطورى .

ينطوى تاريخ هذه الفترة على صعوبات عديدة في التسلسل التاريخي لا سبيل إلى حلها بسهولة . ومع ذلك فيمكن اعتماداً على مصادر خارجية أن نحدد بعض النقط الثابتة وهى :

في سنة ٤٣٥ أصبح إيهيبها أسقفاً للرّها وعهد بالمدرسة فيها فيما يظهر إلى برسومة في ذلك التاريخ أو بعده بقليل وفي سنة ٤٤٩ عقد « مجمع اللصوص » وخلعهما كليهما من مركزيهما . وفي هذه السنة قامت ثورة شعبية ضد برسومة تطالب بنفيه من المدينة وكان من زعماء النسطوريين ومن أكثرهم بلجاجة . وكان في الرّها أقلية قوية ضد المذهب النسطورى . وقد ذهب البعض إلى أن المدرسة كانت نسطورية المذهب وأن عامة الشعب لم تكن كذلك . ولكن هذا الرأى مشكوك في صحته .

في سنة ٤٥١ أعيد إيهيبها إلى مركزه بقرار من مجمع خليقدونية ، والمرجح أن برسومة قد أرجع هو الآخر في نفس الوقت .

في سنة ٤٥٧ توفى إيهيبها . ونفذ خليفته نونوس قرارات مجمع خليقدونية بالقوة وقسا في معاملة النسطوريين . ونتج عن هذه القسوة أن هاجر بعض الأساتذة النسطوريين (بما فيهم برسومة ؟) إلى فارس .

في سنة ٤٧١ صار قورش (Cyrus) أسقفاً على الرُّها واستمر في سياسة العنف والعداء لإزاء النسطورية .

في سنة ٤٨٢ حاول الإمبراطور زينون أن يستميل إلى حظيرة الكنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين كانوا قد انفصلوا عنها . فأصدر قرار التوحيد (Henoticon) للتوفيق ؛ وقد كان قرار التوحيد هذا موجهاً بصفة أولية إلى كنيسة مصر ، وقد أدان فيه نسطوريوس وأيد كيرلس السكندري ولم يؤيد قرارات مجمع خلقيدونية ولم يرفضها . لقد كانت الحكومة الإمبراطورية حريصة على استرضاء أصحاب الطبيعة الواحدة ولكنها لم تعر النسطوريين أهمية كبيرة لأنهم كانوا صغرى الشأن نسبياً . واعتبر النسطوريون قرار التوحيد هجوماً مباشراً على مذهبهم وانزعجوا أشد الانزعاج للأسلوب الذي انحازت به الحكومة ، فيما بدا لهم ، نحو أعدائهم أصحاب الطبيعة الواحدة .

في سنة ٤٨٩ أقنع قورش أسقف الرُّها الإمبراطور زينون بأن يغلق مدرستها نهائياً ، فهاجر الأساتذة النسطوريون فوراً إلى فارس ولقيهم فيها برسومة وحملهم على الاستقرار في نصيبين حيث افتتحوها مدرسة ، كل تعليمها نسطورية . وقد انحدرت هذه المدرسة مباشرة من مدرسة نصيبين وصارت فيما بعد الجامعة الرئيسية الكبرى للطائفة النسطورية .

وقد تعرضت مدرسة الرُّها للتطهر مرتين اثنتين ، إحداهما في سنة ٤٥٧ والأخرى في سنة ٤٨٧ ؛ وقد هاجر منها كل من بقوا فيها من النسطوريين بعد التطهير الثاني .

إن ملوك الفرس المعاصرين لتلك الفترة هم :

يزدجرد	٤٣٨ - ٤٥٧
فيروز	٤٥٧ - ٤٨٤
بالاش	٤٨٤ - ٤٨٨
قباد الأول	٤٨٨ - ٥٣١

أما الجثالة أو المطارنة المعاصرون لهم فهم :

يهب الله	٤٢٠ — ٤١٥
معنى ، فاربنخت	٤٢٠
داد أيشوع	٤٢١ — ٤٥٦
بابوى	٤٥٧ — ٤٨٤
أفاق	٤٨٥ — ٤٩٥ — ٦
بابى	٤٩٧ — ٥٠٢ — ٣

وقد ذكر المؤرخ سميان من البيت الأرشى أن برسومة وأفاق ومعنى ويوحنا وبولس بن قاقى وإبرهيم ونرسى ، كانوا جميعاً من معلمى مدرسة الرها ، وأنهم هاجروا إلى فارس بعد موت ليهيها سنة ٤٥٧ وأن بابوى استقبلهم هناك ، وأنهم استقروا فى الأبروشيات الفارسية وعندئذ عكف برسومة على لم شمل النسطوريين وفرض المذهب النسطورى على الكنيسة الفارسية . وسمعان هذا من أصحاب الطبيعة الواحدة وهو شديد التعصب .

ويبدو فى وضوح أن بابوى قد صادق برسومة وأنه قدّمه إلى الملك فيروز . ولما شهد الجثاليق بأنه كان قديراً على مفاوضة الرومان ، عهد إليه فيروز بالإشراف على تحصين الحدود واستخدمه فيما بعد فى لجنة مهمتها الإشراف على الحدود مع المرزبان الفارسى والقائد الرومانى وملك العرب . وقد حدث كل هذا ولا شك قبل صيف سنة ٤٨٤ حين توفى الملك فيروز . والمرجح أن هذا كان قبل أبريل من تلك السنة فى أبريل أعدم بابوى .

وقد اتخذ برسومة فيما بين ٤٥٧ و ٤٨٤ خطوات فعالة لنشر المذهب النسطورى فى فارس . فقد أقنع الملك بأنه لا بد من أن تكون الكنيسة الفارسية مختلفة عن الكنيسة الأرثوذكسية فى الإمبراطورية الرومانية . وكانت إحدى الخطوات التى اتخذها للوصول إلى هذا الهدف هى حمل الأساقفة على الزواج ، وهو أمر يوافق كل الموافقة معتمد الفرس فى أن واجب كل رجل أن

يتزوج وأن ينجب الأبناء . وعقد لهذا الغرض مجعاً في بيت لابات . (جنديسابور) في أبريل سنة ٤٨٤ فام يحضر إلا عدد قليل من الأساقفة ، وتقرر في هذا المجمع شرعية زواج الأساقفة . تم تقرر فيما بعد إلغاء هذا المجمع واعتباره كأن لم يكن . وذلك لأن برسومة لم يكن مطراناً والمطران هو الشخص الوحيد الذي يحق له أن يدعو لعقد مجمع . وبناء على ذلك لم تدرج قرارات هذا المجمع في « المجمع الشرقية » . ولا شك أن برسومة قد اعتمد على أنه سيرسم جاثليق عند موت بابوى . ولكن بما أن حاميه فيروز قد مات بعد بابوى بقليل ، وقبل أن يجتمع الأساقفة لانتخاب مطران جديد فقد تهيأ للأساقفة أن يعقدوا انتخاباً حراً ، وحيث أنهم كانوا يرون في برسومة رجلاً حاد المزاج قوى الشكيمة فقد آثروا أن ينتخبوا أفاق (Aqaq — Acacius) الذي كان كذلك من مدرسة الرها . لقد عقد الجاثليق الجديد مجعاً محلياً في بيت عدرای في أغسطس سنة ٤٨٥ دعّم فيه قرارات مجمع بيت لابات كما عقد مجعاً آخر أكثر هيبة في سلوقية في فبراير سنة ٤٨٦ ، وقد وصلت إلينا قرارات هذا المجمع (المجمع الشرقية ٢٩٩ — ٣٠٩) ، ويمكن أن نستنتج منها الاتجاه العام للتغيرات التي أجراها برسومة والتي كانت تهدف إلى التوفيق بين الكنيسة النسطورية والأصول المرعية في فارس . ولقد كان كل هذا فيما يبدو رد فعل للاتجاه المعادي للمذهب النسطوري في الإمبراطورية الرومانية في عهد زينون . ولا تزال الرسائل الست التي تبودلت بين برسومة وبين الجاثليق ، أفاق ، محفوظة في المجمع الشرقية (٥٣٢ — ٥٣٩) وهي ترينا أن برسومة كان عدواً للدودا لكل شيء معادي للمذهب النسطوري ، وخادماً أميناً للعرش الفارسي .

ولعل نرسي قد استمر في الرها إلى أن أغلقت مدرستها نهائياً سنة ٤٨٩ وخلف برسومة على رئاستها ، أو لعله رافق برسومة في هجرته إلى فارس قبل إغلاق المدرسة نهائياً كما يقول سمعان الأرمني ، فقد كان مثله شديد الدفاع

عن المذهب النسطورى . ومع ذلك فقد كان نَرَسَى فى فترة من الفترات معادياً لبرسومة ولاقى منه معاملة خشنة . ولا شك فى أن برسومة كان متغطرساً وذا مزاج حاد وبعد. أن نُصِّبَ برسومة أسقفاً فى نصيبين سنة ٤٨٥ وعقب إغلاق مدرسة الرُّها على الأرجح (٤٨٩) أنشأ مدرسة نصيبين ووضعها تحت إدارة نَرَسَى (انظر ما يلى)

إن سمعان يقرن شخصاً ثالثاً ببرسومة ونَرَسَى فى نشر المذهب النسطورى فى فارس بعد سنة ٤٥٧ . وهو شخص مجهول يسمى معنى ويقال إنه صار جاثليقاً . ولكن الجاثليق الوحيد الذى يحمل اسم معنى ويظهر فى قائمة المطارنة الفرس قد نصَّب جاثليقاً سنة ٤٢٠ فى آخر سنى حكم الملك يزدجرد الأول ، أى قبل موت إِيهِبِهَا بسبعة وثلاثين عاماً . هذا ويقول سمعان إنه ترجم كتباً سريانية إلى الفارسية القديمة وإنه وضع ترجمة سريانية لشروح ثيودور المصيصى بناء على طلب إِيهِبِهَا . لقد لجأ يزدجرد الأول فيما تقول الروايات النسطورية إلى اضطهاد النساطرة فى السنة الأخيرة من حكمه ، وكان الذى دفعه إلى هذا الاضطهاد هم الكهنة الفرس الذين أزعجهم انتشار المسيحية . وهذا يعنى على الأرجح أن كثيرين من المزددين قد اعتنقوا المسيحية . وهذا مخالف للقانون الفارسى . ولذلك فقد خلع يزدجرد معنى وحرمه من الإشراف على أمور الكنيسة وأعادته إلى مسقط رأسه . ويشير مارى (Mare) والياس (Elias) من نصيبين إلى أنه نفى وسجن ثم أطلق سراحه على أساس ألا يطالب هو أو أحدٌ غيره بلقب جاثليق . إن اسم معنى لا يظهر على الإطلاق فى سجلات الكنيسة النسطورية . ويرد فى الأخبار أن معنى وفارنجت وداد أيشوع قد صاروا جثالقة فى ٤٢٠ أو ٤٢١ ولكن الأخبار كلها متفقة على أن داد أيشوع قد شغل هذه الوظيفة من ٤٢١ إلى ٤٥٦ وأن الذى خلفه عليها هو بابوى صديق برسومه . إن أرجح التفسيرات لهذا التضارب هو أنه عند موت الجاثليق « يهب الله » فى سنة ٤٢٠ عقد انتخاب تنازع فيه مرشحون ثلاثة ، وأن

معنى وفاربخت احتفظا بنفوذهما فترة وعندئذ حصل داد أيشوع على اعتراف عام به سنة ٤٢١ ، وأنه قد خلط بين معنى وكان أقل شهرة من زملائه وبين سميته الذي هجر الرها مع برسومة

وثمة اسم رجل مغمور آخر يحل أحياناً فيما يبدو محل اسم معنى هو اسم ماري (Mari) الفارسي. ويقال عنه كما يقال عن معنى إنه من بيت أزديشير وهو اسم سلوقية الرسمي. وهذا يعني أنه كان أسقفاً لسلوقية ومن ثم جاثليقاً. ولكن ليس في قوائم المطارنة جاثليق بهذا الاسم. ويقال إنه ترأس مع إيهيها ولكن الجاثليق أيام إيهيها كان داد أيشوع. وقد ذهب البعض إلى أن ماري تستعمل أحياناً بدلاً من اسم داد أيشوع لأن ماري معناه « السيد » وهو لقب تشريني يضاف عادة إلى اسم الجاثليق. وقد اتفق أن ظن الناس أنه اسمه. ولا شك أن اسم داد أيشوع كان صعب الكتابة في اليونانية (١) .

أما سائر أساتذة الرها الذين هاجروا منها إلى فارس فن السير إحصاء أسمائهم ومنهم أفاق الذي صار جاثليق سنة ٤٨٥ وأبا يزيد (Aba Yazadid) ويوحنا (من بيت جرمي شرق دجلة) وقد أصبح أسقف بيت ساري ، وأبراهام الميدي وبولس بن قاق الذي صار أسقف بيت هزي (الأهواز) ومات حوالي سنة ٥٣٥ ، وميخا الذي صار أسقف لاشوم من بيت جرمي ، وبوسي (Pusi) الذي أصبح أسقف هزي وإزاليا (Ezalaye) من دير كفر ماري وأبشوتا من نينوى - كل هؤلاء ذكرهم سمعان من البيت الأرمني وأضاف إليهم نعتاً تهكمية لأنهم تمسكوا بالتعاليم النسطورية في الرها بعد سنة ٤٥٧ ، وهو يقول إن أكثرهم من تلاميذ نرساي (Narsai) ولعل هذا يعني أنهم ظلوا تحت إشرافه بعد أن انتقل إلى نصيبين. ولقد كان كل هؤلاء من الفرس. والظاهر أنهم كانوا خلاصة طلاب اللاهوت في الكنيسة الفارسية وهم الذين كانوا قد

(١) انظر لابور Labourt « المسيحية في الإمبراطورية الفارسية » Le Christianisme

؛ dans l'Empire Perse. ص ١٢٣ ملاحظة ٦ .

أرسلوا ليستكملوا دراساتهم في الرُّها - الجامعة السريانية الأولى . وقد رجعوا إذ ذاك إلى وطنهم . إن أمثال هؤلاء المبعوثين كانوا معددين لتولي الوظائف الكبرى على أى حال .

كل هذا يبين مراحل انتقال الدراسات اليونانية المتصلة في صورة سريانية منقحة من الرُّها عبر الحدود الفارسية إلى نصيبين ، ومنها انتشرت آخر الأمر بين الطائفة النسطورية ومن ثم وصلت إلى العرب . إنها حلقات متميزة في مراحل الانتقال الثقافي ، كادت أن تنقطع في وقت من الأوقات ولكنها اتصلت من جديد ، وهذا هو موضوع دراستنا الآن .

إن الدراسات اليونانية التي انتقلت من مدرسة الرُّها إلى المدرسة الفارسية في نصيبين كانت تتألف بصفة رئيسية من مؤلفات أرسطو في المنطق ومن كتاب إيساغوجي لفورفوروس . أما دراسة منطق أرسطو فقد أدخلها بين المسيحيين المتكلمين السريانية لإيهبها الذي ترجم أو أوصى بترجمة كتاب العبارة وكتاب التحليلات الأولى لأرسطو وكتاب الإيساغوجي لفورفوروس . وسرعان ما تدولت هذه الكتب مع شروح بروبوس (حوالى ٤٥٠) مستقلة عن تفسير المفسرين اليونانيين ولكنها كانت تعتمد بعض الاعتماد على شروح أمونيوس . وفي عصر متأخر استعمل النساطرة شرح أمونيوس أما أصحاب الطبيعة الواحدة ففضلوا شرح يوحنا فيلويونوس . إن إيهبها قد أدخل دراسة المنطق الأرسطاليسى أول الأمر ليوضح تعاليم ثيودور المصيصى اللاهوتية ويفسرها . وظل هذا المنطق على الدوام المقدمة الضرورية للدراسات اللاهوتية في التعليم النسطورى كله . إن المنطق الأرسطاليسى والطب اليونانى والفلك والرياضيات هى التي انتقلت آخر الأمر إلى العرب . ويقال إن برسومة قد وضع مواعظ وتساييح وقداصات منظومة ، وأكثر إنتاجه الأدبى طرافة هو الخطابات الستة التي كتبها إلى الجاثليق أفاقوس وهى محفوظة لحسن الحظ في « المجامع الشرقية » وقد نشرها .

ج . شابو (J. Chabot) مع ترجمة وتعليقات في باريس سنة ١٩٠٢

لقد كان نَرْسَى الذى عهد إليه برسومة بالإشراف على مدرسة نصيبين بعد أن أعيد لإنشاؤها ، كاتباً مكثراً ، مع أنه لم تبق من أعماله الكثيرة إلا قطع يسيرة . ويعزو إليه عبد أيشوع تفاسير على الكتاب المقدس ، و ٣٦٠ عظة منظومة وقداساً ، وإيضاحاً لقداش القرايين ولقداش العماد ، وتسابيح مختلفة ، منها اثنتان كثيراً ما تقعان في الصلوات اليومية النسطورية .

لقد توفي نَرْسَى على الأرجح بين ٥٠٠ و ٥٢٠ وخلفه ابن أخيه أبراهام ، وكان أشهر تلاميذه يوحنا النصيبينى ويوسف الهزى (الاهوازى) الذى توفي حوالى سنة ٥٧٥ . ويوحنا النصيبينى مؤلف عدة شروح لأسفار الكتاب المقدس وبعض المقالات اللاهوتية « ولو صح حقاً أنه مؤلف المقالة في الطاعون في نصيبين وفي موت كسرى الأول أنوشروان فقد كان إذن حياً سنة ٥٧٩ وهى السنة التى مات في ربيعها هذا الملك »^(١) . وكان يوسف الهزى أول نحوى سريانى^(٢) .

٤ — العصر المظلم في الكنيسة النسطورية

إن كل صورة من صور الثقافة العقلية تتعرض في انتقالها عن طريق لغة أجنبية للتعديل . وقد يكون هذا التعديل مجرد تعديل سطحي ؛ وقد كان هذا هو الوضع بالنسبة للدراسات اليونانية في انتقالها عن طريق الترجمات السريانية . ومع ذلك فإن هذا التعديل كان أبرز ما يكون في الدوائر النسطورية . لأن هذه الدوائر صارت بشكل واضح أقرب إلى النزعة الشرقية بعد أن انتهج برسومة سياسته التى تعتمد فيها أن يصيغ الكنيسة النسطورية

(١) انظر رايت (Wright) تاريخ الأدب السريانى صفحة ١١٥ .

(٢) انظر مركس (Merx) «علم التحو عند السريان» ليزنج ، ١٨٨٩ ص ٢٦ وما بعدها .

بالصبغة الفارسية . وقد أسفرت سياسته عن وجود هوة عميقة بين المسيحية اليونانية بصورتها التي هي عليها في الإمبراطورية الرومانية وبين المسيحية النسطورية كما استقرت في فارس . وكان الانشقاق النسطورى قد خلق انقساماً في المذهب والعقيدة : فالجامع المحلية في سنة ٤٨٤ والأعوام التالية قد خلقت اختلافاً في النظام الكنسى المتبع ، ظل سائداً إلى أن نقضت قراراتها في سنة ٥٤٤ ؛ وفي طقوس العبادة ظهر الاختلاف لأن الصلة قد انقطعت بعد سنة ٤٥٧ بين النساطرة وبين قداسات الكنيسة الشرقية عامة . وقد زاد من هذه القطيعة ما وضعه برسومة وغيره من قداسات خاصة : ومن الناحية السياسية كان الاختلاف راجعاً إلى أن الكنيسة اليونانية ظلت تحت حكم الإمبراطورية في بزنطة في حين أن النساطرة كانوا رعايا ملك الفرس : ومن الناحية الثقافية كان الاختلاف راجعاً إلى أن الطلبة - سواء طلاب اللاهوت وغيرهم - لم يعودوا يطلبون العلم في بلاد لغتها الحية اليونانية . وقد اتسع خرق هذا الاختلاف الذى بدأه برسومة في عهد خلفائه المباشرين .

لقد تلقى أفاق وخليفته بابى تعليماً ، إن يكن سريانى الصورة فقد كان يونانى الجوهر . وصارت الأسقفية بعدهما أكثر ميلاً إلى الفارسية . وكلما أهملت الأسقفية في نزعتها الشرقية كلما زاد تدهورها .

إن النظام المتبع في الكنيسة الشرقية كان يشجع زواج رجل الكهنوت ذى الأبروشية ، على النحو المدنى وبشرط أن يكون الزواج قبل الرسامة ؛ ولكنه لم يكن يسمح بالزواج بعد الرسامة ولا بالزواج مرة ثانية . أما الرهبان والراهبات فكانوا بالطبع من البتولين . أما الأساقفة وبعض الأجبار الآخرين فيختارون من بين الكهنة النظاميين غير المتزوجين .

لقد تولى هرمز الثالث ابن يزدجرد الثانى العرش الفارسى فترة قصيرة بعد موت والده . ثم خلفه فيروز وهو الذى أقنع الجاثليق بابوى بأن يتزوج

فتاة فاتنة الجمال اختارها له بنفسه ، إذ كان من أنصار المذهب الفارسي القائل بأن من واجب كل رجل أن يتزوج . ولم يستطع بابوى أن يعصى أمر فيروز ولكنه أرجع الفتاة من فوره إلى أهلها . وقد تصرف فيروز تصرفاً على هذه الشاكلة في صداقته مع برسومة . ولم يستطع برسومة عصيانته وأبقى العروس ولو أنه امتنع عن أى علاقة زوجية معها فيما يقول المؤرخون النسطوريون . وقد استبدت برسومة الرغبة في تعميق هوة الخلاف بين النساطرة واليونان ، كما حرص على إرضاء الملك فأشار بأن يسمح للأساقفة بالزواج حتى بعد رسامتهم ، فقد رغب في أن يتمتع القساوسة المسيحيون بسمعة طيبة عند الوثنيين والمجوس .

لقد أسفرت سياسة برسومة عما أصدره المجمع الذى انعقد في سلوقية سنة ٤٨٦ من قوانين . فبعد أن قرر المجمع تأييد المذهب النسطورى (القانون الأول) ، تقرر أنه لا يجوز للربان أن يدخلوا المدن التى يكون فيها كاهن ذو أبروشية ، وألا يقيموا القداس بل يجب عليهم الإقامة في أديرتهم أو صومعاتهم الصحراوية (القانون الثانى) ، كما تقرر أن نذر التبتل لا يُقيد إلا رجال الكهنوت المقيمين في الأديرة دون غيرهم . أما من كانوا في سلك الشماسة فعلا فلا يجوز لهم أن يتزوجوا ، على ألا يسمح لشخص من بعد بأن يرسم شماساً إلا إذا كان متزوجاً وأنجب أولاداً . ويجوز للقبس ، شأنه شأن سائر المسيحيين ، أن يتزوج مرة ثانية . ومن سنة ٤٨٦ إلى أن نقضت هذه القرارات كانت الكنيسة الفارسية (النسطورية) شرقية المنزع بلا ريب ، وكانت سائر الأقطار المسيحية تعدها فرعاً متحلاً من المسيحية .

إن موت برسومة لم يوقف حركة تشرب الكنيسة النسطورية بالروح الفارسية ، فقد انعقد في سلوقية سنة ٤٩٩ مجمع أقر رسمياً زواج الجناثقة والأساقفة والقساوسة .

وتلت موت الجاثليق بابي في سنة ٥٠٢ أو ٥٠٣ فترة من الفوضى عندما أخفق الأساقفة الفرس في الاتفاق على تعيين مطران ، وأخيراً عين شيلا الذي كان رئيس الشمامسة في عهد بابي لأنه كان ذا حظوة لدى الملك قباد ٥ ولكنه لم يثبت جدارة فقد تصرف في ممتلكات الكنيسة في مصلحة ولده ، وأوصى بأن يخلفه خنته إليشع (Elisha) وهو نوع من المحسوبية كان من الطبيعي ظهوره بين رجال الدين المتزوجين ؛ وعندما توفي شيلا في سنة ٥٢٣ انتخب بعض الأساقفة نرسي أسقف الحيرة جاثليقاً ؛ ورسموه في سلوقية . ولكن كان لإليشع أنصار عقّلوا له حفل رسامة لمناوءة هؤلاء في طيسفون بالقرب من سلوقية . وهكذا حدث الانقسام في الكنيسة النسطورية . وكان كل حزب منهما ينتخب أساقفته ورجال كهنته ويصدر الحرمان على الحزب الآخر . وفي سنة ٥٣٥ توفي نرسي ولكن أنصاره انتخبوا بولس رئيس شمامسة سلوقية ورسموه مكانه وهكذا استمر الانقسام . وكان بولس طاعناً في السن وقد توفي بعد شهرين من رسامته ، وعندئذ انتخب حزب نرسي مارأبا (Maraba) الذي كتب له أن يكون مصالح الكنيسة النسطورية ، وزعيم حركة البعث العلمي التي أحييت الدراسات في الرّها . وليس من نافلة القول أن نلّم بهذا التاريخ مهما يبدو من تهاوة بعض جزئياته ، لأنه يبين إلى أي درك بلغ تدهور الطائفة النسطورية وانحلالها تحت الحكم الفارسي ، وكيف انقطعت صلتها تماماً عن مجرى الحياة المسيحية الرئيسي وعن الدراسات اليونانية .

٥ - حركة الإصلاح النسطوري

كان مارأبا (Maraba) من أهل المنطقة الواقعة غربي دجلة : أما عن دينه فقد نشأ على العقيدة الزدية وشغل وظيفة « أرزبد » في مسقط رأسه في الحكومة الفارسية ، ثم رقى إلى وظيفة مساعد كاتم أسرار لدى « هاماراجرد » بيت

أرى : وفيها التقى بواعظ مسيحي يدعى يوسف ، كان من تلاميذ مدرسة نصيبين . وسافرا سوياً فعامله مارأبا بازدرأ لأنه مسيحي ، ولكنه غلب على أمره لما وجدته من تواضعه وحسن استعداده لتقديم المساعدة له عندما وقعا في موقف حرج عند فيضان أحد الأنهار وبعدئذٍ بدءا يتجاذبان أطراف الحديث ويناقشان المسائل المتعلقة بديانتهما وكان من نتيجة هذا النقاش أن تعتمد مارأبا وصار مسيحياً : وبعد ذلك التحق مارأبا بمدرسة نصيبين وتعلق بأستاذ يدعى « معنى » (Ma'na) ولما نصب معنى أسقفاً على أرزون صحبه مارأبا إلى مقر كرسيه وأبدى نشاطاً في وعظ الوثنيين والملحدين . وبعد ذلك رجع إلى نصيبين وأكمل دراسته فيها . وعندئذٍ بدأ رحلاته في الإمبراطورية الرومانية ليزيد معرفته باللغة اليونانية فقد كان فيها مؤلفات كثيرة تتصل بالدين المسيحي . وفي الرُّمَّا التقى برجل سوري يدعى توما أعطى له دروساً في اللغة اليونانية . وزارا معاً الأماكن المقدسة في فلسطين وأديرة شيهات (أستبط) التي لا تكاد تقل عنها قداسة في مصر ، وهي مهد حياة الرهبنة . وأخيراً عاد إلى فارس فأزعجته حالة الكنيسة النسطورية وما دب فيها من شقاق قسمها قسمين ، حتى أنه كان على أهبة واستعداد أن يقف نفسه على حياة التنسك على غرار النساك الذين رآهم في مصر . ولكن الأساقفة تدخلوا وثنوه عن عزمه ، مُصرين على أنه ينبغي أن يضطلع بالتدريس ، ثم انتخبوه بعد مدة جاثليقاً ، وحضوه على أن يعمل على صد دعاية أصحاب الطبيعة الواحدة التي آذنت حينذاك بالتغلغل . وكانت مهمته الأولى إعادة النظام إلى الكنيسة . وعندئذٍ توفر على الهوض بالدراسات وبخاصة منطق أرسطو . ولتحقيق هذا الهدف أنشأ مدرسة في سلوقية ، فليس من أساس للقول بأن إنشاء تلك المدرسة كان سابقاً لهذا التاريخ ، وقد كان للمدرسة سلوقية هذه تاريخ مجيد ولكنها لم تصبح أبداً منافساً خطيراً للمدرسة نصيبين القديمة وهي التي ظلت الجامعة الرئيسية للمسيحية النسطورية .

لقد ظل مارأبا أسقفاً من ٥٣٦ إلى ٥٥٢ ومن سوء الحظ أن نشاطه العظيم قد أثار الغيرة ، وكان له مع الملك كسرى الأول مشاجرة كان من نتائجها أن أمر الملك بهدم الكنيسة النسطورية في سلوقية وأرسل مارأبا إلى المنفى في أذربيجان . ولما كان مارأبا قد ارتد عن الديانة المزدية إلى المسيحية فقد كان يجوز فيه حكم الإعدام . ولكنه لم يكن المرتد الوحيد الذى نجا من حكم الإعدام . وقد رجع من منفاه دون إذن من الملك فألقى به في السجن ومات فيه في ٢٩ فبراير سنة ٥٥٢ : ونقل جثمانه إلى الحيرة^(١) ودفن فيها وبني دير فوق قبره . وكانت مدينة الحيرة العربية هذه قد أصبحت في ذلك الوقت معقلاً قوياً للمذهب النسطورى : ويقال إن مارأبا قد قام بمحاولة لتنقيح البشيتا وهى الترجمة السريانية للعهد القديم ولعله حاول كذلك تنقيح ترجمة العهد الجديد أيضاً ، ولكن النسطوريين بوجه عام تعلقوا بالترجمة القديمة التى تعودوا عليها . وقد وضع مارأبا شروحاً لأسفار التكوين والمزامير والأمثال وتعليقاً على رسائل القديس يولس ووضع عظات وتسايج ورسائل وقوانين مجمعية . وقد كانت هذه القوانين شديدة المعارضة لمبدأ زواج الأساقفة والقساوسة . وكان أثر مارأبا بوجه عام هو بعث الحياة في الكنيسة النسطورية والخروج بها من عزلتها الشرقية ووصلها بالكنيسة اليونانية بأوثق الصلات .

وعاش في عصر مارأبا كاتبان يعرف كلاهما باسم أبراهام من أهل قشقر وكان أحدهما من طلاب الفلسفة كما كان مصلحاً للأديرة ، ويقال إنه كتب بحثاً في حياة الرهبنة ، ترجمه تلميذه أيوب الراهب إلى الفارسية . وأما سمييه وهو من مدرسة نصيبين فكان هو الآخر مصلحاً للأديرة وكان يعظ في الحيرة وقد حوّل الكثيرين من العرب الوثنيين إلى المسيحية . ثم ذهب إلى مصر وسيناء وختم حياته ناسكاً في جبل عزلا . وترك مجموعة من

(١) انظر ملاحظات (٤) .

قوانين الأديرة ، وهى أقسى بكثير من القوانين التى كانت فيما سبق متبعة فى الأديرة النسطورية .

ونصب مارأبا تيودور المروزي أسقفاً فى مروسنة ٥٤٠ ، وقد كان ثيودور تلميذاً لسرجيوس الرسعيني الذى يعد من أصحاب العقيدة الواحدة (فيما يلى ذكره) . وقد كان مثل أستاذه من دارمى المنطق الارستطاليسى . وإننا لنجد فيه كما نجد فى أبراهام القشقرى (الأول) شاهداً على النهضة الروحانية التى ظهرت فى عهد مارأبا بين أصحاب الطبيعة الواحدة وغيرهم كما ظهرت فى الأوساط النسطورية . ولكن مارأبا كان العامل الأول فى توجيه التناصرة إليها . وكان جبريل أخو ثيودور أسقفاً على هرموزد أردشير (الأهواز) : وقد ترك هو الآخر آثاراً أدبية ولكنها كانت لاهوتية صرفة ، وهى عبارة عن شروح على الكتاب المقدس ورسالة ضد المانويين وضد المنجمين .

وبانتعاش مدرسة نصيبين بدأ النسطوريون نظاماً فى التعليم العام فى مدارس ملحقة بكنائسهم . وكان الأولاد يتعلمون فيها التساييح والموسيقى الكنسية . أما مدرسة نصيبين ذاتها فقد كانت ضرباً من حياة الشركة فقد كان الطلبة يقسمون على التزام البتولية والإقامة المستمرة والانتظام والجد . ولم يكن الطلبة كلهم رهباناً أو ينتهون الانخراط فى سلوكها ، ولم تكن هذه النتنور ولا هذا النظام يفيدهم إلا طالما كانوا يحضرون الدروس . ولقد كان حنانا الأديبيني (الحزبي) رئيساً لهذه المدرسة . ويقال إنه كان مقيداً بالمدرسة فى عهده ٨٠٠ طالب . ولكن المدرسة اضطربت فى مستهل القرن السابع من جراء المشاحنات التى سببها دعاة الإصلاح بإعادة تطبيق النظم السالفة الصارمة واتباع المذهب النسطورى فى صورته المحددة التى كانت سائدة أيام برسومة . ذلك أن حنانا كان يدعو إلى صورة معدلة من العقيدة النسطورية وهى صورة قاربت عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية . وكان

لدعوته أتباع كثيرون كما كان لها أعداء كثيرون كذلك . ولذلك فقد انقسمت الكنيسة الفارسية وظهر صدى هذا الانقسام في المدرسة . فقد هجر نصيبين بعض الساخطين وأنشأوا مدرسة أخرى أكثر تمشياً مع آرائهم في أديرة أبراهام وبيت عابى ، ولكن هذه المدارس لم تصبح أبداً منافسة خطيرة للمدرسة نصيبين . وفي عهد الجاثليق أيشوع يهب (٦٢٨ - ٦٤٣) ادخلت الإصلاحات المرجوة على مدرسة نصيبين وهكذا التأم الصدع . وكانت مدرسة نصيبين مزدهرة إبان الفتح الإسلامى ولكنها لم تكن فيما يبدو ذات أثر مباشر على العرب . ولعل السبب في ذلك أنها كانت لاهوتية صرفة . وقد كانت ولا شك عاملاً غير مباشر في إدخال منطق أرسطو في سائر المدارس النسطورية في جنديسابور وسلوقية . أما الأثر الذى وقع على العرب فقد جاءهم بصفة خاصة عن طريق جنديسابور .

إن محاربة دعاية أصحاب الطبيعة الواحدة لم تثر حركة لإحياء العلوم بين النساطرة فحسب ، بل شجعهم كذلك على نشر دعوتهم في البلاد المتاخمة التي كان منافسوهم من أصحاب الطبيعة الواحدة قد كسبوا فيها الكثيرين من العرب الوثنيين وضموهم إلى حظيرة كنيستهم . وهكذا بدأ نشاط النساطرة التبشيري الذى سرعان ما انتشر بين العرب في الجنوب الغربى ثم اتجه نحو الشرق عبر آسيا الوسطى إلى أن بلغ الشرق الأقصى .

لقد كانت الحيرة كبرى المدن العربية على الحدود الفارسية . وحوالى نهاية القرن السادس تنصر النعمان ملك الحيرة ، وتبع هذا تحول كثير من الأعراب إلى المسيحية . وقد كان العرب وهم من قبيلة اللخمين يؤلفون الطبقة الأرستقراطية الحاكمة في الحيرة ، أما جمهرة الشعب فقد كانت من الآراميين السريان وكانوا فعلاً من المسيحيين . ويبدو أن هؤلاء العرب الذين اعتنقوا المسيحية قد أخذوا المذهب النسطورى وارتضوا أن يقوم بخدمة القدس رجال الدين النساطرة الذين يتكلمون السريانية ، واتخذوا السريانية لغة

لقداس ، فلم تكن هناك كتب بالعربية إلى ذلك الحين ، ولم تكن في العربية ترجمة للكتاب المقدس ، ولم يكن هناك قداس باللغة العربية . ويبدو أن حنين ابن إسحق وقد كان من أهل الحيرة اضطر إلى تعلم العربية في سن متقدمة . فقد كانت الطبقات الدنيا في الحيرة تتكلم السريانية .

لقد تقدمت البعثات التبشيرية النسطورية إلى الجنوب ووصلت إلى وادي انقري وهو إلى الشمال الشرقى من المدينة ولا يبعد عنها كثيراً . وقد كان قلعة رومانية لا تخفها القوات الرومانية بل تخفها الفرق المساعدة من قبائل قضاة . وفي أيام البعثة الحمديّة كان معظم هذه القبائل من المسيحيين . وكانت الأديرة والقلل والصوامع منتشرة في الوادي كله ، وقد كان الرهبان التسايرة ينتشرون من هذا المركز العام فيجوبون خلال بلاد العرب كلها . ويزورون الأسواق الكبرى ويعطون من يصيخون إليهم السم ، وقد جاء في أسيرة أن النبي قد ذهب إلى سوريا في شبابه والتقى بالقرب من بُصْرَى (Bostra) براهب يدعى نسطور ، رأى أنه قد كتب له أن يكون نبياً . (ابن سعد « الإتيان » الجزء الثاني . صفحة ٣٦٧) ولعل في ذلك إشارة إلى قيام الصلة براهب نسطوري . أما معقل المسيحية الأكبر في بلاد العرب فكان مدينة نَجْرَان ، ولكن أكثر سكان هذه المدينة كانوا من أصحاب الطبيعة الواحدة ، وما كان يسمى كعبتها كان فيما يبدو كاتدرائيتها المسيحية .

إن الثقافة اليونانية لم تنتقل إلى العرب عن طريق هذه الاتصالات الأولى ، فإن ما أضافه النساطرة في باب الثقافة قد جاء على التحقيق عن طريق جنديسابور ، ولقد تحقق انتقال العلوم اليونانية إلى العرب عندما استقرت الخلافة العربية في مدينة بغداد التي كانت حديثة البناء بالقرب من جنديسابور .

لقد كان مارياً أسقفاً إبان حكم كسرى الأول أنوشروان ٥٣١-٥٧٨ وبالرغم من أن هذا الملك قد شن حرباً ضد الرومان ، فقد كان شديد الإعجاب بالثقافة

اليونانية الرومانية واقتضت مشيئته أن يدخل العلوم اليونانية في مملكته ، فهو الذى رحب بالفلاسفة الذين شئتوا عندما أغلق جستنيان مدارس أثينا وعمل على تأمين سلامتهم وتوفير الراحة لهم عندما قرروا العودة إلى بلاد اليونان . فقد كان يحرص على أن تقوم في فارس مدرسة عظيمة مثل مدرسة الإسكندرية . وقد أنشأ مدرسة على غرارها في جنديسابور . وقد قرر في هذه المدرسة اتباع منهج الدراسة السكندرية وكانت كتب جالينوس نفسها هي التي يقرأها الأساتذة ويحاضرون وفقاً لها كما هو متبع في مدرسة الإسكندرية . ولم يكن هذا بدءاً جديداً ، فقد كان البرنامج الدراسي السكندري متبعاً في مدرسة حمص . والظاهر أن مناهج المدرسة الإسكندرية كانت عظيمة الشهرة وكانت تعد بوجه عام المناهج النموذجية في التعليم الديوى .

لقد كان الأطباء اليونان يبالغون في قيمة بعض الأعشاب والعقاقير التي لا يمكن الحصول عليها إلا من الهند ، ولذلك فقد أرسل كسرى عامله بود (Budh) وهو أسقف قروي (periodeutes) إلى الهند ليحصل على العقاقير . ويعزى إلى بود هذا كتاب يسمى ألف ميچين ومعناه شرح على الكتاب الأول من الطبعة لأرسطو Alpa to méva وقد ضاع هذا الكتاب . كما تعزى له ترجمة سريانية لمجموعة من القصص الهندية (البوذية) تعرف باسم كليلة ودمنة ولكن « من غير المعقول على الإطلاق أن يكون بود قد وضع ترجمته السريانية من الأصل الهندي (السنسكريتي) كما يقول عبد أيشوع فقد كانت أمامه ولا شك ترجمة بهلوية أو فارسية »^(١) . ويقال أيضاً إن كسرى قد أحضر طبيباً من الهند ليقوم بتدريس الطب على الطريقة الهندية وأقامه في سوس وهي تعني جنديسابور بالطبع . ولا نعرف عن هذا الطبيب شيئاً ، لا اسمه ولا أى جانب من جوانب نشاطه . وإذا حكمنا بالحاشية

(١) رايت . تاريخ الأدب السرياني ص ١٢٤ .

المعروف أن الذى ترجم كليلة ودمنة إلى الفارسية هو الطبيب برزويه ، كبير وزراء أنوشروان . (المراجع)

في الطب الهندى الملحقه بكتاب « فردوس الحكمة » لعلى بن سهل بن ريثان الطبرى (حوالى ٨٥٠) فالطب الهندى لم يبلغ شأواً كبيراً فى ذلك الوقت . فقد كان يدور على طرد الأرواح الشريرة التى تعتبر أصل الداء فى بعض انفضريات الغامضة المهمة لعلم النفس^(١)، ولعل الترجمات الفارسية لبعض كتب أرسطو ونحاورات تياوس وفيدون وجورجياس لأفلاطون قد وضعت من أجل كسرى الأول . فقد سمع أجاثياس (Agathias) عن بعض هذه الترجمات ولكنه لم يصدق بوجودها .

وفى عهد كسرى الأول عاش بولس الفارسى (المتوفى ٥٧١) وهو فيما يقول ابن العبرى « قد تفوق فى الأبحاث الكنسية والفلسفية ، وقد طمع فى أن يبلغ منصب أسقف فارس المركزى فلما خاب أمله تحول إلى الدين الزرادشتى » . قد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون . . . ويتحدث ابن العبرى عما كتب بولس من « مقدمة رائعة لديالكتيكا أرسطو » وهو يعنى ولا شك بحثه فى المنطق وهو محفوظ فى مخطوطة فريدة فى المتحف البريطانى (رقم ١٤٦٦٠ ف . صفحة ٥٥ ب)^(٢) وهى منشورة فى كتاب « قصص سريانية » لمؤلفه لاند (Land) (الجزء الرابع ، النص ١ ، ٣٢ والترجمة ١ - ٣٠)

وكانت هناك مدرسة فارسية فى رايشاهار فى مقاطعة أرجان وكانت الأبحاث تدور فيها فى الطب والفلك والمنطق ، وهذا يدل على أن برنامج مدرسة الإسكندرية كان متبعاً هنا أيضاً^(٣) . ويجرى أيضاً ذكر مدرسة لها مكتبة كبيرة فى

(١) انظر « فردوس الحكمة » نشره و . ز . صديق (W.Z. Siddiqi) برلين ١٩٢٨ .

(٢) رايت (Wright) « تاريخ الأدب السريانى » صفحة ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) معجم البلدان لياقوت ، نشر وستنفلد (Wüstenfeld) ج ٢ ، ص ٨٨٧ ، ترجمة : Barbier de Maynard, Geographical, Historical and Literary Dictionary of Persia, 270-1

الجلس (١) وهى الأخرى فى أرجان (٢) ، ولكننا لا نعرف إلا النزر اليسير عن هذه المدارس الفارسية أو عن الأطباء الفارسيين قبل العصر الإسلامى فيما عدا أسماءهم الواردة فى قائمة صغيرة ، كتبها منصور موافى الذى عاش فى مسهل القرن العاشر .

إن دراسة السريان لأرسطو كانت مقصورة على المنطق وكان يدرس معه إيساغوجى فرفوريوس ومختصر للفلسفة الأرسطاليسية من وضع نيقولا الدمشقى وهو مؤلف كتاب فى « النبات » اعتبره طلاب العرب فى وقت من الأوقات من مؤلفات أرسطو . وكان المنطق الأرسطاليسى يقرأ بمساعدة شروح كان أولها شرح بروبوس السريانى (سبق ذكره) ثم جاء شرح أمونيوس اليونانى أو شرح يوحنا فيلوپونوس . أما النساطرة فقد آثروا الشرح الأول ، وفضل أصحاب الطبيعة الواحدة الثانى . ويتجلى فى هذه الشروح أثر الأفلاطونية المحدثة ، وقد انتقل هذا الأثر عن طريق الترجمات والشروح السريانية إلى العرب .

والدلائل متصلة منذ عهد مارأبا فصاعداً على وضع الترجمات من اليونانية وعلى كتابة البحوث فى المنطق الأرسطاليسى ، فإذا قصرنا اهتمامنا فى الوقت الحاضر على الكتاب النسطوريين فيمكن أن نلاحظ ما يلى :

مارأبا الثانى (واسمه الأكثر شيوعاً هو أبا إذ أنه هو نفسه كان يفضل أن يختلف اسمه عن اسم سميه العظيم) وكان جاثليقاً من ٧٤١ إلى ٧٥١ وكثيراً ما كان يدعى أبا القشقرى لأنه كان أسقف تلك المدينة قبل أن يعين جاثليقاً . ويقال إنه كان ضليعاً فى الفلسفة والطب والفلك وهذا ما يبدو مطابقاً للبرنامج الإسكندرى برمته كما يقال إنه كان ملماً بحكمة الفرس واليونان

(١) Shi هى الجص ، قلعة منية بناحية الرجان ، يسكنها الجوس . (المراجع)

(٢) ابن حوقل جزء ٢ ص ١٨٩ ، ١٠ - ٢ .

والعبرانيين^(١) ويعزى إليه شرحٌ كتبه عن ديباليقتيا - منطق أرسطو . ولما صار جاثليقاً دخل مع أتباعه من رجال الكهنة في نزاع على إدارة مدرسة سلوكية . ويظهر أنه باء في هذا الميدان بالفشل لأنه غادر المدينة واعتكف عدة سنوات في مكان آخر ثم عاد في النهاية . لقد غزا العرب العراق سنة ٦٣٨ وفارس سنة ٦٥٢ ، وكانت بلاد ما بين النهرين وفارس طوال أسقفية مارأبا الثاني تحت حكم خلفاء بني أمية في دمشق . ومن هذا يبدو جلياً أن الفتح العربي لم يوقف تقدم الدراسات الأرسطاليسية أو يعرقل سيرها ، بل استمرت في الكنيسة النسطورية تحت الحكم الإسلامي . ويقال إن سمعان بن ييت جرى ترجم إلى السريانية في أوائل القرن السابع كتاب التاريخ الكنسي لبوسيديوس ولكننا لا نعرف لهذه الترجمة أثراً .

ويقال إن يوحنا أيشوع الثاني كان جاثليقاً من ٦٨٦ إلى ٧٠١ ووضع شرحاً على كتاب الأناطوطيقا ، التحليلات لأرسطو .

لقد أشرنا إلى جهود كسرى الأول في الحصول على العقاقير الهندية ، وكان السكر من بين ما أحضر من الهند إلى جنديسابور (والسكر بالفارسية سكر أو سكار وفي السنسكريتية سركارا) ، ولم يكن يعرفه هيرودوت ولا اكتيسياس (Ktesias) ولكن عرفه نيارخوس (Nearchus) وأونيسيكريتوس (Onesicritus) باسم عسل القصب ، وظنوا أن النحل استخلصه من القصب . وهو ما يسميه ثيوفراستوس (Theophrastus) عسل القصب μέλι καλάμινον . وتجري القصة بأن كسرى قد اكتشف مخزناً للسكر بين الكنوز التي استولى عليها سنة ٦٢٧ عند استيلائه على مدينة داستجرد . ولقد كان عصير قصب السكر يكرر ويصنع سكرأ في الهند حوالي ٣٠٠ بعد الميلاد وإذا ذاك بدأ القصب يزرع حول جنديسابور

(١) A. Scher, Chron. de Seert, P.O. VII.

حيث قامت مصانع السكر في تاريخ متقدم . وقد كان السكر في هذا الوقت ولمدة طويلة بعده يستعمل فقط كعقار طبي . ثم بدأ يحل محل العسل كوسيلة عادية من وسائل التحلية بعد ذلك بزمان طويل . وبالإضافة إلى كلية الطب التي ألحقت بها مستشفى ، كان في جنديسابور أيضاً كلية للفلك ، فيها مرصد . وقد أنشئ هذا على غرار النموذج الإسكندري . أما دراسة الرياضيات فقد كانت جزءاً من دراسة الفلك .

وكان في جنديسابور عند إنشائها كمعسكر للأسرى مواطنون يتكلمون اليونانية وآخرون يتكلمون السريانية ، ولا بد أن كان فيها من يتكلم الفارسية كذلك ، فقد كانت قرية جداً من المقر الملكي في سوسا . وبمرور الزمن أهملت اليونانية فيما يبدو وصارت لغة التعليم الجامعي السريانية كما كان الحال في نصيبين وسائر المدارس النسطورية . ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن دراسة اليونانية قد أهملت . فقد أدت حاجة هيئة التدريس إلى وضع ترجمات سريانية لكتب جالينوس المقررة ولأجزاء من كتب أبقراط ولبعض كتب أرسطو في المنطق وللإيساغوجي ولبعض الكتب في الفلك والرياضيات على الأرجح . وهى ترجمات وضعت في الفترة الواقعة بين عهد إيهيبها في الرها وبين عهد حنين بن إسحق في بغداد . ويتحدث حنين عن هذه الترجمات فيقول إنها رديئة ؛ ولا يعنى هذا الوصف أكثر من أنها لم تكن ترقى إلى المستوى الذى بلغته ترجماته .

ويقول ابن حوقل^(١) إن أهل جنديسابور كانوا يتكلمون برطانة خوزستان التى لم تكن عبرية ولا سريانية ولا فارسية . ثم إن مناهج الأفكار يشير إلى أنه كانت للناس فيها رطانة خاصة . وهذه إشارة ولا شك إلى اللغة الدارجة بين العامة في الشوارع ، وليس للغة المستعملة في حلقات الدرس

حيث كانت تستعمل السريانية . إذ أنه من الواضح أن الترجمات قد وضعت لاستعمال الأساتذة .

وعندما أسست بغداد سنة ٧٦٢ صار الخليفة والبلاط قريبين من جنديسابور . ولم يمض وقت طويل حتى بدأت وظائف القصر وهباته السخية تجذب الأطباء والأساتذة النسطوريين من الجامعة . ولقد كان جعفر بن برمك وزير هرون الرشيد عنصراً فعالاً في استدراج العلماء . فقد بذل قصارى جهده في نشر العلوم اليونانية بين رعايا الخليفة من العرب والفرس . إن نزوحه إلى مناصرة اليونانية كان مستقياً فيما يبدو من مَرَوْ فقد استقرت فيها عائلته بعد هجرتها لبلخ . وقد شدُّ أزره بقوة في جهوده هذه جبريل من عائلة بختيشوع وخلفاؤه من جنديسابور . وعلى هذا النحو انتقل التراث النسطوري في العلوم اليونانية من الرُّها ونصيبين إلى بغداد عن طريق جنديسابور .

الفصل السادس

أصحاب الطبيعة الواحدة

١ - نشأة مذهب الطبيعة الواحدة

إن قرارات مجمع إفسوس ، وحرمان نسطوريوس وأتباعه لم تجلب على الكنيسة السلام ، فلم يمض وقت طويل حتى قامت فيها الاضطرابات ، ولا بد من تتبع هذه الاضطرابات في خطوطها العامة على الأقل لأنها أدت إلى انشقاق آخر في الكنيسة الشرقية . وهاتان الطائفتان المنشقتان اللتان انفصلتا عن الكنيسة كانتا وسيلة انتقال العلوم اليونانية إلى العرب . فعندما غزا العرب المسلمون الإمبراطورية الرومانية آخر الأمر ، رحبت هاتان الطائفتان المنشقتان بهن كمنقذين وكانتا على صلات ودية بهن . وليس من العدل أن نصور الموقف بحيث نضع المسيحيين في جانب والمسلمين في جانب آخر دون إضافة تمييز جديد . ذلك أن المسيحيين كانوا منذ بضعة قرون قبل الفتح الإسلامية منقسمين إلى طوائف وأحزاب متنافرة نشطت في نشر الدعاية ، الواحدة ضد الأخرى ، وكانوا على صلات قوية بالعرب ، أما فيما يتعلق بالطائفتين المنفصلتين عن الكنيسة الشرقية فقد وقعت كلتاها تحت الاضطهاد العنيف من الحكومة البيزنطية . وتبعاً لذلك كانت كلتاها غير موالية لها . ولا بد من تقدير هذا الموقف حق قدره لتفهم العلاقة بين العرب وبين المسيحيين .

لقد مات كيرلس السكندري العدو الأكبر للمذهب النسطوري سنة ٤٤٤ وخلفه ديوسقوروس وقد كان يعتنق آراء كيرلس نفسها ولكنه كان أشد منه حدة في المزاج وتهوراً في الكلام يلقيه على عواهنه ، كما كان أكثر منه تطرفاً في عدائه للمذهب النسطوري ، كما كان يفتقر إلى اللباقة وهي خصلة كيرلس المنجيّة . ولم يمض وقت طويل على اعتلاء

ديوسقوروس الكرسي الإسكندري حتى بدأت الفتنة في القسطنطينية . ذلك أن شيخاً وقوراً كان يعمل رئيس دير فيها امتلاً حماساً ضد المذهب النسطوري ، وأصدر إعلاناً جديداً فيما يعتقد أنه المذهب الصحيح (الأرثوذكسي) ، فذهب إلى أن في المسيح طبيعتين ولكنهما اتحدتا معاً اتحاداً كلياً حتى أن ناسوته تلاشى في لاهوته . فقدمت الشكوى بأن هذا الاعتقاد ليس صحيحاً وأن فيه تزيفاً على ما عُلِّم به كيرلس . وليس من الحق التعرف على من تقدم بالشكوى في أول الأمر ، هل كان ثيودوريت أم يوسيبوس من أهل دوريلايوم أم دومنوس الأنطاكي ، ولكنه على كل حال كان أحد هؤلاء الثلاثة وكلهم من أنصار كيرلس ومن المعترفين بقرارات مجمع إفسوس . وأياً كان هذا الذي تقدم بالشكوى فقد كان من أنصار كيرلس ، مثل أوطاخي نفسه . وعلى ذلك فقد دب الخلاف بين أعداء النسطورية أنفسهم . وقدّمت الشكوى إلى فلافيانوس بطريرك القسطنطينية يومئذٍ ؛ وقد كان من مدرسة أنطاكية ولكنه كان من ذوى الآراء المعتدلة ، وكان يكره أن يزوج بنفسه في هذا المعترك . وقد جمع على كره منه مجمعه المقدس اخلّى سنة ٤٤٨ وفيه تقرر أن أوطاخي^(١) لا بد أن يعزل ويحرم . أما ديوسقوروس فقد مال فيما يبدو إلى رأى أوطاخي وأولعه رأى أنه على أية حال أقرب إلى الحق من تعاليم نسطوريوس ، وبدا له أن قرار هذا المجمع بمثابة بعثٍ للمذهب النسطوري والتنكر لقرارات مجمع إفسوس . فاستعان بنفوذ الإمبراطورة وحصل على إذن بإعادة النظر في الشكوى أمام مجمع آخر للقسطنطينية ، ولجأ الجانبان إلى رأى العام ، وملاً أوطاخي الشوارع بلافتات تعرض قضيته وذهب فيها إلى أن متهميه قد زوروا قرارات مجمع القسطنطينية الأخير . فلما التأم عقد المجمع الجديد عني بهذه التهمة وقرر أن أوطاخي لم يكن محقاً فيها ، وصدر القرار ضد أوطاخي مرة أخرى .

(١) انظر الملاحظات (٥) .

ولكن ديوسقوروس كان صاحب نفوذ في القصر وحمل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على أن يدعو مجمعاَ عاماً للقضاء على المذهب النسطوري . إن الدعوة إلى عقد هذا المجمع الجديد كانت مؤرخة في ٣٠ مايو سنة ٤٤٩ واجتمع المجمع في أغسطس التالي في إفسوس . ورأس ديوسقوروس هذا المجمع ولكنه تصرف في عنف وصرامة معتمداً على تعصيد القصر ، وأدخل الحرس الحربي لتدعيم سلطته فأصبح الاجتماع مسرحاً للفوضى واستحق بذلك اسم مجمع اللصوص الذي أطلقه عليه البابا ليون . وأعيد أوطاخي إلى حظيرة الكنيسة ، ولم يسمح لآتهم الأول يوسيبوس من أهل دوريلايوم حتى بالكلام ، وعُزل فلافيانوس ، وتجراً بعض الأساقفة الحاضرين متقدمين باحتجاجهم فلم يكن من ديوسقوروس إلا أن استدعى ثلة من الجند واضطروهم إلى الإذعان ، وفي هذا المجمع عزل إيهيبا الرهاوي وعين مكانه نونوس (Nonnus) وهو من أعداء المذهب النسطوري المتطرفين .

لقد أثارت قرارات « مجمع اللصوص » سخطاً عاماً وعمد أكثر الناس سخطاً إلى أن يولوا وجوههم شطر روما طلباً للمعونة ، وتلا ذلك مناقشات كثيرة حادة استمرت إلى يولييه سنة ٤٥٠ عندما مات الإمبراطور ثيودوسيوس ورفعت بلخاريا (Pulcheria) أخت الإمبراطور الراحل زوجها ماركيانوس إلى العرش . وقد انقلب بهذا موقف القصر الذي كان ديوسقوروس يعتمد عليه . ذلك أن ماركيانوس كان يبغى السلام ، وكان يرحب بجل وسط معقول يضع حداً للتناحر الذي لم يلبل الكنيسة فحسب ، بل كان مصدر فتنة كبيرة في العاصمة .

وللوصول إلى هذه التسوية دعا لعقد مجمع آخر اجتمع في خلقيدونية في سبتمبر سنة ٤٥١ وأصدر قرارات حررت بمنتهى الدقة والتزم . والهدف منها التزام الجادة الوسطى بين تعاليم نسطوريوس وتعاليم أوطاخي^(١) . والحق أنها

(١) راجع لابي (Labbe) الجزء الرابع ص ٥٦٢ وغيرها .

كانت وثيقة حافلة بالحيلة والحكمة وكانت في الوقت نفسه واضحة البيان للإيمان الكنيسة التقليدى . وكان المنتظر أن توفق هذه الوثيقة بين جميع وجهات النظر فيما عدا المتطرفين . ولكنها باءت بالفشل لأن المعارضة كانت غير منسقة وكان المعارضون لها بغير زعيم (acephaloi) ، لأنهم تنكروا لأوطانهم وتبرأوا منه ، ولم يكن لهم منهج محدد . فكانت جماعة مفككة مضطربة من الساخطين ، في أنفسهم ضعف ، ولكن من الصعب مهاجمتهم . هذه هي نهاية المرحلة الأولى لما سُمي فيما بعد بمذهب الطبيعة الواحدة ، وهى تلخص في معارضة مشتتة غير منسقة لكل ما يميل نحو المذهب النسطورى ، وكان المعارضون مع ذلك منقسمين فيما بينهم ، والنقطة الوحيدة التى اتفقوا عليها إلى حد ما هى أن مجمع خلقيدونية قد جنى نحو المذهب النسطورى ، وكان هذا الشعور أقوى ما يكون في مصر ، وقد اتفق المعارضون فعلاً على كره هذا المجمع الخلقيدونى الأخير .

٢ - انشقاق أصحاب الطبيعة الواحدة

لقد دخل مذهب الطبيعة الواحدة بانتهاء مجمع خلقيدونية في مرحلته الثانية . وكان أصحاب هذا المذهب لا يزالون على تفككهم واضطرابهم ، ولكنهم اتفقوا على معارضة قرارات مجمع خلقيدونية ، وهذا موقف معارض وسلبي محض ، ومن هنا كان ضعفه .

كان ثيودوسيوس راهباً اشترك في مجمع خلقيدونية ، وكان شديد السخط على قراراته فرجع إلى وطنه في فلسطين ونشر تعليقاته متضمنة عدم الموافقة على هذه القرارات ، ونتج عنها أن قامت المظاهرات الصاخبة الدموية في فلسطين . أما ديوسقوروس فرفض الاعتراف بقرارات المجمع ولذلك فقد عزل . وأقيم مكانه أسقف من المعترفين بقرارات مجمع خلقيدونية يسمى پروتيريوس (Proterius) . ولم يستطع پروتيريوس أن يظهر في الإسكندرية في

الأماكن العامة إلا ومعه حرس من الجند ، وقامت المظاهرات في الإسكندرية واضطرب أن يترك المدينة . وأصبح واضحاً أن فرض قرارات مجمع خلقيدونية ليس بالمهمة اليسيرة . ذلك أن المسيحيين في مصر ، ونسبة كبيرة من الرهبان في جميع الأرجاء كانوا ولا شك مُصرِّين على مقاومتها . ومع ذلك فلم يكن هؤلاء زعيم ولا برنامج محدد للمبادئ التي اتفقوا عليها . وحاولت الحكومة الإمبراطورية أن تكرههم على قبول قرارات المجمع الخلقيدوني ، ولكنها لم تكن ميالة إلى التهادي في هذا الإكراه . فقد بدا أن عواقب الإكراه غير مأمونة .

وعند موت ماركيانوس سنة ٤٥٧ انتخب تربيون حربى يدعى ليون من أهل تراقيا إمبراطوراً ، فأثبت أنه معتدل وحازم في نفس الوقت . ذلك أنه تساهل في سياسة ماركيانوس وامتنع عن إكراه مخالفين قرارات مجمع خلقيدونية حتى أنه كان يتسامح معهم بعض التسامح . وفي هذا الوقت كان ديوسقوروس قد مات في منفاه في غانغرا (Gangra) من أعمال پافلاجونيا (Paphlagonia) في سنة ٤٥٤ ، وكان پروتيريوس قد هرب من الإسكندرية ، ولذلك فقد انتخب بطريرك جديد اسمه تيموثاؤس الملقب بالهر (Aelurus) وهو راهب كان قد نفى لمقاومته لپروتيريوس . وهو نفسه قد نفى سنة ٤٦٠ ولكن أكثر أصحاب الطبيعة الواحدة لم يلقوا أذى ، بل استغلوا هذه الفرصة ليوطدوا مركزهم .

وعندما مات ليون سنة ٤٧٤ انتقل العرش إلى حفيده زينون الذى كان أكثر من سلفه مهادنة لخصوم مجمع خلقيدونية . وكان يعلى النفس بالأمل بإعادتهم ثانية إلى حظيرة الكنيسة ، وهى سياسة كان يمكن أن تؤتى ثمارها لو أنه كان لخالفى قرارات المجمع رئيس مسئول يستطيع أن يتفاوض معه أولهم قائمة محددة بمطالبهم . وأصدر الإمبراطور ، تحقيقاً لسياسته هذه في سنة ٤٨٢ ، إعلاناً يعرف باسم وثيقة الاتحاد (Henoticon) موجهة بصفة

خاصة إلى الكنيسة المصرية ولكنها تنطبق على كل من احتجاجوا على قرارات مجمع خلقيدونية . لقد أدانت هذه الوثيقة نسطوريوس وحذت كيرلس الإسكندري ولم تحبذ أو ترفض قرارات مجمع خلقيدونية ؛ لقد كانت خطوة حاسمة في مصلحة معارضي مجمع خلقيدونية وعرضت شروطاً للاتفاق معهم ولم يلق أحد بالاً للنسطوريين الذين لم يكن لهم في هذا الوقت شأن عظيم . وسرعان ما ظهر ضعف المعارضة . ذلك أن بعضهم كانوا فعلاً على استعداد لقبول وثيقة الاتحاد واعترض عليها البعض الآخر باعتبار أنها تحايي النسطورية . وفي سنة ٤٧٦ قام باسيلسكوس (Basiliscus) وهو أخ لزوجات ليون بانقلاب ولكن الفتنة أخذت وأعيد زينون . وقد تلقى باسيلسكوس في الفترة القصيرة التي اغتصب فيها الملك معونة من أعداء مجمع خلقيدونية ، وهذا ما حدا به ولا شك إلى مهادنة المنشقين ، وقد بدأ النزاع الطائفي يؤثر في هذا الوقت في سياسة الإمبراطورية . وكانت حركة المقاومة لقرارات مجمع خلقيدونية تزيد قوة ، وحدث في ذلك الحين أن ألقت الكنيسة الأرمنية بدلوها مع المنشقين . لقد ذهب زينون إلى أبعد حد ممكن في مصالحة أعداء مجمع خلقيدونية ولم يبق إلا أن يعان أنه هو نفسه أحد المعارضين عليه . وتوفي تيموثاؤس الملقب بالهر سنة ٤٧٧ وخلفه بطرس مونجوس (Mongus) الذي ارتضى وثيقة الاتحاد . وإذن فقد كانت الإسكندرية بالرغم من بقائها على معارضة قرارات مجمع خلقيدونية على استعداد لقبول الحل الوسط .

وتوفي زينون سنة ٤٩١ وتزوجت أرملته أحد رجال القصر المسنين يدعى أنسطاسيوس (Anastasius) وقد ارتقى العرش بفضل هذه الزيجة ، وتولى الحكم سبعة وعشرين سنة اتبع فيها على الدوام سياسة حكيمة تهدف إلى الاحتفاظ بالوضع الراهن ، وبقبول مصر وثيقة الاتحاد سادها السلام إلى حد ما ولو أن الكثيرين فيها لم يقبلوا الشروط التي اقترحتها زينون ،

أما سوريا فقد كان فيها عنصر قوى ساخط ، ومن سوريا انبثقت إذ ذاك أولى الدلائل على قيام زعامة للمنشقين .

ذلك أن كرسي أنطاكية كان شاغراً في سنة ٥١٢ ، فانتخب راهب اسمه ساويرس (Severus) بطريكاً . وكان هذا الراهب قد تلقى العلم وهو لا يزال على وثنيته واشتغل بالمحامة في مستهل حياته ثم اعتنق المسيحية وانضم من فوره إلى الحزب المعادى لقرارات مجمع خلقيدونية . وغالباً ما يكون الداخلون في الدين أميل إلى التطرف ، ولم يكن ساويرس شاذاً على هذه القاعدة . ولم يمض وقت طويل حتى صار راهباً ودخل ديراً بالقرب من غزة واتصل ببطرس الايبيري أسقف غزة الذي كان ممن اشتركوا في رسامة تيموثاؤس الملقب بالهر . ولما كان ساويرس شديد العداء لقرارات مجمع خلقيدونية فقد رفض وثيقة الاتحاد ، كما رفض أن يعترف ببطرس مونجوس بطريكاً شرعياً للإسكندرية . وعندئذ ترك غزة والتحق بدير في مصر — لا يعرف محله بالضبط — تحت إمرة رئيس في الدير يدعى نيفاليوس (Nephalius) ولكنه بعد حين طرد من هذا الدير . أما سبب طرده فليس واضحاً . فهل كان شديد التطرف في آرائه ؟ أم أنه كان من مشيرى الشغب كما قيل عنه فيما بعد في موضع آخر ؟ ولما طرد ذهب إلى الإسكندرية وكان فيها سبباً في إثارة حوادث صاخبة عديدة ، فقد كان على رأس جماعة من الرهبان هدمت كثيراً من المعابد الوثنية . وهذا إجراء غير مشروع لأن المعابد المهجورة كانت تحت الرعاية الإمبراطورية . ولقد كان ساويرس في هذه التصرفات أكثر صحبه من الرهبان غاواً . وكان هؤلاء الرهبان فيما يظهر يحسنون اللغة القبطية دون اليونانية ، فهل كان ساويرس أيضاً يتكلم القبطية ؟ إذا كان الأمر كذلك فلا بد أنه كان وثيق الصلة بمصر والمصريين . وبعد أن أتى هذه الأعمال في الإسكندرية كان من مصلحته أن يهرب منها إلى القسطنطينية حيث اقترن فيها اسمه مرة أخرى

باندلاع الاضطرابات . ويجب ألا يغيب عن بالنا أن ما لدينا من معاومات عن هذه الفترة من حياته مستقاة كلها تقريباً مما ذكره أعداؤه الألداء ، وقد كان هذا عصرآ سادت فيه الخصومات والجلد العنيف والسباب المقذع ، ولم يكن هناك قانون يعاقب القذف . ولم يقتصد من كتبوا أخبار ساويرس . في هجائه فلا يد إذن أن نسقط من حسابنا كثيراً من التهم التي ساقوها . . ولم نجد ساويرس القسطنطينية ذلك المكان السعيد الذي آمل أن تكونه ، وذلك بعد أن عين مقدونيوس (Macedonius) بطريكاً عليها سنة ٥١١ وهو من الموالين لمجمع خلقيدونية . ومع ذلك فقد عين ساويرس نفسه في السنة التالية بطريكاً لأنطاكية . وفي التوجه العاصمة ليشغل كرسيه . وكان أول عمل له كأسقف أن أصدر قرار السخط والحرمان ضد قرارات مجمع خلقيدونية ، وهكذا أعلن أنه من أكثر المنشقين تطرفاً . وزعم بعد ذلك أنه على صلة بتيموثاؤس القسطنطيني ويوحنا النيق الذي صار فيما بعد بطريك الإسكندرية سنة ٥٠٧ .^١ وهذا الاعتبار تبادل الرسائل الجمعية مع الإسكندرية . ولا يزال هذا التبادل مستمراً إلى يومنا هذا . وكان ساويرس باعتباره مطراناً لسوريا قاسياً على أنصار مجمع خلقيدونية وقد اشتهر أمره كمضطهد لهم ، ولكن معلوماتنا هي أيضاً مستقاة كلها من أعدائه . وقد كان حزب المعارضين لقرارات مجمع خلقيدونية طوال السنوات السبع التي انقضت بين اعتلائه الكرسي البطريركي في أنطاكية وبين موت الإمبراطور أنسطاسيوس في صعود . واعترف الناس كافة بساويرس زعيماً لهذا الحزب ولساناً له . ومع ذلك فلم يكن كل أتباع هذا الحزب معه قلباً وقالباً . ولتقف الآن قبل أن ينقلب الحظ ويبدأ المعارضون لمجمع خلقيدونية يعانون الاضطهاد .

إن إحدى الوسائل التي استخدمت لترويج دعاية مضادة لقرارات مجمع خلقيدونية كانت نشر كتب منحولة تعزى إلى ديونيسيوس الأريوباغي ، صديق القديس بولس . وقد وضعت هذه الكتب فعلاً حوالي ٤٨٢ - ٥٠٠

في مصر على الأرجح وهي شديدة الاصطباغ بالنظريات الأفلاطونية المحدثه . وإن التحيز والغرض فيها واضح سواء أكان الكاتب من الحزب المعادى لقرارات مجمع خلقيدونية أم ممن يعطفون على هذا الحزب . وهذه الكتب المنحولة إلى ديونيسيوس تألف من أربعة مقالات هي « في السلطات السماوية » و « في السلطات الكنسية » و « في أسماء الله » و « في اللاهوت الصوفي » . وإلى جانب هذه المقالات هناك عشر رسائل أو أجزاء من رسائل ، والرسالة الحادية عشرة لا توجد إلا في الترجمة اللاتينية وهي على التحقيق مزيفة وترجع إلى عصر متأخر جداً عن هذا العصر . وليس في الأدب القديم إشارة إلى هذه المؤلفات قبل القرن السادس إذ يذكرها ساويرس الأنطاكي وإفرايم الذي صار بطريرك أنطاكية سنة ٥٢٦ . لقد استشهد أعداء المجمع الخلقيدوني بهذه الكتب في مؤتمر عقد مع الكاثوليك في سنة ٥٣١ ولكن هيباتيوس (Hypatius) مطران إفسوس قال : « إنه لا يمكن أن تثبت صحة هذه الرسائل التي لم يذكرها كاتب قديم واحد »^(١) ومن ثم فقد أعرب الكثيرون من أتباع الكنيسة الشرقية عن شكوكهم في صحة نسبتها ، ولكن ساويرس وحزبه على العموم كانوا يقبلونها ، وقد ترجمها إلى السريانية سرجيوس الراسعيني (المتوفى سنة ٥٣٦) ويبدو أنه كان لها أثر كبير في الترويج لتعاليم ساويرس في سوريا .

ومن شاكلة هذه الوثائق المنحولة إلى ديونيسيوس كان هناك كتب تعزى إلى هيروثيوس (Hierotheus) وهو معلم مشهور تتلمذ عليه ديونيسيوس . الأوروبياغي . ولم تكن هذه الكتب من أصل يوناني ولكنها مؤلفات سريانية أصلاً ألفها من يدعى إسطفانوس بن صيدالي الرهاوي وهو معاصر لفيلوكسينوس (Philoxenus) وهي مثل الكتابات المنحولة على ديونيسيوس في أنها كانت مصطبغة بالآراء الأفلاطونية المحدثه ، وكان لها على المنشقين أثر

تقلوه من بعد إلى العرب . إن إسطفانوس كان راهباً مبعلاً لتقواه ، وقد حج إلى مصر ، موطن الرهبة ، ووقع فيها تحت تأثير بعض الرهبان من أصحاب البدع ، ومنهم من كانوا قد بعثوا من جديد تعاليم أوريجين . فلما رجع إلى سوريا بدأ يعلم العقائد التي كان قد تلقنها في مصر . وطرده من الدبر لذلك السبب . وعندئذ ذهب إلى أورشليم حيث استمر يعلم أراءه الخاصة في الدين في صحبة بعض الرهبان من أتباع أوريجين الذين كانوا قد استقروا هناك . وقد تابع أوريجين القول بأن نار جهنم ليست خالدة ولكنها مطهرة فقط ، فأصحاب الجحيم سوف يجهنم الخلاص آخر الأمر ويبقى كل شيء لله (١) . وقد كتب ثيودوسيوس الأنطاكي (٨٨٧ - ٨٩٦) تفسيراً لكتاب هيروثيوس (المتحف البريطاني رقم ٧١٨٩) .

لقد وصلنا الآن إلى ما يمكن أن نسميه خاتمة المرحلة الثانية من الحركة المعادية لقرارات مجمع خلقيدونية . وهي المرحلة التي تمتع فيها المعادون لهذا المجمع بعطف القصر الإمبراطوري ، فقد كان الأمل لا يزال قائماً في صلح المنشقين مع الكنيسة . وهي المرحلة التي كانت فيها الحركة المعادية لمجمع خلقيدونية لها الكفة الراجحة في مصر وتمتع بقوة ضخمة في سوريا ، وقد انتهت هذه المرحلة بموت الإمبراطور أنسطاسيوس في ١١ يولييه سنة ٥١٨ .

٣ - اضطهاد أصحاب الطبيعة الواحدة

عند موت أنسطاسيوس أقام جستين وهو فلاح من تراقيا ، نفسه إمبراطوراً . وكان يتزعم الحزب المناوئ لمجمع خلقيدونية في القسطنطينية الخصى أمانتوس (Amantius) الذي عقد عزمه على أن ينصب ثيوقريطس (Theocritus) على العرش . ولكنه وكل إلى جستين أمر توزيع العطايا

(١) الرسائل إلى أهل كورنثة ١٥ ، ٢٨ .

على الجند فاستغل چستين النفوذ الذى هياته له هذه العملية حتى استطاع أن ينادى بنفسه إمبراطوراً . وكان هذا الإمبراطور الجديد كاثوليكياً أرثوذكسياً أى أنه كان من أنصار الكنيسة الجامعة وقد ارتضى قرارات مجمع خلقيدونية وصمم على أن يفرضها على الناس فرضاً . وعُقدَ فى القسطنطينية فى ٢٠ يوليه سنة ٥١٨ مجمع تقرر فيه العدول عن سياسة أنسطاسيوس وزينون وأن تفرض الموافقة على قرارات مجمع خلقيدونية بالقوة . وقد أقر هذه السياسة الجديدة مجمع مقدس انعقد فى أورشليم فى ٦ أغسطس ومجمع مقدس آخر انعقد فى صور فى ١٤ سبتمبر .

واعتبر ساويرس الأنطاكي زعيم المعارضة لقرارات مجمع خلقيدونية ، فصلدت الأوامر بالقبض عليه . ولكنه فر ولجأ إلى مصر . وفى الوقت نفسه صدرت الأوامر بعزل كل الأساقفة المناهضين لقرارات مجمع خلقيدونية . ووجد نفر منهم ومن بينهم جوليانوس المالكارناسى ، الملاذ فى مصر . وكانت مصر معقلاً للمعارضين ومن العسير اقتحامها . ولذلك فقد تركت مصر وشأنها ردىاً من الزمان . ولما وصل ساويرس إلى مصر ، كان ديوسقوروس الثانى الذى خلف يوحنا النقيوسى فى سنة ٥١٧ بطريكاً ولكنه مات فى ٢٤ اكتوبر سنة ٥١٨ ، ولقد نصح البابا هورميسداس (Hormisdas) الإمبراطور چستين أن ينهز الفرصة فيعيد الأرثوذكسية فى الإسكندرية ورشح شماساً إسكندرياً اسمه ديوسقوروس ليكون بطريكاً . ودارت مناقشات طويلة حول هذا الموضوع . ولم يعين چستين أحداً آخر الأمر فانتخب السكندريون تيموثاؤس الثالث بطريكاً لهم .

وبعد أن ترك ساويرس أنطاكية عيّن بولس وهو مرشح أرثوذكسى بطريكاً وبدأ يفرض التمسك بقرارات مجمع خلقيدونية . ورفض الكثيرون أن يوافقوا على قرارات مجمع خلقيدونية أو أن يعترفوا بسلطة بولس ، وخرج هؤلاء على الكنيسة ، وأصبح إذ ذاك المعادون لقرارات مجمع خلقيدونية

فرقة متميزة ترفض الاتحاد مع أنصار المجمع الخلقيدونى وترفض خدمات
القداس من قسيس من الموافقين على قراراته ، وكانت هذه هى الخطوة
الحاسمة فى الخروج على الكنيسة .

إن تجارب ساويرس فى مصر يكتنفها بعض الغموض . لقد كان
فيما يظهر هارباً يتخفى فى أول الأمر ، وكان يعيش فى خوف من
القبض عليه وإعادته ليلقى عقابه . ولعل سيرة حياته المدونة فى كتاب
« كفاحه » بقلم أنسطاسيوس الأنطاكي^(١) تبألف فيما لاقى من مصاعب . إن
الاتجاه المألوف فى سير القديسين أن يبالغ فى الحديث عما تعرضوا له من
آلام . ولم يمض وقت طويل حتى ظهر ساويرس من جديد فأكرمه
تيموثاؤس الثالث ، وكان ساويرس يعتبر فى مصر كلها زعيماً كبيراً من
زعماء الكنيسة ، حتى أنه لم تعد للبطريرك فى ذاك الوقت الصدارة . لقد
كان ساويرس هو الذى كرس كنيسة القديس كلوديوس فى أسيوط وهو
الذى ألقى فيها عظة لا تزال باقية فى اللغة القبطية . وقد ألقى قسطنطين
أسقف أسيوط خطبة يرحب فيها به . ويظهر من هذه الخطبة أن ساويرس
عدّ إذ ذاك زعيم المؤمنين الأكبر^(٢) .

وكان لنزول اللاجئيين بمصر مضاره . فلم يكونوا جميعاً على اتفاق
وسرعان ما تجلّى أن مناهضى قرارات مجمع خلقدونية كانوا منقسمين فيما بينهم
أحزاباً وشيعاً . فأما بطرس مونيوس وأتباعه فكانوا ينتمون إلى الحزب الأكثر
اعتدالاً والذى كان مستعداً لقبول وثيقة الاتحاد . وكان هذا الحزب صاحب

(١) الكتاب باق فى الترجمة الإثيوبية وقد نشره جودسبيد (Goodspeed) فى « أقوال
الآباء الشرقيين » الجزء الرابع ، مع أجزاء من الترجمة القبطية جاءت عن طريق ترجمة عربية ،
نشرها كرام (W. E. Cram) فى « أقوال الآباء الشرقيين » الجزء الرابع ٥٧٨ - ٥٩٠ .

(٢) هذه النصوص باقية فى مخطوطات بيربونت مورجان (Pierpont Morgan) ،
٤٢ ، (٤٧) .

الغلبة في الإسكندرية ولذلك فقد تركت الإسكندرية في سلام . أما ساويرس فكان ينتمى إلى حزب أكثر تطرفاً ، هذا إلى أنه كان شديد العنف في التعبير عن آرائه . وكان هو وجوليان الهاليكارناسى كاتبين ، وهذا ما جعل تعاليمهما في تناول الطائفة بوجه عام . وعندئذ ظهر أنهما يختلفان اختلافاً جوهرياً ، فقد كان ساويرس يعتقد أن جسد المسيح عرضة للضعف البشرى . وكانت هذه وجهة نظر الأرثوذكس . ولكن جوليان تهادى في السير بعقيدة الطبيعة الواحدة إلى نتيجة المنطقية ، وكان يعتقد أن اتحاد الطبيعتين في المسيح جعل جسده بريئاً من كل ضعف بشرى ، فهو خالد لا ينفك من الاتحاد الذى تحقق عند التجسد ، وإذن فما قاساه المسيح لم يسبب له ألماً ولم يكن غير مجرد وهم من الخيال . وهو الرأى الذى جعل جوليان وأتباعه يعرفون بالخياليين . وألف جوليان ، تبياناً لآرائه ، رسالة أرسل نسخة منها إلى ساويرس وأرسل نسخاً غيرها إلى أديرة مصرية مختلفة كانت تؤمن بتعاليمه قليلاً . وعندئذ كتب ساويرس دحضاً لهذه الرسالة فأصبح من الجلى أن أصحاب الطبيعة الواحدة قد انقسموا على الأقل إلى ثلاث فرق متنافرة . ولم يكن للبطريك تيموثاؤس نصيب في هذا المعترك . فقد أثر أن يبقى بمعزل عنها آملاً أن يرتق الزمان صدع الخلافات فيصلح المنشقين مع الكنيسة الجامعة (الكاثوليكية) . ولما كان هذا هدفه فقد اشترك في مؤتمر عقد في القسطنطينية سنة ٥٣٣ ولكن شروط الصلح لم توضع فيه . وأعدت العدة لعقد مؤتمر آخر في سنة ٥٣٥ ولكنه مات في ٧ فبراير من تلك السنة وهو يتياً للسفر لحضور الاجتماع .

وفي هذه الأثناء كان جستين قد مات وكان العرش الإمبراطورى قد انتقل إلى جستينيان (أول أغسطس سنة ٥٢٧) الذى اتبع في سياسته نفس الخطوط التى رسمها جستين ولكنه كان أكثر اعتدالاً في تطبيقها . وكان جستينيان مخلصاً في حرصه على إعادة وحدة الكنيسة ولكنه لم يقلد

فيما يبدو المشاكل التي سببت الفِرَق والأحزاب المتعددة حق قدرها . وكانت سياسته تقوم على المصالحة ولكن ساويرس رفض الصالح . وكان استهلال العهد الجديد راحة محببة إلى أصحاب الطبيعة الواحدة . لقد وضع چستنيان ، والحق يقال ، قوانين صارمة لمعاقبة الإلحاد ولكن هذه القوانين قد وضعت على سبيل الاحتياط ، فقد كان أحصف من أن يضعها موضع التنفيذ . وكانت زوجته ثيودورا وهي الراقصة السابقة تميل علانية إلى جانب أصحاب الطبيعة الواحدة . ولعل الإمبراطورة كانت صاحبة رأى خاص ، أو لعل موقفها كان ينطوي كما يظن الكثيرون على سياسة مأكرة من جانب الإمبراطور الذي لم يشأ أن يلجأ أصحاب الطبيعة الواحدة إلى الثورة السافرة .

وعند موت تيموثاؤس اجتمع مجمع الإسكندرية المقدس فوراً وانتخب بطريكاً جديداً ، واستطاع الحصى كالوتيخيوس (Calotychius) أحد رجال البلاط ، وكان يعمل طبقاً لتعليمات تلقاها من القسطنطينية أن يحمل المجتمعين على أن يختاروا الشماس ثيودوسيوس وهو من أصحاب الطبيعة الواحدة المعتدلين ومن أصدقاء ساويرس . وفي اليوم عينه رُسم ثيودوسيوس وبدأ من فوره في تشييع جنازة سلفه ، كما كانت العادة المقررة في الإسكندرية . ولكن أهل الإسكندرية ، بتحريض من أنصار جوليان المتطرفين ، رفضوا قبول ثيودوسيوس بطريكاً عليهم ، فاجتمع المجمع المقدس من جديد وانتخب رئيس الشمامسة غايانوس (Gaianus) الذي حُمل على قبول المنصب بشيء من الصعوبة . وعندئذ رُسم في بيت خاص بأحد رجال الكهنوت . ومما زاد في غرابة هذا الوضع أن غايانوس كان قد اشترك بنفسه في رسامة ثيودوسيوس . وسرعان ما تدخلت السلطة الزمنية وطردت غايانوس ، وصحب هذا شغبٌ كثير وحوادث قتل عديدة . ولكن ثيودوسيوس لم يجرؤ على الظهور في المدينة علانية واضطر إلى الاعتكاف خارج المدينة في دير كانوب (Canopus) (أبي قبر) .

وكن في القسطنطينية في هذه السنة نفسها (٥٣٥) بطريرك جديد هو أنثيموس (Anthimus) . ومع أنه لم يكن من أصحاب الطبيعة الواحدة إلا أنه كان شديد الميل نحوهم . وفي هذا الوقت كان ينزل ضيوفاً في قصر الإمبراطورة ثيودورا عدد من أساقفة مذهب الطبيعة الواحدة المفروزين . وكان بينهم الكثيرون من الفرق الأكثر تطرفاً ، وكان هذا سبباً في فضيحة كبرى للأرثوذكسين .

وفي هذا الوقت ظهرت شخصية جديدة هي سرجيوس الراسعيني (حوالى ٥٣٦) وهو طبيب شهير وفيلسوف ذائع الصيت وبارع في اليونانية ، قام بترجمة كتب مختلفة إلى السريانية في الطب والفلسفة والفلك واللاهوت . وقد جاءت في سيرة الجاثليق النسطوري مارأبا إشارة إلى شخص يدعى سرجيوس وُصف بأنه من أتباع آريوس وبه ميل إلى الوثنية . ويقول مارأبا إنه رغب في مقابله ومناقشته وربما إدخاله في الإيمان الصحيح . ولا ريب في أن هذا هو سرجيوس المنوه عنه . وفي سنة ٥٣٥ ذهب إلى أنطاكية ليقدم شكوى ضد أسقف يسمى أسيلوس (Asylus) . ولكن إفرايم بطريرك أنطاكية كان هو نفسه في موقف حرج . فقد كان هو البطريرك الأرثوذكسي ، وكان معروفاً كواحد من مضطهدي أصحاب الطبيعة الواحدة . وإذ ذاك بدا أن نجم أصحاب الطبيعة الواحدة كان في صعود تحت حماية الإمبراطورة ثيودورا فخشي احتمال إرجاع ساويرس إلى كرسي أنطاكية . ولما رأى أن سرجيوس من رجال العلم والثقافة ويحسن اليونانية بعث به إلى البابا أغابيتوس ليضمن تعصيده في التماس وجهه إلى الإمبراطور ليتخذ خطوات حاسمة ضد أصحاب الطبيعة الواحدة . وقد وجد سرجيوس البابا أغابيتوس على أهبة السفر إلى القسطنطينية في مهمة أخرى وهي أن يحصل على شروط للهدنة مع ثيوداهاد (Theodahad) الذي كان يرغب في مصالحة الإمبراطور جستنيان . فسافر البابا وسرجيوس معاً إلى

القسطنطينية . ولم يوفق أغابيتوس في منع الحملة التأديبية التي جهزت للقضاء على ثيوداهاد ولكنه اعترض لدى الإمبراطور على ما يلقاه أصحاب الطبيعة الواحدة من معاملة حسنة .

ولم يمض طويل وقت بعد هذه السفارة حتى مات سرجيوس ولو أن معلوماتنا عن حياته وتتابع الحوادث فيها قليلة . وهو يعد بوجه عام من أصحاب الطبيعة الواحدة ولو أن الترجمات التي وضعها عن اليونانية كان يستعملها النساطرة وغيرهم . ويقول المؤرخ السرياني عبد أيشوع (« أقوال الآباء الشرقيين » ، الجزء الثالث ، ٨٧) إن سرجيوس كان نسطورياً لأن كثيراً من كتبه مهداة إلى ثيودور الذي صار أسقفاً نسطورياً على مرو سنة ٥٤٠ . ولكن ثيودور المروزي كان تلميذاً له ، ولا ريب في أن هذه الكتب قد أهديت إليه على هذا الاعتبار . والحقق أن الجثاليق النسطوري مارأبا لم يكن بعده واحداً من رعيته . وكان يرفع ملتزمه إلى بطريك أنطاكية الأرثوذكسي وعمل سفيراً له . ولكن يُرد على ذلك بأنه لم يكن هناك جهة أخرى يرفع ملتزمه إليها ، ذلك أن سرجيوس بطريك أصحاب الطبيعة الواحدة كان في هذا الوقت منفياً . فالتفسير المعقول إذن أن سرجيوس قد تحول من طائفة إلى أخرى . ذلك أنه لم يكن يتمتع بسمعة طيبة لأخلاقه العامة ، وهذا يعني في الأساليب التي كانت متبعة حينئذ في الخصومات الدينية أنه تحول من فرقة إلى أخرى . أو لعله كان رجلاً لا يأبه بهذه الخلافات المذهبية ، ولم يعن إلا بمستقبله . وكان قد التحق في صلب حياته بمدرسة الإسكندرية واستغل معرفته باليونانية في وضع ترجمات سريانية لأهميات الكتب التي تدرس فيها . وقد شملت هذه الترجمات ، كما اقتبسها حنين بن إسحق في « الرسالة » ، الجزء الأكبر من منهج الإسكندرية ، ولو أن هذا المنهج لم يكن قد اتخذ شكله النهائي . فقد أضيف إليه فيما بعد بحثان لجالينوس هما « كتاب الفرق » وكتاب « في النبض إلى تيرون » وهو لم يترجم هذين البحثين وإنما قام بترجمتهما إلى السريانية

ابن شهدي في العصر الإسلامي^(١) . ويصف حنين بن إسحق هذه الترجمة بأنها رديئة . ولكن مستوى حنين بن إسحق في الترجمة كان عالياً جداً . وهناك قدرٌ كبيرٌ مما بقي من أعمال سرجيوس ، محفوظ في المتحف البريطاني ، إضافات تحت رقم ١٤٦٥٨ .

لقد كان من نتائج تدخل البابا أغابيتوس أن اتخذت الخطوات ضد أصحاب الطبيعة الواحدة . واجتمع مجمع مقدس في القسطنطينية وعزل كلاً من أنثيموس بطريرك القسطنطينية وتيموثاوس بطريرك الإسكندرية ، في حين أن ساويرس قد حرم وطرده رسمياً . وعيّن بطريرك جديداً اسمه ميناس (Menas) في القسطنطينية . وبعد هذه التجربة اعترف ساويرس ثانية في مصر ومات فيها . ولا يعرف تاريخ وفاته بالضبط ، فقد ورد اختلاف بشأنه بين ٥٣٨ أو ٥٣٩ أو ٥٤٢ أو ٥٤٣ . وقد ترك كتباً كثيرة لم تبقى منها إلا الترجمات السريانية ، وأغلبها مبتور . وأكبر أعماله أنه صاغ عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة في صيغتها النهائية . ولما كان ساويرس مصرعاً في عدائه لقرارات مجمع خلقيدونية ، ولما كان غير مستعد لقبول وثيقة الاتحاد ، فقد حرص على ألا يقبل معتقد أوطاخى ولا معتقد جوليان المالكارياناسى الأكثر تطرفاً . والحق إنه من وجوه كثيرة يقرب من العقيدة الكاثوليكية أكثر مما ينتظر من أحد أصحاب الطبيعة الواحدة . ويبدو أنه لما كانت الخصومة قد بدأت أولاً بأوطاخى ولما كان جوليان أعلى من اشتركوا فيها صوتاً ، فقد حسب الناس أن آراءهما المتطرفة كانت تمثل عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة . ولكن ساويرس كان يعلم عقيدة أكثر اعتدالاً ؛ ومع ذلك فلا بد من اعتباره واعتبار أتباعه من المتشقين ، إن لم يكن لشيء فلأنهم رفضوا أن يقبلوا قرارات مجمع خلقيدونية المتزنة .

(١) هو ابن شهدي الكرخي وكان ينقل من السريانية إلى العربية نقلاً رديئاً ، وما نقل كتاب الأجنة لبقرات . انظر ابن النديم : كتاب « التمهيد » ص ٣٤١ . (المراجع)
(٨ - علوم اليونان)

٤ - تنظيم كنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة

إن موت ساويرس الأنطاكي يضع حداً لمرحلة أخرى في تاريخ أصحاب الطبيعة الواحدة . فقد صار لهم إذ ذاك ، نتيجة لمجهوداته ، ثبت محدد أعلنت فيه العقيدة في لغة واضحة . ولو أنها لم تكن مقبولة في ذلك الحين لدى كل فرق طائفة أصحاب الطبيعة الواحدة . على أنهم كانوا مجتمعاً بلا تنظيم ، وكان أساقفتهم - وقد حرموا من كراسيهم - غير قادرين على رسامة قسس جدد ، وكان أتباعهم في كثير من البقاع مضطرين إلى البقاء بغير تناول الأسرار المقدسة لعدم توافر رجال الدين ، وقد رفضوا أن يقيم لهم القديس . رجال الدين الذين قبلوا قرارات مجمع خلقيدونية . لقد فرض الإمبراطور جستين قرارات مجمع خلقيدونية قسراً وفرضها الإمبراطور جستينيانوس . بقسر أقل . ولكن الإمبراطورة ثيودورا كانت تعمل في قصرها الكثيرين من الأساقفة المعزولين وأجرت عليهم المعاشات .

إن البطاركة الأرثوذكسيين في أنطاكية وبخاصة يوفراسيوس . (Euphrasius) (٥٢١ - ٥٢٦) وإفرايم (٥٢٦ - ٥٤٦) كانوا يضطهدون أصحاب الطبيعة الواحدة في سوريا أشد الاضطهاد . فتأثر أحد رهبان دير على جبل الأزل ، وهو يعقوب التلي ويعرف عامة باسم يعقوب البردعي إشارة إلى الملابس الخشنة التي كان يلبسها عادة ، حزناً على ما يلقاه إخوانه من أصحاب الطبيعة الواحدة من عنت ، وذهب بصحبة راهب من تلاً (Tella) يدعى سرجيوس إلى مدينة القسطنطينية ليدافع عن قضيتهم بحضرة الإمبراطورة ثيودورا . وقد أسبغت عليه ثيودورا من العطف والرعاية ما جعله يطيل مقامه في القسطنطينية خمسة عشر عاماً ، ولكنها لم تستطع في ذلك الوقت أن تصنع من أجله شيئاً . وعندئذ في سنة ٥٤٣ قدم إلى بلاط ثيودورا الحارث ابن جبلة ملك قبيلة بني غسان العربية التي كانت الحكومة البيزنطية تمدّها

بالمال لقاء حمايتها للحدود السورية ، كما كانت الحكومة الإمبراطورية تسبخ على شيخها بصفة رسمية لقب ملك . وكان مقنم الحارث ليطلب إلى ثيودورا الإذن لبعض الأساقفة كيم يقدوا إلى أعراب سوريا . وبناءً على إيعاز ثيودورا قام ثيودوسيوس بطريك الإسكندرية المنفى والذي كان يعيش في قصر ثيودورا على ما تجر به عليه من معاش ، برسم شخص يدعى ثيودور أسقفًا على بصرى (Bostra) وهي السوق الكبرى الواقعة على الحدود السورية ، وعندها كان لا بد للبضائع المستوردة بالطريق البري من الهند وبلاد العرب والتي تنقلها القوافل من اليمن إلى الشمال مارة بمكة والحجاز ، من أن تمر بالجمارك الإمبراطورية . وفي نفس الوقت رسم يعقوب البردعي أسقفًا على الرها . ولم يكن هذا اللقب إلا مجرد رتبة كهنوتية اسمية لأنه كان من المفهوم أنه سيكون أسقفًا متنقلًا ينظم طائفة أصحاب الطبيعة الواحدة في سوريا وآسيا الصغرى ، كما كان ثيودور يقوم بمهمة كهذه بين العرب المقيمين على الحدود وفي بلاد العرب . ومن بين الاثنين كان يعقوب أقدر وأكفأ . فقد جال خلال سوريا وآسيا الصغرى ومصر ومناطق أخرى . وكان دائماً متخفياً ، وقد وضعت الحكومة ثمناً لرأسه . وفي كل مكان ذهب إليه كان ينظم طائفة أصحاب الطبيعة الواحدة باعتبارها كنيسة مستقلة ويرسم الأساقفة والقساوسة ويشرف على الأمور الإدارية حتى إنه ليعتبر عن جدارة المؤسس الحقيقي لكنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة التي تسمى عادة نسبة إليه بالكنيسة يعقوبية . وفي سنة ٥٤٣ أو لعلها ٥٣٩ كان صديقه سرجيوس قد عين بطريكاً (لأصحاب الطبيعة الواحدة) في أنطاكية . وكان فيها بطريك أرثوذكسي يرد اسمه في القوائم الرسمية ، ولكن سرجيوس كان هو البطريك الذي اعترف به أصحاب الطبيعة الواحدة أو اليعاقبة . ولقد كانت رتبته الكهنوتية لا تعدو رتبة اسمية ، إذ لم يكن من المصرح به لأسقف من أصحاب الطبيعة الواحدة أن يعيش في أنطاكية . ولسوء الحظ كانت الخلافات الداخلية الكثيرة تكدر صفو أصحاب الطبيعة الواحدة ، وتسبب ليعقوب الشيء الكثير من

الضيق لأنه لم يستطع أن يهدئها . وفي سنة ٥٧٨ سافر إلى مصر ليتحدث إلى دميان (Damian) بطريرك الإسكندرية بشأن هذه الخلافات ولكنه مرض في الطريق ومات في دير مار رومانوس .

وعلى الرغم من أن كنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة لم تكن مستوفية لنظامها وحسن استعدادها كهيئة مستقلة قبل عهد يعقوب البردعي ، فقد كان في سوريا عدد من القادة الأذكياء ، كان أبرزهم يعقوب السروجي وفيلوكسينوس (Philoxenus) .

أما يعقوب السروجي فكان قيماً أو أسقفياً ريفياً في حورا من أبروشية سروج حوالي ٥٠٢ - ٥٠٣ وارتقى إلى كرسي بطنان في نفس المنطقة في سنة ٥١٩ وتوفي سنة ٥٢١ . وقد ترك رسائل كثيرة أغلبها ضمن مخطوطات المتحف البريطاني رقم ١٤٥٨٧ و ١٧١٦٢ ؛ على أن شهرته تستند بصفة خاصة إلى منظوماته التي كان من أبرزها عظامه المنظومة التي نسجها الكثيرون على منوالها .

وفيلوكسينوس ، اسمه في السريانية أكسينايا (Aksenaya) وهو من خريجي مدرسة الرها ، وقد تلقى العلم على يد إبيسها ولكنه كان من الأقلية المناهضة للمذهب النسطوري ، وهي الأقلية التي وقفت في وجه التعاليم النسطورية . ويقال إنه حرّض الأسقف قورش (Cyrus) على إغراء زينون بإغلاق مدرسة الرها سنة ٤٨٩ . وقد رسمه بطرس القصار الأنطاكي أسقفاً على منبج (Hieropolis) ، وزار القسطنطينية سنة ٤٩٩ وكذلك في ٥٠٦ ، وكان في كل مرة يعاني الأمرين من الموظفين المعادين له . وفي سنة ٥١٢ رأس المجمع المقدس الذي انتخب ساويرس للكرسي البطريركي في أنطاكية . ولكن عندما تولى جستين العرش الإمبراطوري نفي فيلوكسينوس مع ثلاثة وخمسين من الأساقفة البارزين من أصحاب الطبيعة الواحدة . وذهب إلى فيليبو پوليس في تراقيا ، ثم إلى غانفرا في ولاية پافلاجونيا ، وهناك قتل غيلة

سنة ٥٢٣ . وقد وضع عدداً من العظات النثرية والمقالات اللاهوتية والرسائل وصوراً عديدة من القداست . ولكن شهرته تعتمد على ترجمة جديدة مثقنة للعهد الجديد إلى السريانية أعدها بتوجيه رئيس الكورس (Chorepiscopus) بوليكارپوس وأتمها سنة ٥٠٨ . وقد نشر بوكوك (Pococke) في إنجلترا جزءاً من هذه الترجمة سنة ١٦٣٠ ولكنه اعتمد على مخطوطة غير دقيقة (هي الآن في المكتبة البودلية بأكسفورد) . ونشر إيزاك هـ . هول (Isaac H. Hall) سنة ١٨٨٨ طبعة مصورة من مخطوطة أخرى لهذه الترجمة من رق مملوك لبعض الأمريكيين ولكن النص كله ليس في متناول اليد ، على الرغم مما سرت به الأنباء من أنه قد اكتشف مرات عديدة . وقد ذاعت شهرة هذه الترجمة وقتاً ما ، ولكن أصحاب الطبيعة الواحدة أخرجوا فيما بعد ترجمات أفضل منها فحلت محلها .

ومارا (المتوفى سنة ٥٢٧) أسقف آمد ، كان ممن نحاهم الإمبراطور جستين عن كراسيهم سنة ٥١٩ ، وقد نفي مع إيسيدور (Isidore) أسقف قنشرين إلى سلع (بطرة) (Petra) في بلاد العرب . وعندما مات جستين سنة ٥٢٧ سمح له بالذهاب إلى الإسكندرية حيث أمضى بقية حياته . وفي الإسكندرية أخرج نسخة من الأناجيل وضع لها « مقدمة » باليونانية . وتوضح كل هذه الأمثلة مبلغ النشاط الذهني لطائفة أصحاب الطبيعة الواحدة .

كان يوحنا برقرصوص رائداً نابهاً من أصحاب الطبيعة الواحدة (تو في ٩ فبراير سنة ٥٣٨) وكان أسقفاً لتيلا (قسطنطينية Constantina) وقد رسم سنة ٥١٩ وكان يعقوب السروجي ممن رسموه . وعزله جستين سنة ٥٢١ ، ولكنه ولّى وجهه شطر القسطنطينية ليدافع عن نفسه . وفي الطريق إلى مسقط رأسه قبض عليه إفرايم بطريرك أنطاكية وكان شديد الاضطهاد لأصحاب الطبيعة الواحدة ، وسجنه في دير قومس منس (Comes Manasse) حيث مات سنة ٥٣٨ . وقد أمضى الشطر الأكبر من حياته في الترويج

لمذهب الطبيعة الواحدة على الحدود السورية وبين القبائل العربية المتاخمة . وقد ترك مجموعة من القوانين بعنوان مسائل (Quaestiones) وبعض الكتب النثرية الأخرى .

وكان من معاصريه سمعان أسقف بيت أرشام بالقرب من سلوقية الذى رسم فى عهد الجاثليق بابي (Babai) (٤٩٨ - ٥٠٣) ومات سنة ٥٤٨ وكان متفهماً فى المنطق الأرسطاليسى وجدلياً لا يكل . وبذل جهده ، شأنه شأن يوحنا برقرصوص لنشر مذهب الطبيعة الواحدة . وقد جاب فارس وبلاد ما بين النهرين يجمع شمل أصحاب العقيدة الواحدة ويجادل النساطرة وأتباع أوطاخي والمانويين وقد أكسبه هذا لقب « المجادل الفارسى » . وهو من المدافعين الأقوياء القلائل عن مذهب الطبيعة الواحدة فى فارس . وحوالى سنة ٥٠٣ نصب أسقفًا على كرسي بيت أرشام الصغير بالقرب من سلوقية . وقد زار معقل النساطرة العظيم فى الحيرة عدة مرات . وذهب ثلاث مرات إلى القسطنطينية ليتبادل رأى مع الإمبراطورة ثيودورا ومات فى أثناء زيارته الثالثة . ولم يبق من رسائله إلا رسالتان فقط ، أما إحداها فتروى مع التحيز الشديد قصة ظهور المذهب النسطورى وانتشاره ، وفيها ملاحظات تهكية على الكثيرين من زعماء النساطرة . وأما الأخرى فتدور على اضطهاد المسيحيين فى نجران من بلاد العرب على يد الملك اليمنى اليهودى ذى نواس سنة ٥٢٣ وهو الاضطهاد الذى يقال إنه موضوع سورة البروج فى القرآن .

وكان يشوع العمودى مدافعاً آخر من أصحاب الطبيعة الواحدة . وكان فى أصله راهباً فى دير « ذوقنين » بالقرب من آمد . وكتب تاريخ الحرب الفارسية : وهو أكبر ما نعتمد عليه فى تاريخ هذه الفترة ، ولو أن به ميلاً نحو أصحاب الطبيعة الواحدة فى الطريقة التى ينتقى بها الأشخاص موضوع إعجابه . لقد كتب هذا التاريخ حوالى سنة ٥١٥ (١) .

(١) نتره مارتن (Martin) فى كتابه « تاريخ يشوع العمودى » Chronique de

كان كاتب التراتيل سمعان قوقايا (الفخارى) من أهل جشير بالقرب من دير مار بسوس ، وقد ألف تسايحه بينما كان يعمل على دولاب الفخار . وقد سمع يعقوب السروجى به من رهبانه فزاره وأخذ معه بعض هذه التسايح وشجعه على ممارسة مواهبه الشعرية . ويقول رابت « وقد بقيت لنا نماذج من هذه القوقاياثا (الفخاريات) فى صورة تسع تسايح فى ميلاد المسيح ، محفوظة فى مخطوطة المتحف البريطانى رقم ١٤٥٢٠ وهى مخطوطة من القرن الثامن أو التاسع » (١) .

ومن القساوسة الذين اضطهدوا فى عهد چستين ، يوحنا الأفظوفى رئيس دير القديس توما فى سلوقية ، فقد طرد من هذا الدير ولكنه أنشأ ديراً آخر فى قنسرين بجوار الرّما . وقد ازدهرت هذه المنشأة الجديدة فى القرن السابع لتعليمها اللغة اليونانية ، وكان يؤمها كثير من العلماء من أصحاب الطبيعة الواحدة . إن أصحاب الطبيعة الواحدة لم يقيموا منشآت مثلاً أقام النساطرة فى نصيبين وجنديسابور . ولكن هذا الدير صار مثلها مركزاً من مراكز العلم .

وكان يوحنا الإفوسى أو الأسوى راهباً من أصحاب الطبيعة الواحدة . واضطر إلى الفرار من دير ليتوقى الاضطهاد . ووجد ملجأ فى القسطنطينية سنة ٥٣٥ وفيها التقى ببعقوب البردعى وكان ذا حظوة لدى الإمبراطور چستنيان الذى ألحقه بالخدمة الإمبراطورية وأرسله إلى آسيا الصغرى لينشر الدين بين الوثنيين الذين كانوا إلى ذلك الحين لا يزالون حول إفسوس . ولكن عندما مات چستنيان اضطربت حياته . على أن تاريخ وفاته

Abhand. für d. Kunde d. Morgenlandes. Josue le Stylite = السادس . كما نشره و . رايت (W. Wright) فى تاريخ يشوع العمودى The Chronicle of Joshua the Stylite وهو مؤلف بالريانية مع ترجمة وهامس ، كبردج سنة ١٨٨٢ . (١) راجع رايت (Wright) « تاريخ الأدب السرياقى » ص ٧٩ .

غير معروف ولكنه كان لا يزال على قيد الحياة في سنة ٥٨٥ ، وكان لقبه الرسمي « أسقف إفسوس على الوثنيين » . وترجع أهميته أولاً إلى أنه وضع كتاباً في « تاريخ الكنيسة » في ثلاثة أسفار . أما السفران الأول والثاني ويقع كل منهما في ستة فصول فيشملان تاريخ الكنيسة إلى سنة ٥٧٢ . وأما السفر الأخير وهو أيضاً من ستة فصول فيتابع تاريخ الكنيسة إلى سنة ٥٨٥ وهو يشمل الفترة التي كان له بها معرفة شخصية . وحيث أن يوحنا الإفوسوسي كان على صلة بيعقوب البردعي وغيره من زعماء مذهب الطبيعة الواحدة فإن هذا السفر يحتوي على معلومات عظيمة الفائدة . وقد بقي من هذا الكتاب جزء كبير في صورة قطع مبتورة ، ولكن الكثير من هذه القطع طويل متصل . وأكثره محفوظ في مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٤٦٤٠ التي نشرها كوريتون (Cureton) سنة ١٨٥٣ . ونشر بين سميث (Payne Smith) ترجمة إنجليزية له سنة ١٨٦٠ ونشر شونفلدر (Schoenfelder) ترجمة ألمانية سنة ١٨٦٢ .

إن تاريخ يوحنا الإفوسوسي ليكمله التاريخ الذي كتبه باليونانية زكريا البليغ (Rhetor) أو الاسكولائي (Scholasticus) ، الذي عاش في أواخر القرن السادس . ومن سوء الحظ أن هذا الكتاب قد ضاع . ولكن هناك مؤلف من القرن السادس في اثني عشر كتاباً وضعه واحد من أصحاب الطبيعة الواحدة غير معروف ، وهو يشتمل على مادة مستقاة من مصادر متفرقة ، وفي الكتب ، الثالث والرابع والخامس والسادس يروي الشق الأكبر من تاريخ زكريا وهي تطوى السنوات الواقعة بين ٤٥٠ و ٤٩١ . ويظهر أن الكتاب الأصلي قد تابع التاريخ إلى سنة ٥١٨ . وكان المترجم السرياني يكتب في وقت تأخر إلى سنة ٥٦٩ أو بعدها . ولا يوجد من هذا التاريخ إلا جزء باق في ترجمته السريانية المحفوظة في مخطوطة بالمتحف البريطاني رقم ١٧٢٠٢ .

٥ - أصحاب الطبيعة الواحدة من الفرس

إن يعقوب البردعي لم يعمل في فارس أبداً ، ولكنه رَسَمَ حوالى عام ٥٥٩ أحوزمة أسقفاً على تكرت ، في هضاب حَنْدَب (Adiabene) وهى المنطقة التى قاومت برصوما والنساطرة على الدوام وأصبحت مركز مذهب الطبيعة الواحدة في فارس . لقد أثبت أحوزمة أنه مبشر نشط وقد قام بمجهود كبير لنشر مذهب الطبيعة الواحدة . وقد حوّل إلى المسيحية بعض أعضاء الأسرة المالكة وعمّد أحد أبناء الملك كسرى الأول وسماه أيجرجس ولكنه زُجَّ به في السجن من أجل هذا وقتل فيه سنة ٥٧٥ .

وبعد قتل أحوزمة لم يكن لأصحاب الطبيعة الواحدة أسقف في فارس إلى سنة ٥٧٩ حينما عين قيشوع أسقفاً . ويقال إنه « كان عالماً في الكنيسة الجديدة التى أنشئت لتقويم الأرثوذكس بالقرب من القصر الملكى » . تلك كلمات ابن العبرى^(١) وهو يستعمل التعبير « أرثوذكسى » ليشير إلى أبناء طائفته لأنه من أصحاب الطبيعة الواحدة . ومن الطريف أن نعلم أن أصحاب الطبيعة الواحدة قد أقاموا كنيسة بالقرب من القصر الملكى .

كانت تعاليم أصحاب الطبيعة الواحدة تلقى ترحيباً كبيراً في حَنْدَب . وكان المركز الرئيسى فيها لنشاط أصحاب الطبيعة الواحدة دير مار متى ، ولعله كان يقع فيما يعرف الآن باسم حلوان على جبل « مقلوب » على مسيرة أربع ساعات تقريباً من الموصل ؛ فى المنطقة الواقعة بين نهر دجلة والزاب الأكبر . ومنذ عهد أحوزمة كان مطران أصحاب الطبيعة الواحدة مع أنه أسقف تكرت الاسمى يقيم فى هذا الدير آمناً فى معقله الجبلى وذلك إلى سنة ٦٢٨ تقريباً حينما دعا أنثاسيوس الملقب « بالجمال » (وهو بطريرك أصحاب الطبيعة الواحدة) أساقفة الفرس من أبناء طائفته إلى سوريا لمناقشة الخطوات التى

(١) « تاريخ الكنيسة » ، ٢٠ ، ١٠١ .

يجب أن تتبع لتنشيط الدعوة إلى مذهب الطبيعة الواحدة في المناطق التي تحول فيها أكثر المسيحيين إلى المذهب النسطوري . وقد لبي دعوته خمسة من الأساقفة كان بينهم كريستوفر مطران تكريت وهو الذي غير مقره من دير مار متى إلى مدينة تكريت^(١) نفسها بعد أن رجع من سوريا . واحتفظ بلقب مطران فخرى لأسقف مقيم في دير مار متى ولكنه كان لقباً تشريفاً فحسب ، لأن السلطة الفعلية كانت في يد أسقف تكريت وقد أصبح يقيم إذ ذاك في مقره الرسمي . وفي سنة ٦٤٠ رقي ماروثا (Marutha) وهو أحد نزلاء دير مار متى إلى رتبة الأسقفية في تكريت واتخذ هو وخلفاؤه من بعده لقب « مَقرَّيان » الذي صار يستعمل منذ ذلك العهد لتمييز الرئيس الأعلى لكنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة في فارس وفي آسيا عامة . وفي ذلك الحين كان أصحاب الطبيعة الواحدة قد انتشروا في أرجاء الشرق . وقد طلب من البطريرك أثناسيوس أن يرسم أساقفة لهذه المناطق البعيدة . ولكنه رفض أن يستجيب لذلك وآثر أن ينتظم أصحاب الطبيعة الواحدة الشرقيون تحت إشراف المقريان باعتبارهم هيئة مستقلة . وهكذا أنشأ ماروثا كرسي هرات في خراسان ، وقد أضيفت إليه كراسي شرقية أخرى فيما بعد^(٢) .

إن المراكز العلمية الكبرى لأصحاب الطبيعة الواحدة هي دير مار متى وطور عبادين على الفرات الشمالي الذي يعتبر أقدم الأديرة فيما بين النهرين ، وفسرين بالقرب من الرها . وكان الكثيرون من المطارنة من خريجي هذا الدير الأخير ، ومنهم أثناسيوس الأول (المتوفى ٦٣٠ - ٦٣١) وأثناسيوس الثاني البلدي (المتوفى سنة ٦٨٥) وغيرهما .

إن عنصر أصحاب الطبيعة الواحدة القوي في مصر قد اجتذب في

(١) انظر ملاحظات (٦) .

(٢) ابن العبري « تاريخ الكنيسة » ٢ ، ١٢١ .

السنوات الأولى من القرن السابع عدداً من الرهبان والعلماء السريانيين من أصحاب الطبيعة الواحدة إلى الإسكندرية للدرس ، وكان بينهم بولس التلى وتوماس الحرقلى . ويبيّن هـ . إفلين هوايت^(١) أن جالية من الرهبان السريان كانت تسكن في أسقيط في ٥٧٦ ، ويرجح أن شخصاً يدعى ماروثا ابن حبيب قد أنشأ أو اشترى من الأقباط حوالى ٧١٠ دير السريان في وادى النطرون وهو الدير الذى حصلنا منه على كثير من المخطوطات القيمة . وقد كان بطريرك الإسكندرية يقيم في وادى النطرون من القرن السادس إلى السابع .

إن هذا الاتصال الوثيق بمصر وخاصة بالإسكندرية قد يَسّر انتشار علوم الإسكندرية بين أصحاب الطبيعة الواحدة من السريان والفرس . وتبرز في هذا الصدد شخصيتان ناهتان لما أهمية خاصة .

كان يوحنا فيلويونوس السكندرى (حوالى ٥٦٨) ردياً من الزمن من أصحاب الطبيعة الواحدة . ثم تحوّل إلى عقيدة تسمى الثلاث (Trithelism) كان قد دعا إليه أول الأمر يوحنا أسقوزناغيس (Ascusnaghes) الذى كان ردياً من الزمان رئيس الفرقة التى اتبعت تعاليمه . وقبل أن يصبح يوحنا فيلويونوس من أتباع مذهب الثلاث كتب بحثاً يسمى الحكيم (diaetetes) تلبية لدعوة ساويرس الأنطاكي . وقد وصلنا من هذا البحث ما اقتبس منه يوحنا الدمشقي . ومع ذلك فالكتاب كله موجود في ترجمته السريانية والظاهر أنه صادف قبولاً حسناً لدى أصحاب الطبيعة الواحدة (انظر المتحف البريطاني - المخطوطة رقم ١٢١٧١) . وقد وضع أيضاً شرحاً على كتاب أيساغوجي لفورفوروريوس ، وقد كان أصحاب الطبيعة الواحدة عامة يعتمدون على هذا الشرح ، وفي سنة ٥٦٨ نشر نقداً لمبحث تعليمي وعظي ليوحنا بطريرك القسطنطينية . ولا نعرف تاريخ وفاته بالضبط .

(١) (H. Evelyn White) « أديرة وادى النطرون » الجزء الثانى ص ٣١٩

وما بعدها .

ولا بد أن نقرن بهذا الاتصال بالإسكندرية معرفة سوريا بالكتاب الطبي « الكناش » (Syntagma) الذى وضعه الطبيب السكندرى أهرون وهو من أصحاب الطبيعة الواحدة . وقد انتشر هذا الكتاب فى ترجمته السريانية بين أصحاب الطبيعة الواحدة وبين النساطرة على السواء . وأصبح الكتاب المتداول المفضل فى الطب ، وكان له تأثير كبير على الدراسات الطبية فى جنديسابور ثم أثر آخر الأمر على الأطباء العرب الأول . وإننا لنستنتج هذا من كثرة الاقتباسات التى أخذها منه كتاب الطب من السريان المتأخرين والعرب المتقدمين .

إن الفتح العربى فى سنة ٦٣٢ لم يوقف الحياة الدينية أو الفكرية لطائفة النساطرة أو أصحاب الطبيعة الواحدة . لقد فرض العرب الجزية ولكن هكذا كانت تفعل الحكومتان الفارسية والرومانية . وتركت الطوائف التى تدفع الجزية حرة تتبع قوانينها وديانها وتقاليدها وتحيا حياتها الفكرية الخاصة . وأصبح الاتصال بين مصر وفارس وسوريا أسهل من ذى قبل ، وقد شجع هذا الاتصال الثقافة الذهنية التى كانت تنتظر التوجيه من الإسكندرية . وعندما انغمست الإسكندرية فى المصالح التجارية أصبحت هذه البلدان تطلب التوجيه فى مدن أخرى وهى التى ورثت الإسكندرية ثقافياً .

لقد كان ساويرس سنجت (المتوفى ٦٦٦ - ٦٦٧) أسقف قنسرين أبرز عالم سريانى فى هذه المرحلة المتأخرة . وقد كتب رسائل فى موضوعات لاهوتية إلى باسيليوس القبرصى وسرجيوس رئيس دير سنجار ، كما كتب مقالين فى القديس غريغوريوس النازينى . أما فى المنطق الأرسطاليسى فقد وضع رسالة فى القياس فى كتاب « أنالوطيقا » وبجثاً فى كتاب « العبارة » لأرسطو ، وقد اعتمد فى هذا على شروح بولس الفارسى ؛ وكتب رسالة إلى آية الله الموصلى فى بعض الاصطلاحات الواردة فى كتاب « العبارة » (المتحف البريطانى رقم ١٧١٥٦) ورسالة إلى القيم يونان فى منطق أرسطو

(مكتبة جامعة كمبردج رقم ٢٨١٢) . وإلى جانب هذه الأبحاث في المنطق كتب أيضاً في الموضوعات الفلكية (المتحف البريطاني رقم ١٤٥٣٨) . وألف بحثاً في الآلة الفلكية التي تعرف باسم الاسطرلاب ، وقد حققه ونشره ف . نو (F.Nau) (باريس سنة ١٨٩٩) وقد أثبت في كل هذه الأبحاث أنه أشرب علوم الإسكندرية ، ودلل على مبلغ انتشار الرغبة العلمية في هذه الآونة . ويبدو أنه قد اتخذ الخطوات لإدخال الأعداد الهندية ولكن هذا العمل لم يتم ولم يقم به أحدٌ ممن جاءوا بعده مباشرة . إن آثاره تمثل أرفع مستوى بلغه عالم سرياني . وكان هذا النشاط كما يلاحظ دائراً في قنسرين .

كان أصحاب الطبيعة الواحدة مجتهدين وموفقين في نشاطهم التبشيري ، وكانوا يجوبون الصحارى في حماية قبيلة بني غَسَّان العربية . وكانت حذيب وبيت عربايا فيما حول طور عبيدین تابعة لأصحاب الطبيعة الواحدة ، وكذلك كانت أرمينية والإقليم الواقع حول جبل الأزل إلى الشمال من نصيبين بقليل . وكانت مدينة جيسار مركزاً آخر من مراكز أصحاب الطبيعة الواحدة ، فقد كان في هذه المدينة طبيب يدعى جبريل وكان من أصحاب الطبيعة الواحدة المتفانين ، وقد عين كبير أطباء كسرى الثاني . وفي البلاط ارتضى النسطورية وهي المذهب المسيحي المعترف به في فارس رسمياً ، ولكنه ارتد إلى مذهب الطبيعة الواحدة لما رأى أن ذلك لا يعرضه لسخط الملك . وقد بذل هو والمملكة شيرين التي كان يتولى علاجها غاية الجهد لمساعدة أصحاب الطبيعة الواحدة وخذلان النساطرة . وليس من تقويم النفوس في شيء أن نرى هذه الطوائف المسيحية المتناحرة غارقة في اللسائس في بلاط غير مسيحي . لقد كان جبريل موفقاً في مجهوداته حتى أنه تمكن من منع تعيين جاثليق جديد للنساطرة لما شغل كرسي سلوقية ، وهكذا ظل النساطرة رديحاً من الزمان بغير رئيس رسمي .

وفي عهد الإمبراطور جستنيان أوفدت الإمبراطورة ثيودورا مبشرين من أصحاب الطبيعة الواحدة إلى أكسوم في إثيوبية ؛ وهكذا انضم الإثيوبيون تحت لواء كنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة . ويقال إن القديس متى الرسول هو الذي بشر في إثيوبية ، ولكن الدين المسيحي لم يتوغل في داخلية البلاد التي كان يسكنها برابرة من مختلف الأجناس ومختلف اللغات إلى أيام قسطنطين حينما جنح الشاب المسيحي فرومنتيوس (Frumentius) وتحطم على صخور شاطئ البحر الأحمر وبدأ يعلم بعض أولئك الناس الديانة المسيحية . وقد رسمه القديس أثناسيوس فيما بعد أسقفاً على أكسوم . هذه هي الرواية التي يرويها سقراط (Socrates)^(١) الذي استقى معلوماته من روفينوس (Rufinus)^(٢) الذي توفي سنة ٤٢٠ . فمن الواضح إذن أن الكنيسة الإثيوبية كانت وطيدة الأركان في مستهل القرن الخامس .

وفي عهد جستنيان احتلت أكسوم وعرشها مركزاً ممتازاً في السياسة البيزنطية . ذلك أن أعداء الإمبراطورية الرومانية قد ضيقوا الخناق على الإمبراطور في حدوده الأوروبية والآسيوية ، فلم يعد قادراً على الاستغناء عن أسطول يخفر به البحر الأحمر . فعقد في سنة ٥٢٢ محالفة مع ملك أكسوم قام بمقتضاها بهذه المهمة باعتباره حليفاً للحكومة البيزنطية . ولم يمض وقت طويل حتى سعى الملك إلى بسط نفوذه على ساحل بلاد العرب الجنوبية واتخذ لذلك ذريعة مقبولة هي أنه كان مضطراً إلى الإشراف على شاطئ البحر كليهما للقضاء على القرصنة ، إذ أن سكان الشاطئين كليهما من أرومة واحدة وكانوا جميعاً من قبل تحت حكم واحد .

لقد وفق الإثيوبيون إلى تثبيت أقدامهم في تهامة وهي المنطقة المنخفضة من الساحل ، ولكنهم أخفقوا في محاولتهم الاستيلاء على مكة . ولا نعرف.

H. E , I, 19. (١)

H. E., I, 9 (٢)

كم دام احتلالهم لتهامة . ولكن محاولتهم الاستيلاء على مكة كانت فيما يظن حوالى مولد النبي . ولعلها كانت في سنة ٥٧٠ هـ أو حولها . لقد أخفقت محاولة الإثيوبيين في الاستيلاء على مكة ولكنهم كانوا مع ذلك محاربين أشداء ، وقد اشترى كثيرون من أمراء بلاد العرب الجنوية رقيقاً إثيوبياً لصلاحيتهم للعمل كحرس خاص . وقد حذا أهل مكة حذوهم . فلم يكن تجار مكة فيما يبدو مقبلين على الحرب وكثيراً ما كانوا يعتمدون على الجند المرتقة في الدفاع عن مكة . وقد سلحوا في بعض المناسبات رقيقهم من الجيش ليكونوا قوة دفاعية . ولكنهم لم يثقوا بهم كل الثقة لأن الرقيق كان يلقي معاملة سيئة في وقت السلم ، وقد أبقى كثيرون منهم ، وكان الكثيرون من الآبقين في « المدينة » يوم هاجر إليها النبي فالتفوا حوله لأنه أظهر لهم العطف ، وكان في مكة في ذلك العهد الكثير من الرقيق الحبش والصناع الأحباش وكان منهم الكثيرون من الرقيق السابقين ، وكلهم من الطبقات المستضعفة وأغلبهم من المسيحيين من أصحاب الطبيعة الواحدة^(١) . ومن [البهتان] ما شاع من القول أن النبي سمع من هؤلاء قصص التوراة التي تحتل مكاناً بارزاً من القرآن . وقد قال أعداؤه « ثم تولوا عنه وقالوا

(١) هذا القول لا يقره رواة السيرة النبوية ولا المؤرخون الإسلاميون ، إذ أن الرقيق من السود والبيض على السواء كان تجارة شائعة في بلاد العرب خاصة والعالم عامة ؛ فالرقيق الذي وجد في مكة كانت مهمته الرئيسية غيره في سائر بلاد العرب وهي القيام على خدمة السادة وبعض الحرف الدنيا . ولكنه لم يعرف إطلاقاً أن المكين عهدوا إلى هذا العنصر بأعمال الحرب هجوماً أو دفاعاً . وغاية الأمر أنه كان يصاحب الجيش وقت الحرب للقيام بالأعمال التي كان يقوم بها النساء من تمريض وتموين وخدمات عامة . وقد آمن من هذا الرقيق عدد كبير ، وقع عليهم عبء كبير من الاضطهاد والتعذيب الذي كاله القرشيون لحمد وأتباعه . ومن ثم هجرة أتباع محمد جميعاً إلى المدينة قبل أن تطلق أقدام محمد أرض المدينة - ولعل الكاتب يشير إلى هذه الطائفة على أنهم عبيد ، والحقيقة أنهم كانوا قد تحرروا من الرق بعد إسلامهم على يد المسلمين ذوى المكانة والثراء من قريش . (المراجع)

«معلمٌ مجنون» (قرآن ؛ ٤٤ ، ١٢) ^(١) ثم «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه ، بَشَرَ لسانُ الذي يُلْحِدُونَ إليه أعجميٌ وهذا لسانُ عربيٌّ مبين» (قرآن : ١٦ ، ١٥٠) ^(٢) وقد قيل إن هذا المعلم الأعجمي كان ممن جاءوا إلى هناك ظلماً وزوراً (القرآن : ٢٥ ، ٥) ^(٣) . وفي هذا تلميح صريح إلى أنه كان من الأحباش . ولكن هؤلاء المسيحيين المستضعفين في مكة لم يكوّنوا هيئة منظمة ولم تكن لهم كنيسة ولم يكن لهم أسقف ^(٤) .

وكانت مدينة نجران في بلاد العرب غير بعيدة من مكة ، وهي الأخرى مسيحية تدين بمذهب الطبيعة الواحدة ^(٥) . ولا نستطيع أن نحدد مركزاً لأصحاب الطبيعة الواحدة يدعى نقل الثقافة اليونانية إلى العرب بنفس الثقة التي حددنا بها مركز النساطرة في جنديسابور . ومع ذلك فلا يمكن إغفال هذه الصلة ، لأن مراكز أصحاب الطبيعة الواحدة كانت في الحلق الأديرة ، ولم تكن الجامعات كما كان الأمر في جنديسابور ، ولذلك فلم تكن مراكزهم وثيقة الصلة بالعرب كما كانت مدرسة النساطرة . ولكن يشهد

(١) هذا الاستشهاد من (٤٤) سورة الدخان ، آية ١٤ .

(المراجع)

(٢) هذا الاستشهاد من (١٦) سورة النحل ، آية ١٠٣ .

(المراجع)

(٣) نص الآية الرابعة من سورة الفرقان (٢٥) : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراء وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً » . (المراجع)

(٤) انظر هـ . لامانس (H. Lammens) « المسيحيون في مكة قبيل الهجرة » من كتابه « بلاد العرب الغربية قبل الهجرة L'Arabie occidentale avant l'Hégire » (بيروت ١٩٢٠ ص ٤٧ - ٤٩) .

(٥) انظر لامانس « مكة قبيل الهجرة » بيروت ١٩٢٤ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ و ٢٨٩ .

على قيام الصلة ما تركته صوفية الكتب المنحولة على ديونيسيوس وهيروثيوس من أثر في تشكيل الفلسفة الإسلامية . ومع ذلك فقد جاء قدر كبير من النفوذ الموالى لليونان إلى بغداد عن طريق مرو ، فإذا تذكرنا كيف أن ماروثا قد مد أسقفية أصحاب الطبيعة الواحدة إلى تلك الأصقاع الشرقية ، بدا من الراجح أن عنصراً من مذهب الطبيعة الواحدة قد قام بدوره عن طريق مرو على الرغم من وجود أسقف نسطورى فيها .

الفصل السابع

أثر الهند - الطريق البحري

١ - الطريق البحري إلى الهند

إن الأثر اليوناني لم يأت إلى العرب مباشرة عن طريق سوريا ومصر فحسب ، بل جاءهم أيضاً بطريق غير مباشر من الشرق عن طريق الهند ومنها عبر فارس . وحلقة الاتصال هذه أكثر تعقيداً من الأولى ويمكن أن نلاحظ فيها ثلاث مراحل متميزة :

١ - وصول الآراء العلمية اليونانية إلى الهند بالطريق البحري الممتد من الإسكندرية إلى شمال غربي الهند ، وقد وصلت هذه الآراء مع ما أضافه إليها علماء الهنود من معلومات كثيرة إلى العرب في مستهل عصر الخلافة العباسية في النصف الثاني من القرن الثامن . وكانت هذه الحركة متصلة بمدينة أچين وهي ميناء الهند في آخر الطريق البحري الممتد من البحر الأحمر . وكان ثمة طريق بحري آخر يصل إلى الجنوب الغربي من الهند ولكن هذا الطريق لم يحقق نتائج علمية فيما يظهر .

٢ - لقد بقيت في آسيا الوسطى مراكز ثقافية يونانية في بلخ والصغد وفرغانة منذ أيام فتح الإسكندر . وقد أودت غارات البرابرة قبيل الميلااد بهذه المراكز من الوجهة السياسية ، ولكنها مع ذلك ظلت محتفظة بتقاليدها اليونانية واستطاعت أن تنشر قدراً معلوماً من الثقافة اليونانية في الهند والشرق الأقصى . ولقد خلقت الحروب الفارسية كثيراً من الأسرى في هذه المنطقة وخصوصاً فيما حول مرو وانتشر التأثير اليوناني من هذه المدينة ، وساعد مساعدة فعالة على إدخال العلوم اليونانية في بغداد .

٣ - وعلى الرغم من أن البوذية كانت في انحلال في الهند في القرون السابقة مباشرة لظهور الإسلام ، فإنها على التحقيق قد مهدت الطريق إلى الاتصال بالعالم الغربي ، وهي السبب المباشر في ظهور البرامكة وهم حماة الثقافة اليونانية ودعاتها الأولون .

لقد قام الاتصال في العصور المتقدمة بين الهند وبين الإمبراطوريات العظمى فيما يسمى الآن بالشرق الأدنى . وإن آثار هذا الاتصال لتبدو واضحة فيما خلفه الملوك الحيثيون في كبدوكية من نقوش ترجع إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد . فقد كان هؤلاء الملوك يحملون أسماء آرية ويعبدون آلهة آرية ، وكانوا فيما يظهر من أرومة الهندوس نفسها في إقليم البنجاب ، لأن ألواحاً من خشب الساج قد استعملت في بناء معبد القمر في أور وفي بناء قصر نبوخذنصر . وكلاهما من القرن السادس قبل الميلاد . ثم إن القروود والقبيلة الهندية والجالال البلخية مصورة على مسلة شالمنصر الثالث (٨٦٠ ق . م) وهي إما قد أحضرت بالطريق البري وإما حملت على السفن . وتشير ريج فيدا إلى رحلات بحرية ، كما أن الأدب البوذي غاص بمثل هذه الإشارات ، وكلاهما يرجع إلى تاريخ لاحق ولكنهما ينطويان على ما ينم عن تراث متقدم . لقد كانت التجارة البحرية تصل ولاريب من ميناء قريب من مصب نهر السند ، ثم تنتقل إلى الخليج الفارسي بالسير بمحاذاة ساحل جندروسيا ، وقام سنخاريب بتطهير الخليج الفارسي من القراصنة سنة ٦٩٤ ق . م . وظهور القراصنة دليل ضمنى على وجود التجارة البحرية ولا بد أن هذه التجارة قد زادت بعد القضاء على القراصنة . ويقال إن تجارة الخليج الفارسي كانت في أواخر القرن السابع في أيدي الفينيقيين الذين كانوا قد استقروا في مستنقعات شط العرب بعد أن خرب الزلزال ما كان لهم من بيوت^(١) . ويشير استرابون إلى معابد فينيقية في

جزر البحرين بالقرب من مصب الخليج الفارسي^(١) . وقد اكتشفت هذه المعابد وعثر على بقاياها .

لقد كان الطريق البحرى الذى يصل العالم الغربى بالهند معروفاً لليونان قبل الميلاد بزمان طويل ، ولعله كان معروفاً قبل أيام سكايلاكس (Skylax) صديق هيرودوت وجاره ، والمحقق أنه كان معروفاً قبل عهد نيآرخوس (Nearchus) والإسكندر الأكبر ، إذ أن نيآرخوس تمكن من أن يأخذ مرشداً من جلدروسيا كان يعرف الشاطئ إلى خليج هرمز^(٢) ، الذى كان العرب أصحاب احتكار فيما وراءه . وكانت الطريقة المتبعة أن ترسل البضائع براً إلى سلوقية على الفرات أو إلى زيوجما (Zeugma) ثم تهبط إلى أسفل النهر . ولكن الطريق من أنطاكية إلى الفرات كان يقتضى عبور الصحراء وهى مهمة عسيرة وغالباً ما كانت تحفها الأخطار ، ومن هناك إلى الحمرة (Charax) على مصب الفرات ومنها عن طريق الخليج الفارسي وعلى طول الساحل الجنوبي لجلدروسيا إلى پاتالا (حيدر آباد فى السند) على جنوب نهر السند ..

لقد كان التجار فيما بعد يتجنبون الخليج الفارسي نظراً لما ساد سوريا من فوضى بعد أن فقد السلوقيون سيطرتهم عليها ، ولمعادة البارثيين الذين كان لابد للبضاعة الهندية المجلوبة إلى الخليج الفارسي من المرور فى أراضيهم . وهذا ماهياً الفرص للتجار العرب ، ذلك أن البضائع الهندية كان يمكن أن تنزل فى أحد موانئهم مثل عدن وغيرها على ساحل اليمن أو أن تباع إلى التجار المصريين الذين كانوا قد نشطت تجارتهم فى البحر الأحمر . وفى عهد أجاثارخيديس (Agatharchides) (حوالى ١١٦ ق.م) كانت مصر تحصل على البضائع الهندية من التجار العرب فى عدن أو موزا (مخا) (Muza) ، بيد أن المصريين

(١) إسترابون ، الكتاب السادس عشر ، ٣ ، ٣ - ٥

(٢) أريانوس : « هندية » ٢٧ ، ١

لم يكن عندهم إلا فكرة مبهمة عن الطريق الذى كانت تسلكه هذه البضائع من الهند إلى بلاد العرب^(١). والظاهر أن أجاثارخيديس نفسه لم يكن على علم وثيق بالطريق بين الهند وبلاد العرب ، فلم تكن هناك تجارة مع الهند رأساً . أما ما قام به يودوكسوس (Eudoxus) من الإبحار مرتين من مصر إلى الهند وإتمامه الرحلة كلها ، فقد كان إجراء لا ضريب له .

وكانت البضائع التى ترسو فى اليمن تحمل برأ عبر الحجاز إلى سلع (بطرة) (Petra) . وقد حاول البطالمة أن يحولوها عن هذا الطريق ، وأن يأتوا بها عن طريق البحر الأحمر إلى أحد الموانئ المصرية ، ولكنهم لم يبدلوا جهداً فى التدخل فى الرحلة بين الهند وبلاد العرب . ولتحسين طريق البحر الأحمر أرسلوا أريسطون (Ariston) لاستكشاف شواطئه ، ونتج عن هذا أن بنيت الموانئ على طول شاطئ البحر الأحمر . وحاول بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ ق. م.) أن يجذب التجارة إلى قناة سيسوستريس (Sesostris) التى تصل خليج السويس بالنيل ، وأنشأ ميناء أرسنوى (Arsinoe) (السويس) على رأس القناة . ولكن لم يكن بد من ترك هذه القناة لصعوبة الملاحة فى خليج هيرونبوليس^(٢) مما جعل التجار يفضلون ليوكى كوى (Leuke Kome) أو أيلة (Aelana) وكلاهما على اتصال بسلع (Petra) لا بوادى النيل . ثم أنشأ بعد ذلك برنيقة التى كانت تتصل بقفط (Coptos) على النيل بطريق برى طوله ٢٥٨ ميلاً . وفى سنة ٢٤٧ أنشأ ميوس هرمس (Myos Hormos) على بعد ١٨٠ ميلاً شمال برنيقة ، وهى أسلم منها ميناءً وأقرب إلى قفط مسافة . ومع ذلك فقد كان للبحر الأحمر عيوب منها أنه كان غاصباً بالقراصنة إلى أن وضع بطلميوس يورجيتيس (٢٤٦-٢٢١ ق. م.) أسطولا فيه لقمع القراصنة^(٣) .

(١) انظر پريپلوس (Periplus) « رحلة البحر الأحمر » ٢٦

(٢) إسترابون ، الكتاب السادس عشر ، ٤ ، ٦

(٣) ديودور الصقل ٢ ، ٤٣ ، ٤

وكانت البضائع التي ترسو في اليمن تحمل برأً عبر الحجاز إلى ديدان (العلا) . ولعل هذا الطريق كان يمر في وقت ما يثرب (المدينة) ، ولكنه في القرنين السادس والسابع كان يدور حول يثرب ، وقد أقيمت عليه محطة مكة . ولعل ذلك كان بعد تدهور سلع عند ما أدمج تراجان بلاد النبط في الإمبراطورية الرومانية . لقد دعى النبي محمد إلى يثرب ليكون زعيم العرب المقيمين فيها وليجعل في وسعهم إما أن يسلبوا أو يعرقلوا سير القوافل الآتية من مكة أو ليحولوا في أغلب الظن طريق القوافل إلى يثرب . ففي عهده لم يكن طريق القوافل يمر بيثرب على التحقيق . وهذا الطريق الذي كان يمر بالحجاز هو طريق البخور الشهير الذي كانت تنتقل به بخور بلاد العرب الجنوبية . ولقد كان البخور وبخاصة المر والكندر (البان) والكاسيا وسنابل الطيب (الناردين) حقاً من منتجات بلاد العرب . وكان المصريون والبابليون واليهود وغيرهم يشترونها من العرب . ولا شك في أنها كانت تجارة رابحة . ولكنها لا تكاد تكفي بنفسها لتبرر مبالغة الكتاب من اليونان والرومان في تقدير ثروة بلاد العرب . فالظاهر أن هؤلاء الكتاب حينما كانوا يتحدثون عن تلك الثروة ، كانوا يدخلون في حسابهم كل البضائع التي كانت تشتري من اليمن ، ولو أن قدرأ كبيراً من تلك البضائع كان في الواقع من منتجات الهند ، وكان بعضها من الصومال لأن موانئ جنوب بلاد العرب كانت مجرد مخازن استيداع تودع فيها البضائع ريثما يتم انتقال ملكيتها . ولكن العالم الغربي — على الأقل إلى ما بعد بدء القرن الأول الميلادي — كان يتلقى أكثر هذه البضائع من بلاد العرب ولذلك فقد عدّها بضائع عربية . ويتصل بهذا أن الناس كانوا رديحاً طويلاً يخلطون بين العرب والهنود ، حتى أننا لا نستطيع فيما يتعلق بالبعوث التبشيرية أن نقطع فيما إذا كان الرسل المذكورون كان المقصود أنهم ذهبوا إلى بلاد العرب أم إلى الهند . إن هذا الخلط بعيد العهد ، وكان مصدره الفكرة القائلة بأن أفريقيا الاستوائية تمتد وراء البحار الجنوبية

وتتصل بالهند . وعلى هذا الأساس كان إيسخيلوس^(١) (Aeschylus) يجمع بين الهند وإثيوبية . ولعل هوميروس^(٢) يخلط نفس الخلط حينما يشير إلى الإثيوبيين الشرقيين ويعني الهنود ، لقد كانت الأفكار القديمة تصور قارة تمتد من إفريقية إلى الهند ، وجاءت بلاد العرب فيها بمثابة بيت في الوسط على الساحل الشمالى من المياه الواقعة جنوب باب المندب وكأنها بحيرة . وظلت هذه الفكرة سائدة إلى أن أثبتت الاستكشافات في القرن الثانى قبل الميلاد فساد هذا رأى . وانقضت عدة قرون أخرى قبل أن يعترف الرأى العام بفساده .

إن حلقة الاتصال بين الهند وبلاد العرب وهى الطريق الذى سلكه نيآرخوس وكان يسلكه العرب والهنود كذلك ، كان معروفاً ، ولكن اليونان لم تعرف من التفاصيل عنه أكثر من الروايات التى ساقها نيآرخوس وسكايلاكس . والأرجح أن العرب تعمدوا أن يحتفظوا بالوصف المفصل لهذا الطريق سرّاً ، حرصاً منهم على الإبقاء على احتكارهم لتجارته ، ولعلمهم هم الذين ابتكروا ما كان يتداوله الرحالة من حكايات الجن والمخاطر تزييناً لهم منافسهم . وبعد أن تصل البضائع إلى بلاد العرب الجنوبية ، كان العرب ينقلونها فى الصحراء إلى أيلة أو غزة أو يأخذونها شمالاً إلى سوريا متجنبين طريق البحر الأحمر . فقد كانت تواجههم فى البحر الأحمر مشكلة القرصنة وهى مشكلة لم يستطع البطالمة أن يتغلبوا عليها نهائياً . ذلك أن البحر الأحمر كان يعج بالقرصان ، وكانت شواطئه مأهولة بالمتوحشين ولو أن الملوك الحميريين والسبأيين قد كبحوا جماحهم إلى حد ما فى الجنوب . وكانت المراكب التجارية تجد أن من الضرورى أن تحمل ثلة من النشابين ليصلوا القراصنة من

(١) « المتضرعات » البيت ٢٨٦

(٢) « الأوديسة » ١ ، ٢٣

العرب^(١) ، الذين كانوا مصدر خوف عظيم لأنهم كانوا يستعملون سهاماً مسمومة^(٢) .

وفيما يبدو لم يدخل الرومان التحسينات على هذا الطريق قبل نهاية حكم الإمبراطور جايوس (Gaius) (٤٠ - ٤١ م .) ، فعندئذ بدأت قاعدة إتباع الشاطئ^٣ العربي في الطريق إلى الهند حتى رأس سياجروس (Syagrus) (فرتك) فقط . ومنها يقتحمون عرض البحر عبر المحيط إلى پاتالا . وبعد هذا الوقت كان الذين يقصدون جنوب نهر السند يسلكون طريقاً أقصر وآمن من رأس سياجروس عبر المحيط رأساً إلى سيجيروس (Sigerus) وهي ميليزاجارا (Melizagara) المذكورة في « رحلة الطواف حول البحر الأحمر » وهي إما چيجاش (Jaigash) أو راجابور (Rajapur) . وكان الرومان في ذلك الوقت قد عرفوا أنهم قادرون على الاستفادة من الرياح الموسمية التي تهب من الغرب إلى الشرق مدة ستة أشهر ثم من الشرق إلى الغرب مدة ستة أشهر أخرى ، بحيث أن السفن تستطيع أن تنساب ذاهبة إلى الهند في موسم هبوبها ، وتعود في رحلة الإياب بعد ستة أشهر . وهذا يعني أن المراكب التي تخرج من البحر الأحمر تصل إلى ملبار أو إلى أى جزء من الهند جنوب ذلك . وإن العملة الرومانية التي تكتشف في الهند لتقوم دليلاً على أن كثيراً من المراكب قد قامت بهذه الرحلة . وأصبحت القاعدة حوالى سنة ٥٠ ميلادية لمن يقصدون ملبار بعد ترك عدن (Arabia Eudaimon) أو كاني (Cane) (حصن الغراب) « أن يجعلوا مقدم المركب في اتجاه الرياح ويجذبوا الدفة باستمرار مع تحويل لوضع الشراع ، (ماضين هكذا في قوس) فيعبرون إلى أسواق ملبار في أربعين يوماً^(٣) ، أما رحلة الإياب فقد كانت تتم باتباع خط منحني .

(١) بلينيوس « التاريخ الطبيعي » ٦ ، ١٠١

(٢) المصدر السابق ٦ ، ١٧٦

(٣) ١ . ه . وارمنجتون (E.H. Warmington) « التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند » ١٩٢٨ ص ٤٦ .

جنوبى بين مابار وكافى أو شاطئ بلاد العرب .

لقد وصف بلينيوس (Plinius) مراحل هذا الطريق البحرى المتتابعة فى بعض فصوله^(١) ، وقد توفر وارمنجتون^(٢) على تحليلها . ويبدو من الوصف الذى يسوقه بلينيوس أن الرياح الموسمية قد جعلت الطريق الأقصر ميسوراً . فالرياح الموسمية الجنوبية الغربية قد يسرت للسفن أن تقوم برحلة سريعة إلى الهند فى الصيف . وأن تقوم برحلة تضارعا «سرعة فى رجوعها من ملبار ، « فى أول الشهر المصرى ، طوبة وهو يقابل شهر ديسمبر عندنا أو على الأقل خلال الأيام الستة الأولى من الشهر المصرى أمشير الذى يقع حوالى منتصف يناير بحسبنا ، وعلى ذلك كان فى ترتيبهم أن يرجعوا قبل أن يحول الحول^(٣) . ويظهر بلينيوس فى هذا الوصف تقدماً كبيراً فى المعرفة بهذا الطريق على ما كان عليه الحال أيام استرابون . وإن ذكر الأشهر المصرية ليؤكد أن التجارة الهندية مع الإمبراطورية الرومانية كانت تدار من مصر .

إن مؤلف كتاب « رحلة الطواف حول البحر الأحمر » يعزو اكتشاف فائدة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى تقصير الرحلة ، إلى هيبالوس (Hippalus) وهو بحار أو لعله تاجر ، وهو يقرر أنه هو الذى أوحى أورسم كل هذه الطرق التى تتبعها السفن عند ما تترك الساحل وتعب المحيط . على أن بلينيوس لا يذكر اسم هيبالوس ولكن هذا الاسم يطلق على الرياح الموسمية الجنوبية الغربية . إن كتاب « رحلة الطواف حول البحر الأحمر » كتاب دقيق وحريص فيما أورد من التعليمات البحرية ولكنه فيما يتعلق بهذا الجزء ينبغى أن يؤخذ بتحفظ . فهل سرد مؤلفه المجهول قصة شعبية مبنية على اسم الرياح؟ هذا وإن اسم هيبالوس يطلق على بحر فى « رحلة أغسطس » (Itinerarium Augusti) وفى كتاب بطلميوس . فإذا كان هيبالوس شخصاً حقيقياً فن

(١) « التاريخ الطبيعى » ٨ ، ١٠٠ وما بعدها

(٢) وارمنجتون ، المرجع نفسه ص ٤٥ - ٤٧

(٣) بلينيوس « التاريخ الطبيعى » ٨ ، ١٠٤ ، ٨

عجب أن الأجيال التالية لم تعرف عن فتوحاته البحرية إلا هذا القدر الضئيل . ولا شك أن « الاكتشاف » يعنى حسن استعمال المعلومات المستقاة من البحارة ، وبذلك زود الناس بفكرة عن موقع الساحل الهندى . ولقد علم نيآرخوس (Nearchus) أنه كان لا بد له من انتظار هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ليعود من رحلته إلى الهند قبل هيبالوس المزعوم بعدة قرون^(١) . ويلاحظ وارمنجتون « أن هيبالوس فقط قد فطن إلى مواقع الموانئ وتعاريج البحر ، ويبدو أنه عرف معرفة نظرية فقط امتداد الهند ناحية الجنوب وجواز استخدام الرياح الموسمية فى اجتياز البحر إلى مواقع مختلفة ، وهى الريح التى لم يجرؤ إلا من جاءوا بعده على استخدامها على أحسن وجه وذلك على مراحل متتابعة^(٢) » . أما باينيوس وقد كتب مؤلفه بعد سنة ٥١ م ، فيقول إن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية لم تستخدم بطريقة منتظمة « كل سنة » إلا بعد استقرار هذا الاكتشاف استقراراً نهائياً ، وإن المعلومات اخفقت عن الرحلة كلها من مصر إلى موزيريس (Muziris) وناكندة (Nelcynda) لم تيسر إلا منذ عهد قريب^(٣) . إن الرومان إذن لم يعرفوا كيف يستخدمون الرياح الموسمية لتقصير أمد الرحلة إلى الهند والعودة منها إلا فى عهد الإمبراطور كلوديوس (Claudius) ، ولذلك أشار إليه بلينيوس على أن هذا الكشف وقع فى حياته^(٤) .

والواقع أن الطريق إلى الهند كان على أى حال قد صار مألوفاً قبل هذا العهد بزمان طويل . ويبدو أن الذى اكتشفه أول الأمر واستخدمه هم الملاحون الهنود . فقد أبجر يودوكسوس (Eudoxus) إلى الهند فى ١١٨ -

(١) أريانوس « الهنديات » ٢١ ، ١

(٢) وارمنجتون « الكتاب نفسه » ص ٤٦ - ٤٧

(٣) بلينيوس ، « التاريخ الطبيعى » ٨ ، ١٠١ وانظر وارمنجتون : « المصدر نفسه »

ص ٤٧ .

(٤) بلينيوس : « التاريخ الطبيعى » ٨ ، ١٠١ ، ٨٦

١١٢ ق . م ، وقد هداه إلى هذا الطريق بحار هندي ارتطمت سفينه بالصخور ووجدته بالقرب من مدخل البحر الأحمر^(١) . وإذن فالأكتشاف الذي تم في القرن الأول الميلادي لم يكن سوى أول معرفة الرومان بملحة المحيط الهندي . وقد اطلق اسم هيبالوس على الرياح أو على البحر ولم يعرف منشأ التسمية ثم اخترعت قصة ملاح القرن الأول لتفسير هذه التسمية .

ولم يغامر إلا عدد قليل جداً من الرحالة اليونان أو الرومان وراء باب المندب مقتحمين المحيط الهندي قبل عهد أغسطس ، على الرغم من قيام التجارة بين العالم الغربي والهند على نطاق واسع . « وإن العثور على العملات القديمة لا يكون إلا بالمصادفة ، وبالرغم من أنها تشير إلى قيام علاقات تجارية . إلا أنها لا تزودنا بدليل قاطع على مدى انتشار التجارة في وقت بعينه . . . ولم يعثر على عملات بطلمية أو سلوقية محققة في الهند . ولم يعثر من العملات الرومانية التي ترجع إلى العصر الجمهوري إلا على قدر ضئيل منها في شمال غربي الهند . . . ولكن عدداً كبيراً من العملات الذهبية والفضية التي ترجع إلى عهد الأباطرة حتى نيرون قد اكتشفت في ولايات طميل . والظاهرة الواضحة أن كثيراً جداً من هذه العملات قد ضرب عليها اسم أغسطس أو تيبريوس^(٢) . وهذا يدل على الأقل على زيادة العلاقات التجارية مع الهند زيادة عظيمة في عهد الأباطرة الأول .

إن ندرة التجارة اليونانية والرومانية في العصر السابق ترجع إلى حد بعيد إلى أن الحميريين (Homerites) وهم عرب الساحل الجنوبي لبلاد العرب ، الذين كانوا في ذلك الوقت يشرفون على التجارة مثلهم مثل الأكسوميين وهم جالية حميرية كانت مستقرة على الجانب الأفريقي من البحر الأحمر قد رغبوا في أن تبقى التجارة الهندية احتكاراً لأنفسهم ، وأبوا أن يطلعوا

(١) إسترابون ، ٢ ، ٨ ، ٤

(٢) وارمنجتون « الكتاب نفسه » ص ٣٩

الأجانب على أسرارهم . وإن النصب البوذي الذى اكتشف فى أكسوم ليقوم شاهداً على أن الأكسوميين كان لهم نصيب من هذه التجارة .

وحوالى سنة ١٥٠ - ١٤٠ ق . م ، غزت قبائل يوه تشى (Yueh-chi) أوساكا المغولية شمال غربى الهند واجتاحت بلخ وأخذت تستقر شيئاً فشيئاً ثم كونت حلفاً من الدويلات الساكية وهو الذى صار يؤلف مملكة كوشان القوية التى استمرت إلى سنة ٢٢٦ م . وقد بلغت هذه المملكة أوجها فى عهد ثالث ملوكها كانيشكا (١٢٠ - ١٥٣ م) ونشطت التجارة بينها وبين العالم الغربى وكانت تسلك بصفة خاصة الطريق البحرى الذى يصل الإسكندرية بالهند . وكان يقع على الطرف الهندى من هذا الطريق وعلى مسافة من الساحل مستودع أجين الكبير . وقد اعتنق كانيشكا الديانة البوذية وأقيمت فى عهده أدبرة بوذية كثيرة فى أرجاء مملكته . وكانت الكتابة على عملته التى ضربت فى أول حكمه بالحروف اليونانية وباللغة اليونانية ، وعليها صورة الشمس والقمر فى شكلهما اليونانى ، هليوس وسلىنى . ولكن لما تقدم به العهد اتخذ اللغة الفارسية القديمة التى تعرف باسم البهلوية ، ولو أن الحروف ظلت يونانية . وظهرت عليها الآلهة كأنها خليط من اليونانية والفارسية والهندية وكان القليل منها على هيئة بوذا . وكان يوجد فى عاصمته كوشان وهى پوروشاپورا (بشاور) برج كبير فيه بقايا بوذا كما كان يوجد دير بوذى كبير . وقد بقيت هذه المباني إلى القرن الحادى عشر حينما دمرها محمود الغزنوى . وقد ظل ملك كوشان الرابع هوفيشكا (١٥٣ - ١٨٥) مخلصاً للبوذية ، ولكن خليفته فازوديثا (١٨٥ - ٢٢٦) تحول إلى الديانة الهندوكية وعبادة سيثا (Siva) . ومن عهده إلى سنة ٣٢٠ م يكاد يكون التاريخ الهندى غير معروف .

وقد توطدت الصلات واستمرت فى عهد ملوك كوشان مع العالم اليونانى الرومانى وخصوصاً بالطريق البحرى الذى يتصل بأجين . وتدفقت العملة الرومانية على الهند سداداً للأثمان التوابل وسائر الكماليات الهندية بكميات

وافرة ، مما كان محل استياء الإمبراطور تيربوس^(١) ومصدر شكوى يعززها ما كشف من العملة الرومانية في الهند . إن ملوك كوشان هم أمراء الهند الوحيدون الذين ضربوا عملة ذهبية لأنفسهم في ذلك التاريخ ، وقد اتخذوا من العملة الرومانية أنموذجاً لعملتهم الذهبية ، فقد كان الذهب الروماني واسع التداول في طول الهند وعرضها .

وفي القرن الثالث اضمحلت قوة كوشان وانحصرت في وادى نهر السند وفي أفغانستان . وذوت التجارة الرومانية مع الهند بعد عهد ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) (١٦١ - ١٨٠ م) وكاد يبطل استعمال الطريق البحرى . على أن ظهور الساسانيين في مارس سنة ٢٢٦ أحل فارس الجديدة الفتية محل پارثيا الضعيفة المتداعية . وهذه القوة الجديدة كانت معادية للرومان . لقد حاول دقلديانوس أن يعيد تنظيم الإمبراطورية الرومانية لتواجه الأخطار الجديدة التي تهدد كيائها ، ولكن هذه المحاولة لم تؤت ثمارها إلا في سنة ٣٢٤ عند ما وحد الإمبراطور قسطنطين الإمبراطورية تحت حكم حازم . وحينئذ فقط انبعث الاهتمام بالتجارة الشرقية من جديد . ولكن الظروف كانت في هذه الأثناء قد تغيرت ، وأصبحت القسطنطينية تنافس الإسكندرية ولوأن الطريق من القسطنطينية إلى الهند ماراً بنهر الفرات والخليج الفارسي لم يكن مفتوحاً إلا في أوقات السلم بين فارس وروما ، وقلما ساد السلام بينهما . أما الطريق البحرى بين الهند والإسكندرية فكان يعتمد على الأمن في البحر الأحمر وقد ظل الرومان يخفرونه إلى أيام جستنيان .

وظهرت في الهند أسرة ملكية جديدة في ٣٢٠ م . هى ملكية كُوبتا التى أنشأها راجا في ماجادها يسمى قندرا كُوبتا وكانت عاصمتها پاتالى به ترا ، وهى بملكة مثل مملكة كاشان قامت في شمال غربى الهند . وصار ثانى ملوكها

(١) تاسيتوس (Tacitus) « الحوليات » ٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٣ ؛ ديوكاسيوس :

شامودرا كوتتا (٣٢٠ - ٣٨٠) سيداً مطاعاً في شمال الهند الغربي كله . ولم يكن يعطف على البوذية أى عطف ، فقد اتخذ موقفاً قومياً صرفاً واعتنق الديانة البرهمية . وبذلت الجهود لإحياء اللغة السنسكريتية ، وظهر تقدم عظيم في شكل المعابد الهندوكية وزخرفتها بينما أهملت الطرز المعمارية البوذية . أما الفنون فلم يختف منها الأثر الإغريقي الذي جاء عن طريق قندهار (Gandhara) على الحدود الشمالية الغربية ، وظلت العملة على الأقل تتخذ أنموذجاً من العملة الرومانية .

وقد مد ثالث ملوك هذه الأسرة وهو قندرا كوتتا الثاني (٣٨٠ - ٤١٥) فتوحاته في الهند الغربية كلها وأخضع بلاد السাকা (سوراشترا وهي الآن كاثياوار) والملوك الساكين الذين يعرفون باسم « القهارمة العظام » . وهذا النصر جعله ملكاً على مالوا (Malwa) وعاصمتها أجين وهي المستودع الداخلي للتجارة البحرية المتقولة بطريق البحر الأحمر وكذلك على الموانئ القريبة منها وهي باروخ (بروتش) وسوبارا وجامبي وغيرها . وعلى الرغم من بعث الديانة الهندوكية فقد ظلت أغلبية أهل الشمال الغربي على بوذيتها متحررة من القيود الطبقية ولا جناح عليها في الترحال .

٢ - علوم الإسكندرية في الهند

لقد أصبحت مدينة باتالي بوترا في عهد ملوك كوتتا موطن الدراسات العلمية وخصوصاً الفلك والرياضيات ، ويظهر فيهما بوضوح الطابع اليوناني طبقاً لما كانت تقوم به مدرسة الإسكندرية يومئذ من نشاط . وكان الفلكي أريابهاتا (Aryabhata) (المولود فيما بين ٤٧٦ - ٤٩٩) يقوم بالتدريس في هذه المدينة ، وقد ترك كتاباً في الفلك وبه فصل تناول فيه الرياضيات . وألف فاراهاميسا (Varahamihisa) (٥٠٥ - ٥٨٧) كتاباً يعرف باسم بانس - سيدهانليكا (Pance-Siddhanlika) وهو مكوّن من خمس مقالات معتمدة في الفلك قام هو باختصارها . وترجع إحدى هذه المقالات الخمس إلى عصر ما قبل النشاط

العلمى وليس لها قيمة علمية . ويظهر فى المقالات الأربع الأخرى أثر أبحاث مدرسة الإسكندرية . وتحمل اثنتان منها اسمين غير هنديين هما رومانك وباوليسا وفى ثانيتهما جدول يعتمد على جدول الأوتار الذى وضعه كاودىوس بطليموس . وتشير هذه المقالات إلى الياوانا أو اليونان باعتبارهم حجة كبيرة فى العلم . وإحدى هذه المقالات الأربع هى سوريا سيدهانتا (Surya Siddhanta) أو « العلم عن طريق الشمس » وهى ترجع إلى القرن الخامس ولا يعرف مؤلفها . وقد أصبحت هذه المقالة كتاباً معتمداً لدى الفلكيين الهنود . وعاش الفلكى براهما كوپتا (Brahmagupta) حوالى ٦٢٨ واشتغل فى أجن حيث كان هناك مرصد فلكى . وألف فى الفلك كتاباً يسمى براهما سيدهانتا وضعه فى واحد وعشرين فصلاً قصر بعضها على الحساب (جانيتاد أهايا) وعلى المعادلات غير المعينة (كوتاخ أدياكا) . وقد عرف العرب هذا الكتاب فى عهد هرون الرشيد أو قبله بقليل وهو أساس الكتاب الذى تدوول باسم السند هند وهو الاسم الذى يقابل الاسم الهندى سيدهانتا .

وكان العرب فى عهد ملوك الفرس الساسانيين أن تؤخذ الملاحظات الفلكية وترصد فى المقام الأول لأغراض التنجيم بلا ريب ، وكانت هذه الأرصاد تنشر تباعاً باسم زيق - شاترويار أو « الجداول الملكية » ولم يقف الفتح العربى حائلاً دون إعداد هذه الجداول ، فقد ظلت تصدر ولم يتغير شكلها كثيراً كما ظلت تصدر باللغة الفارسية ، ولم تحل العربية محل الفارسية فيها لعدة قرون . وحتى عندما حلت العربية محل الفارسية فيها ، ظلت التواريخ تسجل فيها بالشهور الفارسية القديمة وليس بالشهور العربية الإسلامية . ومن المعروف أن جنديساپور كان بها مرصد ، ولا شك أن الأرصاد كانت تسجل فيها ، كما كانت تسجل فى المراصد الفارسية ، ولكن العمل كله كان يظل فى أيدى فارسية . ثم بدا أن العرب أرادوا أن يفهموا كيف كانت تؤخذ هذه الأرصاد وتدوول ، ولذلك وضع « السند هند » وتدوول بينهم . وهذا هو أول

كتاب متداول في الفلك وصل إلى العرب ، ولم يقتصر الكتاب على المعلومات الفلكية فحسب ، بل اشتمل كذلك على المواد الرياضية اللازمة لاستعماله ، وأكثرها يتناول حساب المثلثات الكروية .

وهناك أسطورة مشكوك في صحتها تذهب إلى أن ترجمة « السند هند » ترجع إلى عهد المنصور مؤسس بغداد . وتقول هذه الأسطورة إن العرب غزوا بلاد السند وهي منطقة نهر السند السفلى في أيام توسعهم بعد سقوط المملكة الفارسية . وإلى هنا تستند الرواية إلى أساس تاريخي سليم . بيد أنه لم يكن من نتيجة هذا الغزو احتلال البلاد احتلالاً تاماً . فقد استقر بعض شيوخ العرب في تلك البلاد وكانوا بمثابة حامية عسكرية لاحتلالها ، ثم كان أمراً طبيعياً جداً أن يصبح هؤلاء شبه مستقلين . ولما قامت الثورة العباسية انتهزوا الفرصة ليعلموا استقلالهم ، ورفضوا الاعتراف بالدولة الجديدة . ولكن المنصور لم يكن يسمح بشيء من هذا وأرسل قوة مسلحة لتأديبهم . وبعد تلك التجربة وطنوا العزم على الخضوع ، وأرسلوا بعثة إلى بغداد لعرض شروط التسليم . وذهب بين أعضاء هذه البعثة الحكيم الهندى كنهاه (Kankah) الذى كشف للعرب عن حكمة الهنود وكانت تتألف من ملخص فى الفلك ومن الرياضيات اللازمة لفهمه . بيد أن كنهاه لم يكن يعرف العربية ولا الفارسية ، وكان لا بد من ترجمة أقواله إلى الفارسية بوساطة مترجم ثم ترجمة الفارسية إلى العربية بوساطة مترجم آخر وهي عملية جعلت الصورة الأخيرة من أقواله شديدة التعقيد والغموض . وإن البورينى (المتوفى سنة ١٠٤٨) وهو أقدم من دون ملاحظاته على الهند والأشياء الهندية وأفضلهم ، سمع هذه الرواية ولكنه لم يصدقها واعتبرها رواية حيكت بقصد تفسير ما اكتنف الترجمة العربية لكتاب « السند هند » من غموض وقصور . على أن التاريخ لا يعرف بعثة أوفدت من الهند إلى المنصور ، والأرجح أن الكتاب ترجمة عربية عن الترجمة الفارسية لكتاب « سيدهاننا » وأن هذه

الترجمة الفارسية كانت مستعملة في جنديسابور . ومهما يكن من شيء فإن محتويات الكتاب ليست مجموعة من مذكرات شفوية لحكيم هندي ، ولكنها ترجمة أو على الأصح تفسير للكتاب الهندي المعتمد « السيدهانتا » الذي نقحه براهما كوپتا . ولعل الصديق في هذه الرواية أن « السيدهانتا » قد مرّ بمرحلتين من الترجمة في طريقه إلى العرب أو لعله مر بثلاث مراحل من الترجمة ، فترجم من الهندية إلى الفارسية ولعل هذه ترجمت إلى السريانية ثم ترجمت الأخيرة إلى العربية .

إن ما تعلمه العرب من الرياضيات والفلك من معلمهم الهنود عن طريق اللغة الفارسية كان يرجع إلى أصل يوناني ثم انتقل إلى شمال غربي الهند من الإسكندرية ، والظاهر أن أمهات الكتب اليونانية الحقة لم تتداول في الهند ، فقد تمثل علماء الهند آراء اليونان ، وأعادوا هم صياغتها وتقديمها بهذه المعلومات وأضافوا إليها إضافات محسوسة وجعلوها أكثر طواعية باستخدام الترقيم العشري والتوسع في استعمال الرموز . ويمكن تقدير هذا كله بالنظر في كتاب أريابهاتا . ويبدو من كلام البيروني^(١) أنه كان هناك عالمان بهذا الاسم ، أما أكبرهما سنا فكانت وفاته فيما يبدو حوالي سنة ٥٠٠ م وأما أصغرهما فلا نعرف له تاريخاً . ولا يمكن أن نعرف أيهما المقصود بالاشارة . ولقد كان أريابهاتا الأكبر يعمل في پاتا لي پوتراوليس في أچين . وقد وضع كتباً عديدة منها الجيتيكا (Gitika) وهي عبارة عن مجموعة من الجداول الفلكية ثم الأرياشتاساتا (Aryashtasata) وهو يشتمل على رسالة في الحساب تعرف باسم الجانيتا (Ganita) ورسالة في هندسة الدوائر وهو أساس ضروري في الاشتغال بالفلك ويعرف باسم الجولا (Gola) ، وقام بحل المعادلات الرباعية . وقد سبقه إلى حلها ديوفانتوس (Diophantus) ولكنه لم يعترف إلا بجذر واحد فقط حتى ولو كان الجذران إيجابيين وكان

(١) البيروني « الهند » ٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧

هرون (Heron) قد أسلف الإشارة إليها : وحاول حل المعادلات الطولية غير المحددة وكان قد سبقه في ذلك هيبسكليس وذكر إحدى المحاولات الأولى لإيجاد حل عام لمثل هذه المعادلات بواسطة الكسور المستمرة . وهو يلخص المتسلسلة الحسابية بعد الحد البائي بطريقة يمكن أن نعبّر عنها بما يأتي :

$$م = ن \left\{ ١ + \left(\frac{١ - ٥}{٢} + ب \right) \right\} د$$

ويذكر قواعد لتحديد مساحة الأشكال المسطحة ولكنه كثيراً ما يعبر عن أفكاره بأسلوب قاصر كما في قوله « المساحة الناتجة عن ثلاثي الأضلاع هي حاصل ضرب العمودى الذى ينصف القاعدة فى نصف القاعدة » . ويذكر مساحة الكرة على أنها ط نق^٢ √ ط نق^٢ مما يؤدى إلى ط(٢) = ٢. ولعل هذا خطأ يقصد به (٢.٢) التى ذكرها أحمس (Ahmes) . أما عن قيمة ط فهو يقول « اجمع أربعة على مائة واضرب فى ثمانية وأضف اثنين وستين ألفاً فالناتج هو القيمة التقريبية للمحيط إذا كان القطر عشرين ألفاً » . وهذا يجعل ط = $\frac{٦٢.٨٣٢}{٢٠.٠٠٠}$ أو ٣.١٤١٨

وقد ضمّن جداوله الفلكية جدولاً قصيراً للجيوب وقواعد إيجادها . وكل هذا ينم عن آثار التعاليم اليونانية التى تظهر أيضاً فى مصطلحاته من مثل جاميترا = ديامتر . διάμετρος وكندرا = ككترون κέντρον ودراما = درهم δραχμή . وإن عمله لأكثر غمقاً من أعمال اليونان لأنه كما يفعل سائر علماء الهنود أكثر سخاءً فى استعمال التعابير الجبرية ، التى كان ديوفانتوس قد أدخلها على سبيل التجربة كما أنه يستعمل الأعداد الهندية وهى أكثر صلاحية . أما براهما كوپتا (حوالى ٦٢٨) فقد عمل فى مرصد أچين وهو مؤلف كتاب براهما سيد هانتا أى « تنقيح سيد هانتا لبراهما » وهو أصل « السند هند » عند العرب . ويشتمل هذا الكتاب على فصول فى الحساب وعلاج للمعادلات

غير المعينة ، أما في الحساب فيبحث في الأعداد الصحيحة والكسور والتوالي والمقايضة وقاعدة الثلاثة والربح البسيط ومساحة الأشكال المستوية والأحجام وحساب الظل أو استعمال المزولة . وقواعده لحساب المساحات معينة : فهو يعطى مثلاً مساحة المثلث المتساوي الأضلاع الذي يبلغ طول ضلعه ١٢ على أنها $٥ \times ١٣ = ٦٥$ وللمثلث الذي يبلغ أطوال أضلاعه : ١٣ و ١٤ و ١٥ يعطى $٧ \times ٧ \times (١٣ + ١٥) \div ٩٦$. والمعادلة التي يستعملها لحساب مساحة رباعي الأضلاع ذي الأضلاع ا ب و ح و د هي :

$$\sqrt{(س - ا)(س - ب)(س - ح)(س - د)}$$

وفيها $س = \frac{١}{٢}(ا + ب + ح + د)$ مع أن هذا لا يصبح إلا لرباعيات الأضلاع الدورية فقط . وهو يعبر عن قاعدته بالطريقة الآتية : « نصف مجموع الأضلاع موضوعاً أربع مرات ومنقوصاً بقدر عدد الأضلاع مضروبة في بعضها ، فإن الجذر التربيعي الحاصل الضرب هو المساحة المضبوطة » . وهو يستعمل $ط = ٣$ للأغراض العملية ، أو $\sqrt{١٠}$ لقيمتها المضبوطة : وهو يبحث في معادلات الدرجة الثانية الرباعية من نوع :

$$س^٢ + ب س - ح = صفر \text{ يفرض } س = \frac{٢ + \sqrt{٢ + ٤ - ب}}{٢}$$

وهذا يعطى أحد الجذرين بالضبط .

وأهم من هذا تطبيقه الجبر على الفلك في كتابه كتاخدياكا ، وهو أول من قام بهذا التطبيق . وهو يبحث في المعادلات الآتية من الدرجة الأولى ويسمى مجهولاتها (ألواناً) ، وعند بحثه في حل المعادلة $ا س - ب س = ح$ يعطى $س = \pm \sqrt{ح ك - ب ت و ص = ح ك - ا ت}$. وقد كان أريابهاتا قد نظر في كل هذه المسائل ولكنه لم يحلها ، والآن فهذا براهما كوتتا يعطينا الحل .

وهذه المعادلات تفترض أن $t = \text{صفرًا أو عددًا صحيحًا}$ وأن $\frac{1}{n}$ هي الخطوة السابقة لقلبها إلى $\frac{1}{n}$ وللمثلث القائم الزاوية يذكر مجموعتين من القيم $2m, m-n, m^2-n^2$ و $\sqrt{m^2-n^2}$ ، $\frac{1}{n} (m-n)$ ، $\frac{1}{n} (m+n)$ ولعله هنا يستقى حلوله من مصادر يونانية . ومن الواضح أن الرياضيات الهندية في الفترة التي انتظمت فيها الرحلة بالطريق البحري بين الإسكندرية وأجينا كانت قائمة على تعاليم الإسكندرية اليونانية .

ولما كان الفلك العربي من مبدئه استمراراً للنشاط الفلكي الذي كان جارياً في المراصد الفارسية ، فإن هذا النشاط لم يكن ليتيسر إلا بالاعتماد على الرياضيات الهندية . ويكاد يكون من المحقق أن العرب اعتمدوا فعلاً على العلوم اليونانية التي انتقلت إليهم عن طريق الهند ، إذ قام الفلكيون والرياضيون الفارسيون بنقلها عن العلماء الهنود ، ولو أن هذه الكتب الفارسية التي مدت العرب بهذه المعلومات الفلكية ليست في متناول أيدينا الآن . ويقال إن العرب حين وجدوا أنفسهم غير قادرين على فهم المجسطى ، أدرك جعفر بن يحيى البرمكي العلاج اللازم وهو تفهم نصوص إقليدس وكلوديوس بطلميوس ، ولم تكن مادة هذه الكتب في ذلك الوقت قد نقلت إلى اللغة العربية . فإذا جاز لنا أن نعتمد على هذه الرواية فهي تدل على أن جعفر البرمكي وهو فارسي الأصل وتعلم تعليماً فارسياً كان يعرف هذه الكتب الضرورية لعلم الفلك ، ولو أننا لا نعرف ترجمة فارسية أو حتى هندية لمؤلفات هذين المرجعين . ومع ذلك فليس من الختم أن نقيم البرهان على أن الهنود أو الفرس قد ترجموا فعلاً مؤلفات العلماء اليونان ، فمن الواضح أن تعاليمهم كانت معروفة لهم ويستخدمها علماءهم .

الفصل الثامن

الأثر الهندي الثاني - الطريق البري

١ - بلخ

يمكن الوصول إلى الهند بالطريق البري كما يمكن الوصول إليها بطريق البحر . والمعروف أن التجارة مع الهند نشطت أيام الآشوريين ، ولكن ليس من الجلى إذا كان ذلك قد تم بطريق البر أو بطريق البحر . إن الدلائل القاطعة على قيام الصلات بين الهند وغربي آسيا لتبدأ من العصر الفارسي بعد أن حطم قورش القبائل المعادية التي كانت تقف عقبة في هذا السبيل . وتوغل دارا بن هيستاسبس (Hystaspes) (٥٢١ - ٤٨٥ ق . م) داخل شمال الهند الغربي وضم إلى مملكته دلتا نهر السند وقد صارت فيما بعد ولاية فارسية كما يظهر من نقوش پرسپوليس (اصطخر) ونقش رسم . ودارا هو الذي أرسل في ٥١٢ - ٥١٠ الملاح اليوناني إسكايلاكس من أهل كاريندا في كارييا ، وهو جارهيروودوت ولعله كان صديقاً له ، ليتثبت من صلاحية الطريق البحري القصير بين الخليج الفارسي ومصب نهر السند . وهذا يدل على أن إسكايلاكس كان يعرف وادي السند ، وما إن عرف دارا بصلاحية الطريق حتى أرسل عمارة بحرية إلى المحيط الهندي .

لقد قامت حملة الإسكندر على الهند في ٣٢٧ - ٣٢٥ ق . م وكان الغرض الأساسي منها تأمين سلامة الحلود الشرقية من ولاية فارس بعد أن تم إخضاعها^(١) . وقبل أن يمتاز الإسكندر حدود الهند الجبلية أنشأ قاعدة

(١) إن العالم و . تارن (W. Tarn) في كتابه الأخير عن الإسكندر لم يذكر شيئاً من هذا . وفي تفسير حلة الإسكندر على الهند والقول بأنها تأمين لحدود فارس الشرقية بعد إخضاعها لسلطان الإسكندر ، مغالاة ومبعض عن الحقيقة . (المراجع)

عسكرية صارت فيما بعد مدينة أليساندا أو الإسكندرية أسفل القوقاز وكان موقعها على الأرجح حوالى ٣٠ ميلاً شمال كابل وهى واحدة من الإسكندريات الكثيرة التى أنشأها الإسكندر باسمه^(١). وقد أطلق اليونان اسم القوقاز على ما نعرفه الآن باسم الهندكوش. ومات الإسكندر سنة ٣٢٣ وعند موته اضطرع قواده من أجل مملكته التى تركها بغير وريث، وفى سنة ٣١٢ قسموا فيما بينهم المملكة، وكان القسم الآسيوى فى هذا التقسيم من نصيب سيلوقس نيكاتور (Seleucus Nicator) الذى أنشأ مدينة أنطاكية فى سوريا وجعلها عاصمة مملكته. أما ما ترمى من مملكته من شرق سوريا إلى نهر السند فقد كان فى مرتبة ثانوية. إذ كان همه متجهاً إلى ما قام بين الحكام اليونان على شواطئ البحر المتوسط من عداوات أكثر من عنايته بأمر آسيا الداخلية، وترك بابل وكل البلاد التى كانت من قبل تؤلف مملكة فارس إلى من يحكمونها نيابة عنه. وجاء بعد سيلوقس ابنه أنطيوخوس سوتير (٢٨٠-٢٦٢ ق. م) وجاء بعد سوتير ابنة أنطيوخوس ثيوس (Theos) (٢٦١-٢٤٦ ق. م) وهؤلاء الملوك الثلاثة اشتركوا فى الحرب ضد ملوك البطالمة فى مصر، وأهملوا بلاد فارس إهمالاً تاماً وتركوها لظروفها الخاصة. وقد انتهزت القبائل البارثية فى شرقى فارس (خوراسان) هذه الظروف وانفصلت عن الدولة السلوقية وكونت مملكة بارثيا المستقلة حوالى سنة ٢٥٠ ق. م وكانت هذه الدولة البارثية الجديدة تشمل رقعة كبيرة من مملكة فارس القديمة، ولكنها لم تكن تشمل كل ما كان تحت أيدي الملوك الكميين القدماء بحال من الأحوال. وحوالى سنة ٢١٠ ق. م اعترف الملك السلوق أنطيوخوس الثالث (الأكبر) رسمياً بثالث الملوك البارثيين أرتابانيس (Artabanus) ملكاً مستقلاً.

(١) بلغ عدد مؤسساته من الدائن (poleis) الممهاة باسم الإسكندرية ستة عشرة أو سبعة عشرة. (المراجع)

ولم يكن هؤلاء الملوك البارثيون من سلالة الأسرة الـكـمـيـنـيـة الملكية في فارس ، بل كانوا من الإسكـيـذيين من الإقليم الواقع حول بحر آزوف ولو أن الخبر قد شاع بأن أرساكيـس (Arsaces) مؤسس دولة البارثيين قد ولد في بلخ . وحيث أن البارثيين كانوا منحدرين من قبائل شرقي فارس على حال أشبه بالهمجية ، فقد كان الفرس الخـلـص يـحـقـقـوـنهم ويعتبرونهم جنساً منحطاً ، فالبارثيون هم التبيلة الوحيدة في هذا الإقليم التي ليس لها ذكر في كتب الفرس المقدسة . ويبدو أنهم قد احتفظوا ببعض طبائع القبائل الرحل التي انحدروا منها . وجعلوا عاصمتهم الشتوية في بابل أو طيسفون ، وهذه الأخيرة كانت من مدن العسكر على نهر دجلة ، متجنبين بذلك الجالية اليونانية القريبة النازلة في سلوقية ، فقد تركت شبه مستقلة متمتعة بدستورها اليوناني . ومتخذة اللغة اليونانية لساناً لها والديانة اليونانية سائدة بها . أما عاصمتهم الصيفية فكانت همدان (Ecbatana) أو الري (Rhagus) وكان لهم أيضاً قصر في هيكاتومبيلوس (Hecatompylos) في وسط پارثيا وهي مدينة كان السلوقيون من قبل قد وسعوها وأعادوا بناء بعض أجزائها . لقد وسع ميثریداتيس الأول (المتوفى فيما بين ١٣٨ و ١٣٠ ق . م) وهو سادس الملوك الأرساكين رقعة المملكة البارثية كثيراً ، وبعد أن مد حدودها من دجلة إلى نهر السند اتخذ لقب « ملك الملوك » الذي كان يتخذه من قبل الملوك الـكـمـيـنـيون . وكان يصور على ما ضربه من عملة وهو يحمل قوساً مثل أقواس الملوك القدماء ويلبس تاجاً مرصعاً باللؤلؤ مثل تيجانهم . لقد كان الفرس يعتبرون الـكـمـيـنـيين من سلالة نصف إلهية ، يمتازون بروح إلهية صادرة عن الإله أهورامازدا ولذلك لقب الـكـمـيـنـيون أنفسهم « أبناء الإله » . وهذا هو اللقب الذي أصبح يتخذه الملوك البارثيون في صيغة « زاج الوهين » فيما ضربوه من نقوش على عملتهم المحلية أو في صيغة « من أب إلهي » (Θεοπάτηρ) فما ضربوا على عملتهم باليونانية . لقد اندمج الملوك البارثيون في طبقة « العظماء »

(Μεγιστῶνες) أو كبار أشرف المملكة ، كما اندمجوا في طائفة المجوس وهم كهنة الفرس ، تماماً كما كان الحال أيام الكينيين القدماء . وحاولوا كما حاول كبار الموظفين البارثيين أن يندمجوا في الفرس ما استطاعوا ، فقلدوا لباسهم وطرائقهم وكثيراً ما اتخذوا الأسماء الفارسية .

كان الإسكندر قد ترك وراءه عدداً من الجاليات اليونانية منتشرة فيما كان من قبل امبراطورية له . وقد بقيت هذه الجاليات وصارت مصادر تأثير ثقافي يوناني . وبصرف النظر عن هذه الجاليات فقد خلف الإسكندر سمعة وأثراً ثقافياً لم يمح لعدة قرون ، حتى لقد كان الآسيويون في الشرق الأوسط ينظرون بعين الاحترام والتبجيل لكل ما هو يوناني . ولم تكن اليونانية اللغة الرسمية في پارثيا كما كانت في مصر . ومع ذلك فقد كانت اليونانية ذائعة الاستعمال على العملة البارثية ، ولو أنها انحطت في عهود الملوك المتأخرين إلى حد أنه كان يصعب فهمها . ونرى على أقدم العملات الباقية وهي عملة الملك فولوجاسوس (Vologasus) الأول والتي ترجع إلى عهد الإمبراطور الروماني كلوديوس ألقاب الملك كلها باليونانية ، وليس فيها بالفارسية القومية القديمة أو البهلوية إلا اسم الملك وقد جاء مختصراً إلى قول (VOL) . ومنذ حوالي عام ١٨٨ ق . م فصاعداً اشتمل اللقب الملكي على « محب لليونان » (Φιλῶν) فقد كانت الدولة البارثية إلى حد ما عاملاً في نشر الثقافة اليونانية ، ولو أن العنصر الشرقي في هذه الهيلينية كان يتزايد يوماً بعد يوم . ولم يكن الشعور القومي قد بلغ غايته لأن الفرس كانوا يعتبرون الأسرة الحاكمة متضعة من الناحية العنصرية . وكانوا يتحملونها الحكم لأنها كانت موقفة في تحرير البلاد من النير الأجنبي وكانوا يعضدونها فقط لأنها أثبتت قدرتها فعلاً على المحافظة على السلم والاستقلال . فلما لحقتها الهزيمة على يد قوة أجنبية فقدت سلطانها ، وجعل الناس يبحثون عن ملك شرعي من الأرومة الأصلية المنحدرة من أنصاف الآلهة .

وبعد أن قامت ثورة أرساكيس التي أدت إلى تأسيس پارثيا انسلخت أقاليم بلخ والصغد وفرغانة من سيادة السلوقيين ، وتكونت مملكة يونانية في بلخ على الحدود الهندية ولكنها مع ذلك احتفظت بصلاتها مع العالم اليوناني ، ودامت هذه الدولة إلى حوالي ١٢٨ ق . م وكان شعبها يتزايد بما ينضم إليه من اليونانيين الوافدين . وكانت مدينة أنطاكية مارغيانة (Antioch Margiana) أو مرو في بلاد الصغد على رأس طريق مهم كثير الحركة يأتي من سوريا وشمال بلاد ما بين النهرين ، ويتصل بقطر (Bactra) عاصمة بلخ وبمدينة اليساندا أو الإسكندرية في أسفل القوقاز على عتبة الهند : وقد ظلت هذه المدينة طوال تاريخها يونانية على وجه التحقيق وكانت مركز تأثير ثقافي يوناني إلى أن سقطت أمام الغزاة من البرابرة . ولما كانت بلخ بعد استقلالها نائرة على الملوك السلوقيين في سوريا فإن منافسيهم من البطالمة في مصر كانوا يرسلون عميلاهم في البلاط البلخي ، فقد كانت دول وسط آسيا هذه وثيقة الصلة بما يجري ويحاك من دسائس شرقي البحر المتوسط .

والحق إن خروج بلخ على الحكم السلوقي كان انسلخاً أكثر منه ثورة ، لأن السلوقيين كانوا قد أهملوها . وحوالي سنة ٢٤٨ استقل ثيودوتوس (Theodotus) والى (مرزبان) بلخ . ويقول جستين^(١) إنه أصدر أمره بأن يلقب بالملك ، ولكن ليس على ما ضرب من عملة ما يؤيد هذا القول . والحقق أن ابنه ديودوتوس (Diodotus) أو ثيودوتوس الثاني قد فعل هذا وعقد محالفة مع پارثيا ضد مليكه في أنطاكية ، وهذا التصرف عكس سياسة والده التي لم تكن شعبية . وقد اغتاله يوثيديموس (Euthydemus) وهو زوج ابنة الملكة أرملة ثيودوتوس الأول . فلما وجه إليه الملك السلوقي أنطيوخوس الثالث اللوم على اغتياله ديودوتوس دافع عن نفسه بقوله إنه-

(١) جستين : ٤١ ، ٤٤ .

ليس بثائر ولكنه قتل ابن ثائر^(١) . وهذا يدل على أن الرأي العام المعاصر كان يرى أن ثيودوتوس قد ثار على سيده . وحاول أنطيوخوس الثالث (الأكبر) في سنة ٢٠٨ استرداد بلخ وإرجاعها تحت سلطان المملكة السلوقية ، وبعد أن حاصر بقطر حصاراً عقيماً مدة سنتين هدهد يوثيديموس بدعوة قبائل السكا (Saka) (الاسكيذيين) لنجدة و بين له ما ينطوى عليه دعوة هؤلاء البرابرة من كوارث جسيمة . وعندئذ كف أنطيوخوس عن محاولته واعترف رسمياً باستقلال بلخ . وفي سنة ١٩٠ ق . م حاقبت بأنطيوخوس نفسه هزيمة ساحقة على يد القائد الروماني سكيبيو الآسيوي (Scipio Asiaticus) وزال خطر الغزو السلوقي عن بلخ ردحاً من الزمان . وفي السنة التالية مات يوثيديموس نفسه .

وكان الملك البلخي الثاني وهو ديمتريوس طامعاً في أن يمد رقعة مملكته في اتجاه الهند . وقام فعلاً بغزو الهند عن طريق جبال الهندكوش واحتل بتالي بوترا سنة ١٧٥ وما كانت هذه إلا المرحلة الأولى من مراحل توسعه . وبعد ذلك رسم خطة جبرى لغزو إقليم البنجاب ، فقسم قواته إلى ثلاثة جيوش رسم لها أن تعمل في انسجام . وكان هو نفسه على رأس الجيش الأول واحتل جندارا وتاكسيلا ، وكانت جندارا هذه تعرف باسم « بلاد اليونان الثانية » لأنها كانت مشبعة بالثقافة اليونانية إلى أبعد حد ولأن الفن اليوناني الذي ازدهر فيها قدر له أن ينتشر شرقاً وأن يؤثر على الشرق الأقصى . وكانت في الوقت نفسه « أرضاً مقدسة » عند البوذيين وكان مصدر هذا التقديس أنها كانت تضم ثلاثة من أربعة من الهياكل البوذية الكبرى . والحق أن بوذا لم يزر هذه البلاد قط ، ولا صلة لها بحياته أو برسالته على الإطلاق ، وإنما كانت سمة التقديس فيها تعتمد كل الاعتماد على وجود هذه الهياكل التي تضم بقايا ثمينة من جسد

(١) پوليبوس : الكتاب الثاني ، ٢٤ ، ٢ .

بوذا أو ملباسه . أما الجيش الثانى فقد عهد به ديمتريوس إلى ميناندر . وقد استولى هذا الجيش على بتالى بوترا ، عاصمة إقليم سجالا (Sagala) (سيالكوت) أهم مدن المدراس وقد كانوا هم أيضاً من البوذيين . وكان الجيش الثالث تحت قيادة أبولودوتوس (Apollodotus) أخى ديمتريوس ، وقد تقدم نحو باريجازا (Barygaza) ولعلها تعنى أچين . وهذه العمليات الحربية استولى ديمتريوس على الهند الشمالية الغربية كلها . ولكن السلوقيين لم يتخلوا عن أملهم فى استرجاع بلخ . وفى سنة ١٦٨ أرسل أنطيوخوس الرابع حملة تحت إمرة قائده يوكراتيديس (Eucratides) ضد ديمتريوس . وعند قدوم الجيش السلوقى أمر ديمتريوس قائده ميناندر بأن يحلّى بتالى بوترا ، والتحم هو نفسه مع يوكراتيديس غربى الهندكوش وفى هذه الموقعة هزم البلخيون وقتل ديمتريوس ولم يلبث يوكراتيديس أن استولى على جندارا . وأعد العدة لغزو الهند ، ولكنه انتظر أنطيوخوس الذى رسم أن يكون بنفسه على رأس هذه الحملة طمعاً فى أن تكون فى مثل روعة حملة سلفه العظيم الإسكندر الأكبر . ولكن أنطيوخوس سنة ١٦٣ مات^(١) فى جباى (Gabae) قبل أن تتم الحملة وأتاح موت أنطيوخوس المفاجئ الفرصة ليوكراتيديس ليحكم بلخ وقد تم قهرها . ولكن حكمه لها لم يدم إلا فترة قصيرة ، إذ تدخل الملك البارثى ميثريداتيس فضم غربى بلخ إلى ممتلكاته ، ومات ليوكراتيديس نفسه بعد ذلك بوقت قصير (فى ١٥٩ - ١٥٨) وكان ميناندر قائد الجيش الثالث لا يزال هناك والأرجح أنه حكم « سجالا » إلى سنة ١٤٥ وكان أكثر رعاياه من البوذيين الذين كانوا يعتبرون اليونان أصدقاء مخلصين ويفضلونهم على الهندوكيين الذين كانوا يضطهدون البوذية . وقد قيل إن ميناندر كان شديد الميل للبوذيين ، ولكن ليس من دليل واحد على أنه اعتنق البوذية ، ولو أن فى الميلندابنها (Melindapanha) رواية تذهب إلى أنه اعتنقها ،

وثمة حوار بوذى يسمى فيه أحد المتحاورين « ميليندا » ويظن أنه يمثل ميناندر . ومع ذلك فلم تعد الدعوة البوذية في ذلك الوقت تلقى قبولا في وسط آسيا ، بل كان مستقبلها على الأحرى في الشرق الأقصى .

لقد بلغت بلخ اليونانية نهايتها بين سنة ١٤١ وسنة ١٢٨ وهى النهاية التى جاءت نتيجة لهجرات قبائل يوه تش (Jueh-chi) السكية (الإسكيزية) التى انحدرت من الصين الشمالية . وكانت هذه القبائل بالطبع مغولية ، وهذا معنى التعبير فى كلمة سكية أو إسكيزية . وتفصيل أمر هجرتهم أن قبيلة مغولية هى هيونج نو (Hiung-nu) قد أغارت على أراضيها فاضطرت إلى الهجرة وانحدر بعضها إلى الجنوب حيث أنشأوا مملكة فى الصين ، وولى الآخرون وجوههم شطر الغرب وانقضوا على قبيلة ووسن (Wu-sun) وقتلوا ملكها واحتلوا أراضيها . ولم يمض وقت طويل حتى لحق بهم أعداؤهم الأولون هيونج نو ، بدعوة من قبيلة ووسن المغلوبة فاضطرت قبائل يوه تش إلى متابعة سيرها نحو الغرب متفضة على قبائل ساي ونج (Sai-wong) التى فرت من وجههم إلى الجنوب ، ولكن حدث فى سنة ١٦٠ ق . م أن هاجمت قبيلة ووسن قبائل يوه تش تحت زعامة ابن ملكها المقتول ، فاضطروا إلى الإمعان فى هجرتهم غرباً . وحينئذ يخنفون عن أنظارنا فترة من الزمان إلى سنة ١٢٨ ق . م ففى تلك السنة عبروا نهر سيحون (Jaxartes) ثم نهر جيحون (Oxus) واحتلوا إقليمى بلخ والصغد حيث أنشأوا طائفة من الدويلات السكية . وفى هذه الأثناء كانت قبيلة ساي ونج التى كانت قد فقدت أراضيها قد احتلت إقليم فرغانة اليونانية وأنشأت فيها دويلة سكية أخرى . على أن قدوم هذه القبائل نصف المتبربرة قد قضى تماماً على الحياة السياسية والاجتماعية للممالك اليونانية فى وسط آسيا فى هذا العهد على الأقل ، ولكن مجيئها لم يقض على الديانة البوذية فقد اعتنقت أكثر القبائل المغيرة الديانة البوذية .

إن قبائل يوه تش كانت قد قدمت من الصين . وقد تتبعته الحكومة

الصينية مصائرهما ، وفي سنة ١٢٨ ق . م لحق بها القائد الصيني شانج كين (Chang-K'ien) في بلخ وعقد بينها وبين الصين تحالفاً ، وحاولت الصين . بعد عقد هذه المحالفة أن تفرض عليها شيئاً من الإشراف فترة من الزمان ، ولكن الحكومة الصينية فيما بين سنة ٤٨ و ٣٥ ق . م تقريباً لم تعد بعد ذلك تولى هذه القبائل أى اهتمام .

واستقرت هذه القبائل الرحل شيئاً فشيئاً وأنشأ كوجالا (Kujala) بعد سنة ٢٥ ق . م مباشرة وهورئيس قبيلة كوشان وهى إحدى القبائل التى كانت تتألف منها جحافل اليوه تش ، دولة سكية في بلخ والهند الشمالية الغربية . وكانت هذه عبارة عن مجموعة من خمس دويلات قديمة ، وقد استمرت هذه الدولة قرنين من الزمان . وفي هذه الأثناء صارت بلخ أرضاً مقدسة بالنسبة للبوذية وقد اكتسبت هذه القداسة في عهد ملوك كوشان . وهذه القداسة هى التى كانت تجتذب الحجاج البوذيين من أنحاء كثيرة لزيارة الهياكل العديدة أو المحاريب التى تضم البقايا المقدسة لبوذا وقد كانت كثيرة بها .

وتنحصر أهمية بلخ تحت حكم ملوك كوشان فترة من الزمان فيما كان لها من أثر في تطور البوذية على نحو منظم ، ولكنها أصبحت بعد ذلك قوة ناهضة الهند الشمالية الغربية في عهد الملك كادفيسيس الأول (Kadphises I) ، ولقد زار كنج هين (King-hien) وغيره من حكماء الصين بلخ حينما أرسلت في سنة ٦٤ م نسخ من الكتب البوذية المقدسة إلى الإمبراطور الصيني مينج تى (Ming-ti) . وكان من نتيجة ذلك أن أضيفت البوذية في السنة التالية إلى الأديان المعترف بها رسمياً في الصين . وفي عهد كادفيسيس الثاني (٨٥ - ١٢٣ م) نمت صلات بلخ التجارية بالإمبراطورية الرومانية نمواً كبيراً وخصوصاً بطريق البحر أكثر من الطريق البرى الذى يمر بمرور كما فصلنا آنفاً .

إن ثالث ملوك كوشان وهو كانيشكا (Kanishka) (١٢٣ - ١٥٣ م) اعتنق البوذية ، وتغيرت الظروف إلى حد أن كوشان قد وقفت في طريق التوسع الصيني ، كما أن كوشان أخذت رهائن كثيرة من بينها هان (Han) ابن إمبراطور الصين إلى بلخ . وبني كانيشكا لهؤلاء الرهائن ديراً في كاپيسا ولكنهم كانوا ينقلون في فصل البرد إلى موقع يسمى تشيناباتى (Chinapati) ولا نعرف مكانها الآن . وفي عهد هذا الملك كانت العملة لا تزال تضرب على غرار العملة اليونانية ، وعليها نوع منمنط من الكتابة اليونانية . وكان في البلاط الكوشاني مثالون تعلموا في مدرسة ولاية جنذارا على الحدود ، وهي المدرسة التي كانت تسير على النظم اليونانية : وفي هذا الوقت كان بوذا قد آله وعبدته الناس ، وبدأت تماثيله تحتل مكانها من المعابد البوذية بدلا من الصور الرمزية القديمة . أما تماثيله الأولى فقد صنعت في جنذارا ولذلك جاءت وفق القواعد اليونانية ، وكانت مجرد نسخ أخرى للتماثيل اليونانية لأبولو . على أن متوجات جنذارا الفنية كانت يونانية المنزع وقد نقلت الأثر اليوناني في الفن إلى الشطر الأكبر من الطائفة البوذية ، حتى إن تماثيل بوذا في الصين واليابان تم عن الطابع اليوناني وخصوصاً في تصوير طيات الملابس . إن تماثيل بوذا هذه كانت وفق التقاليد اليونانية الفنية ، ولذلك فقد بدا فيها رجلا وسيما فحسب ، ولكن كان من البوذيين من لم يرضوا عن هذه الصورة اليونانية لإلههم وحرصوا على أن يكون تماثله أكثر صوفية وأكثر روحانية ، وليس مجرد شكل إنساني مهما يكن من كماله . ولذلك فقد ابتكرت صورة أخرى له في ماثورا (Mathura) على الطريق الرئيسي العظيم بين الإسكندرية (أسفل القوقاز) وبتالي بوترا ، وجاءت هذه الصورة في مبدأ الأمر تحويراً قبيحاً لصورة جنذارا ولكنها تطورت آخر الأمر إلى صورة شخص طاهر روحاني وظلت مع ذلك تم عن نشأتها اليونانية .

٢ - طريق مرو

إن اهتمامنا الرئيسي هنا مقصور على الطريق البرى بين الإمبراطورية الرومانية والشرق الأقصى ، وقد كان هذا الطريق يفضى من الحدود السورية إلى مرو وهى المدينة التى أنشأها أنطيوخوس الأول (٢٨٠ - ٢٤٠ ق . م) كمتعمرة يونانية تحف بها محلات زراعية تغلب عليها كلها الصبغة اليونانية . وكثيراً ما كانت تزداد المدينة أو المنطقة الريفية المحيطة بها بمن ينضمون إليها من اليونان الوافدين ، وأصبحت هذه المدينة فى عهد الملوك البارثيين سوقاً تلتقى فيه التجارة الرومانية بالتجارة الصينية . وكانت إبان الفتح العربى وبعده إلى زمن طويل ذات رخاء عظيم تنتج الحرير والقطن الرفيع وذلك يوم كانت هذه البضائع نادرة وغالية الثمن فى الإمبراطورية الرومانية . وقد ازداد سكان الحى الغربى فيها أو ما يسمى بالرباط قبل الفتح العربى وانتقل المركز التجارى الرئيسى إلى هذا الحى فى مستهل العهد العربى . ولما حاقت الهزيمة بآخر ملوك الفرس ، يزدجرد الثالث ، هرب إلى مرو ، وقد لحق به العرب وقتلوه سنة ٦٥١ بالقرب من طاحونة هواء فى قرية الرزىق بالقرب من مرو . وأخذ الأسقف المسيحى (النسطورى) جثمان الملك الراحل ، ودفنه فى پاى بابان^(١) . وتدل هذه الواقعة على أن النساطرة كانوا يؤلفون عنصراً هاماً فى المدينة . وكان هناك دير نسطورى كبير فى ماسرجاسان شمال الحى الذى عرف فيما بعد باسم سلطان قلعة ، المتاخم لرباط^(٢) . ويبدو أن مرو كانت معقلاً أمامياً من معازل الثقافة اليونانية ، وكان بين أهلها نسبة كبيرة من المسيحيين من النساطرة ومن أصحاب الطبيعة الواحدة

(١) الطبرى « التاريخ » ١ ، ٢٨٨١ .

(٢) الطبرى « التاريخ » ٢ ، ١٩٢٥ .

على السواء . ومما لا ريب فيه أن عددهم قد تضخم كثيراً بما أخذه كسرى الثاني من أسرى الرومان الكثيرين الذين أرسلهم إلى داخلية البلاد من أجل ضمان الحراسة عليهم .

لقد كانت مرو وبلخ والصغد كلها مراكز للهيلينية ، وجاء غزو القبائل السكية فقمع هذا العنصر الهليني ، ولكنه لم يقض عليه . وفي هذه الأثناء كان الطرف الغربي من الطريق البري مسرحاً للتقلبات كذلك فقد كان الحاجز الأول بين العالم اليوناني والعالم الشرقى هو مملكة پارثيا التي دأبت على الاغتيات على مملكة السلوقيين . وحوالى سنة ١٥٠ ق . م استولت على بلاد ما بين النهرين . على أن التوسع البارثى قد توقف عند هذا الحد إذ لم يمض وقت طويل على احتلالهم لبلاد ما بين النهرين حتى توغلت القبائل السكية في الأقاليم الشرقية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الدولة السلوقية لم تعد سداً منيعاً بعد أن هزم البارثيون أنطيوخوس سيديتيس (Sidetes) وقتلوه سنة ١٢٩ ق . م ، ولو أنهم لم يستطيعوا أن يوالوا انتصاراتهم بطريقة فعالة لأن قبائل السكا كانت قد بدأت تهدد في هذا الوقت حدودهم الشرقية . وقد تركت هذه الهزيمة سوريا أضعف من أن تذود عن نفسها ضد أعدائها المتربصين بها والذين كانوا يتحينون الفرص لاغتصاب أراضيها . وكانت القبائل العربية حتى في هذا الوقت تفتت على الأطراف الشرقية من سوريا . وأعلنت أسرة قومية استقلالها في رها سنة ١٣٢ ق . م ، على حين كانت البلاد كلها هدفاً لإغارات القبائل العربية التي لم يمض وقت طويل حتى بدأت تنقض على پارثيا كذلك . وهكذا صارت بلاد ما بين النهرين أرضاً محايدة تقوم عليها إمارات وطنية صغرى ولا سلطان عليها للملك السلوقى في أنطاكية ولا للملك البارثيين بحال من الأحوال .

وظهر لها عدو أعظم خطراً في سنة ٧٩ ق . م في شخص تيجرانيس

(Tigranes) ملك أرمينية ، وهى بلاد يسكنها قوم جبليون خشنون وقفوا في وجه التوغل اليوناني . وقد غزا تيجرانيس سوريا بسهولة ، ولكن الرومان كانوا في هذا الوقت يتوسعون فيما حول البحر المتوسط ، ولم يمض وقت طويل حتى كان بومبي قد غزا الأرمينيين وأخذ سوريا من أيديهم وجعلها ولاية رومانية ، فيما عدا مقاطعة كوماجيني (Commagene) في الشمال الشرقي فقد تركت إمارة تابعة لروما تحت حكم أمراء محليين . لقد أقر بومبي الأوضاع القائمة حتى لأنه اعترف بنهر الفرات حداً طبيعياً بين پارثيا والإمبراطورية الرومانية ، ولو أن هذا الاعتراف لم يمنع الرومان من أن يحولوا أزروهين (Osrochene) . وعاصمتها الرها ، إلى دولة تابعة لهم مع أنها في الجانب البارثي من النهر .

وكانت هناك سلسلة من الإمارات العربية الممتدة من الحدود الأرمينية إلى بلاد العرب الشمالية ، وكان أهمها تدمر (Palmyra) ويبدو أن الإمبراطور أغسطس الذي أحترم ما اعترف به بومبي من اعتبار نهر الفرات حداً بين فارس والإمبراطورية الرومانية ، كان ينظر إلى هذه الإمارات العربية على أنها « دويلات حائلة » من شأنها أن تحمي الحدود الشرقية للإمبراطورية من البارثيين .

وينحصر تاريخ آسيا الغربية منذ عهد الإمبراطور تراچان فصاعداً في الصراع الطويل بين روما وپارثيا أو فارس . وما فارس إلا پارثيا بعد أن أعيد تنظيمها تحت أسرة ملكية جديدة . وكان النبر في هذا الصراع يتراوح من وقت لآخر بين القوتين المتصارعتين . ولم تكن داخلية سوريا مشبعة بالثقافة اليونانية أبداً . حقاً إن مناقشات المجامع الكنسية كانت تدور باللغة اليونانية ، ولكن أساقفة بلاد ما بين النهرين كانوا مضطرين إلى الاستعانة بالترجمين^(١) .

(١) شوارتز (Schwartz) « محاضر المجامع المسكونية » ١ ، ٢ ، ١٨٤ ، ١٩٣ .

(١١ - علوم اليونان)

وأرسل أساقفة الرّها التماساً إلى مجمع خلقيدونية ظهر أن أكثر من ثلث الإمضاءات كانت عليه باللغة السريانية^(١) .

نجم عن الثورة الساسانية التي قامت سنة ٢٢٦ م أن تبوّأت أسرة ملكية جديدة العرش الذي كان يشغله من قبل البارثيون . وقد كان لهذه الثورة جانب ديني ، شأنها في ذلك شأن أكثر الحركات السياسية في البلاد الشرقية ، فهي لم تكف بأن يتبوأ العرش صاحب حق شرعي رأى الناس فيه سبيلاً لأنصاف الآلهة الأقدمين ، بل أفضت إلى إصلاح شامل في الديانة التي وضع أسسها زردشت . ذلك أن أردشير أول الملوك الساسانيين بدأ حكمه بعقد مجمع عام للكهنة المزدية ذلل فيه الصعوبات المذهبية الكثيرة بين الفرق المختلفة التي كانت تقسم المجتمع الفارسي ، كما وُحد الطقوس الدينية والنصوص المقدسة المعتمدة . وتبدو المزدية في التاريخ بوجه عام أنها كانت مطبوعة بالتسامح إلا فيما يتعلق بالمنشقين عليها مثل ماني ومزدك ، ولكنها قد مرت فيما يبدو بمرحلة دعائية نشطة لم يصلنا عنها تفاصيل كثيرة . وانتشرت الديانة الزردشتية في الأقاليم الشرقية من المملكة أثناء هذه المرحلة ، حتى إنه عند ظهور الإسلام كانت بلخ والصغد وفرغانة مزدية إلى حد كبير وإن لم يكن كل سكانها من المزديين . وكان فيها أقلية بوذية قوية كانت مشكلة مستعصية على المسلمين الفاتحين . ومن هذه الأقلية كان البرامكة ، وهم ورثة السدانة الوراثية في الأديرة البوذية في إنبوآسحر ، وكانوا قد جمعوا ثروات طائلة مما كان يقدمه الحجاج البوذيون على تعاقب الأجيال من قرابين ، وأصبحوا يصوّرون على أنهم من عبدة النار إلى أن تحولوا إلى الإسلام .

ويتصل البرامكة على العموم بمدينة مرو التي انتقلوا إليها من بلخ ، وكانوا الدعاة الأول للثورة العباسية ، تلك الثورة التي أدت إلى تغلب النفوذ

١٦٣

الفارسي ، ثم إلى صبيغ جانب على أقل تقدير من الدولة العربية والديانة الإسلامية والأدب العربي بالصيغة الفارسية . وقد كان أحد المنجمين الذين استدعوا عند تأسيس بغداد يهودياً من مرو هو ما شاء الله بن أثري (المتوفى بين ٨١٥ و ٨٢٠ م) وقد وضع كتباً في الفلك والرياضيات تتم عن تأثيرها بالعلوم اليونانية ، وثمة يهودي آخر من مرو هو سهل بن ربان الطبري (حوالي ٨٠٠) جاء إلى بغداد ووضع الترجمة العربية الأولى « لمبادئ » إقليدس .

الفصل التاسع

البوذية باعتبارها وسيلة من وسائل نقل العلوم اليونانية إلى العرب

١ - ظهور البوذية :

كانت الديانة الهندوكية تقوم على عبادات غزاة الهند الآريين ، ولكنها كانت تشمل عناصر من الديانات البدائية التي ظلت مرعية لدى سكان البلاد الأصليين المهزومين . ونمت الهندوكية نمواً كبيراً قبل غزو الإسكندر بزم من طويل ، وقد خلقت نظام طبقات جامد ينقسم فيه أشياءها إلى طوائف محددة منفصلة تحظر الاتصال بالعالم الخارجى . وقامت فيما بين القرنين الخامس والسادس تقريباً عدة حركات دينية وبخاصة في الهند الشمالية الغربية ، ترمى إلى الانفصال عن الطقوس الهندوكية وكلها تتم عن شئ من الزرع الصوفى ومقترنة بالزهد والاحترام العظيم لقداسة الحياة الإنسانية والحيوانية . وتمخضت إحدى هذه الحركات عن ديانة جين (Jain) التي لم تنتشر أبداً خارج حدود الهند ، كما تمخضت حركة أخرى من هذه الحركات عن الديانة البوذية التي كانت في بدايتها طائفة زهدية صغيرة . ولكنها فيما بعد نمت وانتشرت حتى صارت إحدى ديانات العالم الكبرى . ويرجع كل من هذين الدينين في أصوله إلى نظام السانخيا الفلسفى الذى كان قائماً من قبل والذي بدأه كاپيلا (Kapila) .

أما ديانة الجين فقد وضع أسسها ما هافيرا الذى كان يعظ في مملكة ما جاذا (جنوب بهار) في الهند الشمالية الغربية حوالى ٥٠٧ ق . م على الأرجح . أما البوذية فقامت بأن جمع جواتاما بوذا حوله طائفة من النساء

في حديقة الغزلان في سارنات (Sarnath) بالقرب من بنارس . ومات بوذا حوالي سنة ٤٨٠ ق . م ولكن تعاليمه انتشرت في الجنوب الشرقي من وادي نهر الكنج وفي كوسالا (أوذ) وما جازا . وهكذا كانت الديانتان على صلة بما جازا . وما كان كل إقليم ما جازا صالحاً لنار التضحية ، وبالتالي فما من تضحية هندوكية يجوز أن تقدم قرباناً هناك ، وما كان بالمكان الذي يستطيع البرهمي من النبلاء ومن السلالة النقية أن يعيش فيه . على أن غياب البراهمة عن هذه المنطقة قد شجع حرية الفكر فيها تشجيعاً كبيراً ، وأفسح المجال لظهور آراء دينية جديدة تنتقد إلى حد ما العقيدة المعترف بها (١) . ولم يحاول أحد هذين الدينين أن يمحو النظام الطبقي الهندوكي القائم ، بل إن أتباع ديانة چين ظلوا يستخدمون البراهمة كهنة خصوصيين ، ومع ذلك فقد حصل العلمانيون في كلا الدينين على مركز أحسن من ذي قبل ، وفقدت التقسيمات الطبقيّة شيئاً فشيئاً جانباً كبيراً من مغزاها وأهميتها .

وكان ملوك أسرة ناندا يحكمون ما جازا فيما يقال في القرن الرابع . ولوأنه كثيراً ما تعد هذه الأسرة المؤلفة من سبعة ملوك ، أسطورية ، ولا يبدأ تاريخ الهند السياسي إلا بظهور أسرة ماوريا (Maurya) حوالي عام ٣٢٣ ق . م بعد غزو الإسكندر بثلاث أو أربع سنوات . ولعل من الحماقة أن نتجاهل كلية أساطير الملوك الأولين . ويقال إن آخر ملوك ناندا كان من طبقة دنيا وزائع الدين ، يعادى الطبقتين العلويتين : البراهمة أو الكهنة والكشاثريا أو الجند ، ولكنه كان غنياً عزيز الجانب . وليس من دليل على أنه كان من أتباع ديانة چين أو ديانة بوذا .

وحوالي سنة ٣٢٣ — ٣٢٢ عند ما عَمَّت الفوضى وانتشر الاضطراب

(١) ناليناكشا دت (Nalinaksa Dutt) « البوذية في دياراتها الأولى » Early

Monastic Buddhism الجزء الأول ، كالكوٲ ١٩٤١ ص ١٤٠ . .

الناجم عن غزو الإسكندر ثار قندراگوبتا (Chandragupta) وهو من أسرة ماوريا ، وخلع ملوك ناندا وأسس دولة مستقلة . وكان قديراً في الحرب ، وهزم سيلوكوس نيكاتور في سنة ٣٠٥ - ٣٠٤ وكان قد حاول أن يفرض سلطانه على الأقاليم الشرقية من فارس بعد أن استرد بابل سنة ٣١٢ وعقد سيلوكوس بعد هزيمته هذه معاهدة مع قندراگوبتا اعترف فيها به ملكاً على ماجاذا (سنة ٣٠٣) . وفي سنة ٣٠١ عين ميغاستينيس (Megasthenes) اليوناني عاملاً له في بلاط ماجاذا . وقد وضع ميغاستينيس كتاباً وصف فيه الهند وعاداتها ، ولا نعرف هذا الكتاب إلا مما اقتبسه منه كلمنت السكندري واسترابون .

وكان بيندوسارا (Bindusara) (٢٩٧ - ٢٧٢ ق . م) ثاني ملوك ماجاذا . وفي بلاطه استبدل بميجاستينيس دايماخوس (Daimachos) الذي كان يكتب أنطيوخوس سوتير . ولكن الهنوكيين كانوا ينظرون إلى هذين الملكين من أسرة ماوريا على أنهما نجسان لا حسب لها لأنهما لا ينتميان لطبقة الكهنة أو طبقة الجند .

أما ثالث ملوك هذه الأسرة وهو أسوكا (Asoka) فقد اعتنق البوذية التي لم تعر نظام الطبقات أى أهمية ، وعضد الدين الذي اعتنقه تعصيماً قوياً ودعا إلى عقد مجمع بوذي ثالث في الأسوكاراما في باتالى پوترا . وتلك قرية كان بوذا قد زارها في سالف الزمان ، ونوقشت في هذا المجمع ثمانى عشرة مشكلة مذهبية وتم التصالح بشأنها . ولكن الأهم من كل هذا أنه قد تقرر فيه أن البوذية ينبغي أن تنتهج سياسة تبشيرية تدعو فيها شعوب العالم كلها إلى اعتناق ما يقضى به « قانون التقوى » . وطبقاً لهذا القرار أوفدت البعوث إلى الجنوب وإلى الغرب ، ولكنها لم تُبْعَثْ إلى الشرق . وليس في النصوص السنسكريتية إشارة واحدة إلى هذا المجمع ، على حين يوصف المجمع الثالث المذكور في الوثائق السنسكريتية بأنه عقد في كشمير في عهد كانيشكا . وقد أغفلت وثائق

پالى (Pali) التى وصفت مجمع أسوكا ، ذكر هذا المجمع . وبفضل هذا النشاط التبشيرى تحولت جزيرة سيلان إلى بوذية من النوع البدائى الذى يعرف باسم هنيانا (Hinyana) . وقد وصلت إلينا الوثائق عن هذه البعثة التبشيرية وأعمالها . هذا وإن مؤرخى سيلان يشيرون أيضاً إلى نشاط تبشيرى فى الغرب ، ويقولون إن شخصاً يدعى ماهراكشيترا (Maharakshitra) قاد بعثة من المبشرين إلى يفتانا وهى بلاد الأيونيين أو اليونان . ولكنهم لا يزودوننا بتفصيلات عن أعمالهم . وقد امتدت الإمبراطورية السلوقية فى هذا الوقت إلى الهندكوش ، وكانت كل الأقاليم إلى هذه الحدود تعتبر يونانية من الناحية السياسية . ولم يخلع البارثيون النير السلوقى عنهم إلا فى أواخر عهد أسوكا ، كما أن بلخ لم تتحرر من السيادة اليونانية إلا بعد ذلك وتم استقلالها على مراحل . ولعل النشاط التبشيرى بين اليونان لا يعدو أن يكون نشاطاً بين شعوب بلخ والصغد التى كانت تحت حكم اليونان ، والتى أصبحت فيما بعد كمعاقل للدين البوذى .

٢ - هل انتشرت البوذية غرباً :

لقد بذل أسوكا جهده فى نشر البوذية عن طريق سلسلة من المنشورات كان يشرح فيها « قانون التقوى » . وقد حدثا فى وضعه لهذه المنشورات حلو ملوك الفرس الكتيينيين الذين كانوا ينقشون مراسيمهم على الصخور فى باهستان وغيرها . والمعروف أن نحو أربعة وثلاثين منشوراً من منشورات أسوكا باقية إلى الآن . منها أربعة عشر منقوشة على سطح الصخر وسبعة على أعمدة وما تبقى فى أماكن أهون شأنًا . وهى منتشرة طولاً وعرضاً فى جميع الأرجاء من أفغانستان إلى ميسور ، ومدونة إما باللغة الپراكريتية أو باللهجة الدارجة فى مكان النشر . وقد جاء أحد هذه المنشورات بثلاث لهجات من بينها لهجة ماجادا . ومع أن اللغة الپراكريتية لا تعدو أن تكون

مرحلة متأخرة من مراحل تطور اللغة السنسكريتية^(١) ، فإن هذه المنشورات أقدم الوثائق الهندية لأن النصوص الدينية (Vedas) السنسكريتية كانت تنتقل بالرواية ولم تدون إلا بعد عهد أسوكا بزمان طويل . أما الحروف المستعملة فهى الحروف المعروفة باسم الحروف الكاروشية وهى تحوير للكتابة الآرامية فى هذه المنشورات القديمة التى كان الفرس قد أدخلوها فى إقليم الهندجاف فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد . وإن استخدام هذه الوسائل فى التبشير ليدل دلالة واضحة على أن من الناس من كان قادراً على قراءة ما كتب . كما أن هذه الوسائل تدل دلالة قوية على أن الفهارات أو الأديرة البوذية كانت منتشرة بالقرب من الأماكن التى وضعت فيها النقوش حتى يتيسر للربان أن يقرءوها وأن يضيفوا إلى ما احتوته من تعاليم . وإنه لمن الصعوبة بمكان أن نفترض أن سبل التعلم والقراءة والكتابة حتى فى أحط صورها كانت منتشرة بين قبائل آسيا الوسطى .

ولنا لنقرأ فى منشور بهابرا ، وهو موجه إلى طائفة الربان عامة أخبار الانتصار الذى أحرزه « بقانون التقوى » صاحب الجلالة المقدس فى أراضيه وفى كل المناطق المجاورة إلى مسافة ستة آلاف فرسخ ، حيث يقطن الملك اليونانى المسمى أنطياكا (أنطيوخوس الثانى) وإلى الشمال من أنطياكا هذا حيث يقيم الملوك الأربعة المسمون على التوالى طوراماي (بطلميوس) وأنتيجونوس جوناتاس وماجا (ماجاس ملك قورينة) والإسكندر (ملك إبيروس ؟) وجنوباً بمالك الخولا (Cholas) والبانديا (Pandyas) وسيلان كذلك . ثم ما أحرزه أيضاً فى أراضيه بين اليونان (يونان) والكامبوچا (Kambojas) والبتينكا وبين الاندرا والبوليندا . وإن الناس فى كل مكان يتبعون تعاليم صاحب الجلالة المقدس فى قانون التقوى » . ويبدو من ظاهر هذا القول أن النشاط التبشيري انتشر فى طول العالم اليونانى

(١) انظر الملاحظات (٧)

وعرضه ، وهذا لا يعنى بالضرورة أن هؤلاء الأمراء اعتنقوا البوذية ، ولكنه يعنى بوجه عام أنهم أحسنوا وفاد بعثات أسوكا^(١) . أما عن ماجاس أمير قورينة والإسكندر ملك إبيروس فلعلهما كانا قد فارقا الحياة يوم كتب هذا المنشور .

ولإى جانب هذه النقوش ترك أسوكا معابد كهفية ، ومنحوتات صخرية ؛ ولدينا مما يرجع إلى عهده عملات قديمة وتماثيل تصور أشياء مقدسة فى الديانة البوذية منها الفيل الذى حملت به أم بوذا قبل وضعه ، والشجرة التى جاءه نور الهداية تحتها والعجلة التى ترمز إلى تعاليمه والكتيب الجنائزى الذى يرمز إلى الموضع الذى توفى فيه . أما إلى أى حد انتشرت الديانة البوذية فعلاً فى العالم القديم فسألة مستعصية . إن شاهد القبر البوذى الذى عثر عليه فى الإسكندرية ، والنصب الذى وجد فى أكسوم وهو على التحقيق بوذى فى رموزه - لها أهم ما بقى من آثار البوذية . ولكن الإسكندرية وأكسوم كلاهما من موانى التجارة ذات الصلة الوثيقة بالتجارة الهندية . ومن الجائز جداً أن يكون تاجر أو رحالة هندى قد مات فى الإسكندرية أو فى أكسوم ، وهذا ما يفسر وجود هذين الشاهدين . إن مؤرخى سيلان يذكرون أن أسوكا قد حوّل عدداً كبيراً من شعب اليونا أو اليونان إلى البوذية ، وأنه أرسل يونا أى يونانياً اسمه ذاماراكيثا مبشراً إلى أبارانتا على ساحل الجوجيرات (Gujerat) ولا شك أن يونا هنا لا تعنى أكثر من شخص أسيوى كان تحت الحكم اليونانى .

لقد انتهت سنة ١٨٤ أسرة ماوريا فى ماجاذا ، بحسب ما جاء فى المصادر السنسكريتية الحاوية لخرافات الهنود الأولين وتعرف بالپورانية ، عند ما اغتال برهمى متعصب اسمه سُنجا آخر ملوكها پوشيا ميترا (Pushyamitra) ، ثم اغتصب العرش وأخذ يضطهد البوذيين . وكان

من نتيجة هذا الاضطهاد أن صار البوذيون يفضلون الغزاة من اليونان ويرحبون بهم كلما أرسل السلوقيون القوات لاسترداد المناطق التي كانت فيما مضى تابعة لهم في الهند .

ويحتوى التاريخ البوذى السيلاني الذى يعرف باسم ماهاقامسا (Mahavmsa)^(١) والذى يرجع إلى القرن الرابع الميلادى على الأرجح ، على ترجمات لبعض الروايات الهندية القديمة ، ويتحدث عن ثيرو (thero) أى رئيس دير يونا البوذى الذى جمع حوله ثلاثين ألف ناسك في المنطقة المجاورة حول ألساندا عاصمة إقليم يونا . ومن خطل رأى أن نظن أن ألساندا تعنى الإسكندرية في مصر ، وأن ثلاثين ألف راهب بوذى كانوا هناك . إن الماهافامسا تصور اجتماع الناسك هذا منعقداً بالقرب من نبع الماهاثوپو (Mahathupo) « أو النصب الكبير » في روساويلي (Rusawelli) على يد الملك دوتثاجاميني (Duttha-gamini) في سنة ١٥٧ ق . م . ويضيف هذا التاريخ تفصيلات ذات طابع خرافي عن حجارة انتقلت بنفسها من مكان إلى مكان ، وعن أعمال أتاها الجن (dewos) مما لا يمكن أن يقوم على أساس من التاريخ الصحيح . أما هذا الثيرو أى رئيس الدير فهو نفسه ذاماراكيثو (Dhammarakkito) البوذى اليوناني الذى أوفد فيما يقال ليعظ في جوجيرات . وثمة إسكندريات عديدة كان بعضها في بلخ والصغد وجاندرا وكلها أقاليم كانت تحت الحكم اليوناني إلى حوالى عام ١٣٠ ق . م ؛ فن الطبيعى إذن أن يعدها المؤرخون الهنود يوفانا أى « أرض اليونان » . والإسكندرية المقصودة في الماهافامسا قد تكون الإسكندرية « أسفل القوقاز » وهى التي تسمى « سيدة الجبال » التي ورد ذكرها في قصة الإسكندر . فقد كانت في مقاطعة أوبيان (Opiane) وأسسها الإسكندر في زحفه إلى الشمال

(١) الماهافامسا : ترجمة تورنور (Turnour) صفحة ١٧١ .

على الطريق المؤدى من سيستان (Seistan) (أفغانستان) إلى كابل في مسيره إلى الهندكوش « في سفح الجبل »^(١) (in radicibus montis) ويعتقد المؤرخ الحديث تارن (Tarn) مستنداً إلى حجج قوية أن هذه الإسكندرية كانت تؤلف مع كاپيسا (Kapisa) مدينة واحدة مزدوجة . ولا غرابة في ذلك في آسيا ، وكان نصفها اليوناني الخالص وهو الإسكندرية يقع على الشاطئ الغربى من نهر بانجشير غربانده (Panjshir-Ghorband) . أما مكانها بالضبط فغير معروف لأن هذه المنطقة لم تكن مجال حفريات إلى الآن ، وهذه منطقة انتشرت فيها البوذية في عهد أسوكا . وظلت بوذية بصفة غالبية لمدة طويلة . وهناك من أعمال النحت تماثيل بوذية عظمى في باميان (Bamyan) بالقرب من هذه المنطقة .

إن الحجة الكبرى التي تنهض ضد النشاط البوذي في العالم اليوناني هي أن المعلومات التي ترد فيما يمكن أن يكون إشارة إلى البوذية في كتابات اليونان والرومان ناقصة مبتورة ، فيما عدا تلك القلة التي زارت الهند من أمثال ميجاستينيس الذى كان سفيراً للسلوقيين في بلاط ما جازا من سنة ٣٠١ إلى ٢٩٧ ق . م أو قابلت رسلاً وسفراء قدموا إلى الغرب ، ولكننا لا نعرف من نصبايف ميجاستينيس إلا ما اقتبس منه كلمنت السكندرى واسترابون . ويذكر استرابون الكهنة الهنود المعروفين باسم سارماناس Σαρμάνας ولعلها تحريف لكلمة سراماناس (Sramanas) البوذية^(٢) . أما كلمنت السكندرى فيشير إلى السارماناين البلخيين Σαρμαναῖοι Βαλκῆων وهم بلا ريب كهنة بلخ أو نساكها البوذيون ، وهو يشير أيضاً إلى طائفتين من الصوفيين العراة يعرفون باسم سارماناى ، وبراخماناى^(٣) Σαρμᾶναι & Βραχμᾶναι

(١) كيرتيوس (Curtius) الكتاب السابع ، الفصل الثالث ، الفقرة الثالثة بعد العشرين .

(٢) استرابون . الكتاب ١٥ ، ١٠ ، ٥٩ .

(٣) كلمنت السكندرى « الكشكول » ١ ، ١٥ .

وهو في هذا الصدد يقتبس من ميجاستنيس ، والاسم الأخير برانخاني
يعنى ولا شك البراهمة ، أما الأول فيعنى فيما يبدو السارماناس البوذيين . وهو
أحياناً يقتبس من بعض المصادر المجهولة فهو مثلاً يعتمد على مصدر غير
معروف لنا في قوله : « من الهنود من يؤمن بتعاليم بوذا (Bōttrā) لقرط
قداسته وينظرون إليه كأنه إله » (ويستعمل نحو (εἰς) بدلاً من (ὅς)
= كأن^(١) . ولكن كلمت لم يوفق إلى إدراك أن عباد بوذا هؤلاء هم أنفسهم
السارمانايوى Σαρμαναῖοι أو السارماناس Σαρμανάσ الذين سبق ذكرهم .
وهو يتحدث في موضع آخر عن بعض نساك الهند الذين يعرفون بالقدسين
(Σεινοί) ولا يعدون ضمن الصوفيين العراة ولهم منشآت مقدسة على شكل
الأهرام^(٢) . وهؤلاء ولا شك كانوا بوذيين . إن ما لاحظته ميجاستنيس من
أن بعض الهنود كانوا يرفعون بوذا إلى مرتبة الآلهة ، ملاحظة لها طرافتها
لأنها ترينا أن البوذية في عهده كانت قد تجاوزت فعلاً طورها البدائي
الذي كان بوذا فيه يعتبر مجرد معلم ديني ، وأنها كانت في هذا الحين
تنقل إلى طورها الثاني الذي أُلِّه فيه بوذا . ويعزى تأليه بوذا عادة إلى
انتشار مذهب براكتي أو التفاني في الإله . وهو مذهب نشأ أولاً في ديانة
براجافاتا (Brahavata) التي توغلت في البوذية حوالي سنة ١٠٠ ق . م
وهي التي أدت إلى تصوير بوذا في صورة إنسانية . وهذه الصور الأولى
كانت شديدة التأثير بالفن اليوناني خصوصاً فيما يتعلق بالتفاصيل في
الأردية والملابس .

وقد ساق الكاتب السرياني ابن ديصان وصفاً للبوذية مستقيماً معلوماته
من مبعوثي الهند الذين كانوا يمرون بسوريا في طريقهم إلى لقاء هاليجبالوس

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ، ٣ ، ٧ .

أو بعض الأباطرة الأخر . ولا يشير فيما ساق من وصف إلى البوذية بالاسم ولكن الحديث يدور على السارمانيين Σαρμανῖοι ، وقد اقتبس فورفوريوس من هذا الوصف^(١) كما اقتبس منه استوبايوس^(٢) (Stobaeus) .

وكان بين أعضاء الوفد الذي أرسله أحد ملوك پانديا (Pandya) إلى أغسطس حوالى سنة ١٣ م . هندي متعصب حرق نفسه حياً فى أثينا ، وقد أثار هذا الحادث ضجة كبرى . وقد وصفه نيقولا (وس) (الدمشقي) الذى قابل الوفد فى أنطاكية ، واقتبس استرابون من هذا الوصف^(٣) كما اقتبس منه ديوكاسيوس^(٤) (Dio Cassius) ، وكان قبر هذا الهندي المتعصب لا يزال قائماً فى عهد پلوتارخوس وكان عليه النقش التالى :

سارمانوخيجاس ، هندي من بارجوسيس

ΣΑΡΜΑΝΟΧΗΓΑΣ ἸΝΔΟΣ ΑΠΟ ΒΑΡΓΟΣΗΣ

وعسى أن تكون الكلمة الأولى الصورة اليونانية من كلمة سرامانوكايرجا (Sramanokarja) أو « معلم التساك » وهى تعنى واحداً من أصحاب الرتب العليا بين الكهنة البوذيين ، ولعل كلمة بارجوسيس تعنى مدينة باريجازا (Barygaza) على الساحل الهندي .

إن هذه المعلومات الضئيلة المتفرقة تجمل ما يمكننا أن نقف عليه من السفارات الهندية إلى الإمبراطورية الرومانية أو من روايات الرحالة وهى لا تتم عما عساه أن يكون أثراً للدعاية البوذية فى العالم اليونانى الرومانى ، وهذا بالإضافة إلى ما التزمه مؤرخو سيلان من صمت بالنسبة للدعاية البوذية يعتبر دليلاً قاطعاً . إن الجزم بأن بعثات بوذية نشطة قد وجدت طريقها إلى مصر ، مبنى على افتراض أن حياة التنسك المسيحية

(١) فى الزهد والحرمان (De abstinentia) ١٧ ، ٤ .

(٢) المسائل الكنسية ٣ ، ٥٦ ، ١٤١ .

(٣) استرابون الكتاب السادس عشر ١ ، ٧٣ ، ٢٧٠ .

(٤) ديوكاسيوس ٩ ، ٥٤ .

التي ظهرت في مصر كانت بالضرورة من أصل بوذى . ولكن لا دليل على هذا الفرض . فقد كانت الرهينة المصرية مستقلة النشأة ويمكن تتبع أصولها في شيء من اليقين . وكانت مدارس الفلسفة المتأخرة في الإسكندرية تحرص على الإشارة إلى نساك الهنود . ولكن ليس في هذه المدارس ما ينم عن معرفة وثيقة بهم . ويبقى بعد ذلك احتمال أن يكون في تعاليم الفرق الغنوسية التي نشأت في ما بين النهرين ما يدل على أثر بوذى . هذا القول فيما يبدو محتمل ، ولكن ليس بعد ثمة دليل قاطع على رجحانه .

٣ - بلخ البوذية :

لقد ازدادت معارف الرومان تأكيداً من ظاهرة الرياح الموسمية حوالى عام ٤٥ م . ونتج عن ذلك أن توثقت العلاقات بين العالم الغربى وساحل الهند وخصوصاً الهند الشمالية الغربية التي كانت تحكمها يومئذ دولة الكوشان الفنية الموطدة الأركان : وكان من نتيجة استتباب الحكم فيها أن صارت موانئ الكوشان أسواقاً للتجارة مع الإمبراطورية الرومانية . وتدفقت عن طريقها ثروات طائلة على العالم الهندى ولم يقتصر ما استفادته الهند على الناحية الاقتصادية ، بل استفادت من الناحية الثقافية كذلك باتصالها بالغرب ، كما يتجلى من تأثير الفكر اليونانى على الفلسفة الهندية . فقواعد القياس المنطقى كلها على نحو ما أتى بها كاراكي - سامهيتا (Carake samhita) (حوالى ٧٨ م) واكسويادا (Aksopada) (حوالى ١٥٠ م) مستقاة كلها من أرسطو^(١) .

! كانت كوشان دولة ترفل في حلل الثراء والرخاء عندما اعتلى عرشها

(١) انظر . م . م . ساتيس قندرا فيديا بهوسانا (M.M. Satish Chandra Videya)

bhusana) في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، سنة ١٩١٨ صفحة ٤٦٩ .

ملكها الثالث كانيشكا سنة ١٢٣م، وكان كانيشكا هذا محارباً عظيماً قهر كشمير وأقام عاصمته في پوروشابورا (Purushapura) (بشاور). واعتنق الديانة البوذية، وتحين الفرص لنشر تعاليمها في أرجاء مملكته التي شملت جزءاً كبيراً من الهند الشمالية الغربية. وبلغت بلخ وكانت تسمى راجاجريها (Rajagriha) الصغرى تحت الحكم الكوشاني، من التقديس مبلغاً لا يفوقها فيه إلا المنطقة التي عاش فيها بوذا وعلم فيها فعلاً. إن بوذا لم ينزل بلخ قط، ولكنها تضم عدداً كبيراً جداً من المعابد أو الهياكل التي تضم أشلاء من جثمانه أو قطعاً من ملابسه. ويرجع إنشاء الكثير من هذه الهياكل إلى الملك أسوكا؛ وتخطيطها العام يدل على تأثرها بالفن اليوناني تأثراً واضحاً. فقد كان في بلاط كانيشكا كثير من المثاليين الذين تعلموا في دولة جانندرا على الحدود، وكانت النماذج اليونانية فيها لا تزال غالبية على الفن المحلي. وقد انتشر الفن اليوناني بعد أن تأقلم في جانندرا في تركستان الصينية ومنها إلى الصين وأخيراً وصل إلى اليابان آخذاً معه شكلاً من أشكال الحفر والزخرفة يتم بوضوح عن الأصل اليوناني^(١).

ويقال إن كانيشكا قد تحمس للبوذية حتى إنه نقل القديس البوذي أسفاغوزا (Asvaghosa) إلى عاصمته. وكان هذا القديس قد تحول عن الديانة الهندوكية واعتنق الدين أو المذهب البوذي الذي تقوم تعاليمه بوجه خاص على عقيدة الخلاص عن طريق الإيمان. وقد عقد البوذيون في عهد كانيشكا مجعاً عاماً آخر انتهى إلى وضع أو تنقيح التفسير المعتمدة على الكتب المقدسة (Pitaka) الثلاث. ونبتت من فرقة سارفاتيفادا (Sarva tivada) عقيدة ماهيانا (Mahyana) التي حلت شيئاً فشيئاً محل العقيدة البوذية القديمة

(١) انظر أ. فوشيه (A. Foucher) «أوائل الفن البوذي» ترجمة ف. و. توماس

التي تسمى هينانا (Hinyana). وهكذا مرت البوذية كسائر الأديان في سلسلة من مراحل التطور. وكان هدف البوذية أن تجد طريق الخلاص من عالم الظواهر والأوهام هذا. وكانت وسيلتها أو اليانا (Yana) كما تقضى تعاليمها القديمة هي التنسك والزهد الذي قد يوفق المرء بمجهود عن طريقه إلى الوصول إلى البوذا: وقد سمي المصلحون الدينيون هذه الوسيلة « هينيانا » أى الوسيلة الصغرى؛ كما أن تعاليمه كانت تقضى بأن المرء يستطيع عن طريق الإيمان أن يحقق الاتحاد مع بوذا وسموا هذه الوسيلة « ماهايانا » أى الوسيلة الكبرى:

ومع أن بعث الديانة الهندوكية قد أدى شيئاً فشيئاً إلى اختفاء البوذية في الهند، فإن البوذية ظلت مدة طويلة وسيلة من وسائل تقوية الصلات الدولية لأنها لم تنقيد بقيود البرهمية الطائفية. وكانت بلخ بوذية تحت حكم الأسرة الكوشانية وكان يقصدها الحجاج الأجانب وبخاصة من الصين وسيلان، ورحل الصينى البوذى فا - هين (Fa-hien) حوالى ٤٠٥ - ٤١٠ م، إلى شمال الهند سعيًا وراء البحث عن نصوص صحيحة للكتب الديرية البوذية وترك لنا وصفاً لرحلاته. وهو يقول إنه كانت فيما بين نهر السند وچومنا (Jumna) سلسلة من الأديرة وآلاف من الرهبان، وكان هذا في عهد قندرا كويتا الثانى من ملوك أسرة كويتا، ويقرر فا - هين أن أهل خوتان (Khotan) كانوا جميعاً بوذيين وأكثرهم على مذهب « ماهايانا ». وكان في پتالى پوترا ديران أحدهما يتبع مذهب هينيانا والآخر ماهايانا.

وكان ثمة اتصال مطرد بعد عهد فا - هين بين الصين وشمال الهند وبلخ، إذ كان الحجاج الصينيون يزورون تلك البلاد الغنية ببقايا بوذا. ولكن هذه الصلة لم تكن مستمرة دون انقطاع إلى عهد توغل المسلمين في فارس، ذلك أنه قد قامت قبل الفتح الإسلامى فيما يبدو حركة بعث للديانة المزدية، وقد انتقلت بعض الأديرة البوذية على الأقل في بلخ من أيدي البوذيين إلى أيدي أتباع زردشت.

ويكتنف الغموض أسرة كويتا في القرن السادس ، وبعده ينتقل مركز الاهتمام إلى ثانيسار (Thanesar) شمال دلهي حيث استطاع راجا اسمه هارشا (Harsha) (٦٠٦ - ٧/٦٤٦) بعد سلسلة من الحروب استمرت خمساً وثلاثين سنة ، أن يكون دولة قوية وطيدة الأركان . ولما كان هذا الملك قد تلقى العلم على أيدي البراهمة والرهبان البوذيين وكان في أول الأمر من أتباع مذهب هينيانا ثم بعد ذلك صار من أتباع مذهب ماهايانا ، فقد ابتدع طرازاً من البوذية منتقى من هذه العناصر كلها وأذاعه في حماس بالغ . وفي هذا الوقت كانت البوذية تفقد نفوذها في وادي نهر الكنج موطنها الأصلي . ولكنها كانت لا تزال قوية في الهند بالرغم من أنها كانت ديانة تدين بها أقلية من الشعب . وكانت كانوج (Kanauj) عاصمة هارشا . وكان الحجاج الصينيون لا يزالون يزورون ماجاذا وبلخ . وكان من هؤلاء الحجاج هيون تسانج (Hiuen-Tsang) الذي كان يبحث عن نسخ صحيحة من الكتب المقدسة البوذية ويفاخر بأنه قد حمل معه إلى موطنه الصين مائة وخمسين أثراً من آثار بوذا من جسمه أو ملابسه . وقد ترك وصفاً لرحلاته وللأراضي التي مر بها ، وكان اهتمامه منصرفاً بوجه خاص إلى المسائل المتعلقة بالديانة البوذية . وهو يسمى بلخ پوهو (Po-ho) حيث استقبله الحاكم فيها استقبالا حسناً وأخبره أن البلاد "تسمى" راجا جريها الصغرى « وأن آثارها المقدسة بالغة الكثرة »^(١) . وإلى الغرب من العاصمة كان يوجد دير نوباهار العظيم (وفي السنسكريتية نافا پهارا) أي الدير الجديد . وكان رئيس هذا الدير ، وهي وظيفة وراثية ، يلقب بالبرمك . ومن هؤلاء انحدرت أسرة البرامكة التي بلغت شأواً بعيداً في عهد العباسيين الأول : وتوهم الناس في العصر الإسلامي أن دير نوباهار كان مزدياً ، ولكن ابن الفقيه^(٢) يصف المعبد الكبير فيه بأنه

(١) القديس جوليان تاريخ حياة . . . صفحة ٦٤ .

(٢) طبعة دى غوية صفحة ٣٢٢ .

وقف على الأوثان وأن الحجاج يقصدونه من الهند وكابل والصين . فلو أنه كان مزدياً لما كانت فيه أوثان ولا قصده حجاج من بلدان لم تكن عبادة النار معروفة فيها . ومهما يكن من شيء فإن ما تركه زواره الصينيون من وصف له لا يدع مجالاً للشك في طبيعته البوذية . ولا شك أن الدير تحول إلى معبد للنار خلال حركة بعث الديانة المزدية التي سبقت الفتح الإسلامى . وتربط الروايات المأثورة بين خراسان وبين ظهور ديانة زرادشت في عهد الكمينيين ، والأرجح أن المزدية كانت تميل إلى اعتبار بلخ والصغد مقدستين بالنسبة لهذه الصلة .

وثمة رحالة صيني نابه آخر هو إى - تسنج (I-tsing) حج إلى هناك بين سنة ٦٧١ - ٦٩٥ م ، وانخرط في سلك رهبان دير نالاندا (Nalanda) مدة أحد عشر عاماً من ٦٧٥ - ٦٨٥ . وكلما فقدت البوذية سيطرتها على الهند كلما ازداد طابعها الدولى ، وقد اكتسبت أهميتها لما هيأته من أسباب قيام الصلات المنتظمة بين الشرق الأقصى ووسط آسيا ؛ إذ ربطت بين الصين وماجاذا وبلخ بروابط ومصالح دينية ، وعلى هذا النحو فقد ربطتها آخر المطاف بالعالم اليونانى . وفى تتبعنا للدور الذى قامت به البوذية لم نول التبت أى عناية بالرغم مما يقال من أن الملك سرونج بان جامبو (Srong-Ban Gampo) مؤسس اللاهاسا (Lhasa) هو الذى أدخل البوذية بلاد التبت فيما بين سنة ٦٢٩ ، ٦٥٠ ، لأن بوذية بلاد التبت ترجع في نشأتها في الحق إلى رهبان ماجاذا الذين ظلوا يباشرون نشاطهم التبشيري في التبت حتى القرن الحادى عشر .

وبالنظر إلى العنصر البوذى الواضح تمام الوضوح في شرق فارس ، يتعين الإشارة إلى باميان (Bamiyan) وهى المدينة الكبرى في شرق الغر (Ghur) جنوبى بلخ وكان فيها مركز بوذى هام . وفى القرن الثالث عشر يصف ياقوت صنمين كبيرين لبوذا في هذه المدينة ويقعان في بهو واسع

محفور في جانب الجبل وهما صهنا يعرفان باسم سشق بد أى بوذا الأحمر وخنج بد أى بوذا الأشهب وكانا قائمين في أيامه . وذكرهما القزويني كذلك . وقد دمر چنكيزخان مدينة باميان هذه .

ويبدو من المحقق أن البوذية ساعدت على قيام الصلات بين العالم اليوناني الروماني وبخاصة الإسكندرية وبين أجزاء من الهند داخل إمبراطورية چوينا وبخاصة في پتالى پوترا ، حيث تتم العلوم الهندية عن أثر واضح لليونان .

٤ - إبراهيم بن أدهم

إن سيرة الولي أبي اسحق إبراهيم بن أدهم المتوفى بين ٧٧٦ و ٧٨٣ تضيف فصلاً طريفاً إلى تاريخ تأثير البوذية على الإسلام . كان هذا الولي ناسكاً مشهوراً من طراز لم يكن شائعاً في صدر الإسلام . وقد مات في حملة بحرية ضد القسطنطينية ، ويمكن اعتبار هذا حقيقة تاريخية ولكن الأمر الذى تشويه شوائب ولا يقبله العقل هو تفصيلات ماسلف من حياته . فيقال إنه كان أميراً فى بلخ وأنه تحول إلى عبادة الله حينما كان منهمكاً فى الصيد ، فترك من فوره كل أمجاد العالم ونزل عن ممتلكاته كلها تلبية للنداء الإلهى . ولكن البحث الدقيق فى سيرته هذه يدلنا على أنها صورة إسلامية من حياة جواتاما بوذا . ويبدو أننا لا نجاوز المعقول إذا افترضنا أن سيرة جواتاما بوذا قد وقعت فى أيدي المسلمين عن طريق مرو حيث كان النفوذ البوذى قوياً فيها . ولعل هذه السيرة قد نقلت إلى الدوائر الإسلامية إبان الفترة الأولى من الدولة العباسية .

الفصل العاشر

الحلافة في دمشق

١ - فتح سوريا

إن نظرة إلى خريطة التضاريس الطبيعية لغرب آسيا وشمال شرق أفريقيا ترينا وادي نهرين كبيرين ، أحدهما وادي دجلة والفرات والآخر وادي النيل ، وبينهما بطحاء يشقها البحر الأحمر فجاءة . وترجع هذه التضاريس إلى عوامل جغرافية لا تعيننا الآن من قريب . فلن تاريخنا يبدأ بعد أن تَكُونُ فعلا الواديان وبعد أن فصلت بينهما مساحة واسعة من البطاح المرتفعة القاحلة ، وقد كان هذان الواديان موطن حضارتين بدائيتين ، ولم يتقرر بعد أيهما كانت السابقة وأيهما اللاحقة . والنهران في كلتا الحالتين يفيضان ويطفوان على ما يحف بهما من بلاد كل سنة بانتظام . فنشأت فيهما الحضارة الخاصة بوديان الأنهار وهي تقوم على ضبط هذين الفيضانين المنتظمين بطرق مبتكرة ، وعلى تجفيف البرك وتصريف المياه بحيث تخصب الحقول . والمعروف أن الأرض في المجتمع البدائي كانت شائعة الملكية ، وكان لكل فرد من أفراد القبيلة نصيب فيها . ولكنه لم يكن صاحب ملكية دائمة في أى قسم معين منها . ولسنا على ثقة بأن هذا كان صحيحاً على الإطلاق : ولعله لا ينطبق إلا على القبائل الرحل . ولكن في حضارة وديان الأنهار التي قامت فيما بين النهرين ومصر كان إنتاج كل حقل يعتمد إلى حد كبير على المجهود الإنسانى الذى يبذل في رباها وصرفها مما دعا إلى قيام الملكية الفردية في تاريخ متقدم . وأصبح الناس يعرفون حياة الاستقرار . وبقيت القبائل في البطاح الفاصلة بين وادي النهرين في حالة من البداوة لا تعرف بحقوق

الملكية الفردية ، فكانت من جميع الوجوه في مرتبة من التطور الاجتماعى أحط بكثير من حالة السكان المستقرين فى الوادين . وكانت حياة هؤلاء الرجل خشنة صارمة ، وكانت ولا تزال بوجه عام على شفا المسغبة . فكان الإغراء لهؤلاء الرجل بالإغارة على المحلات الحصنة المنتجة مستمراً . وكلما زاد عددهم حتى إذا لم يستطيعوا أن يجدوا فى موارد البطاح القاحلة الضئيلة سداً لرمقهم ، مالوا إلى الانسياق فى الوديان . وهكذا وجدت الممالك الآشورية والبابلية والمصرية طوال التاريخ القديم فى جيرانهم الرجل خطراً متصلاً . فكان لا بد لهم من العمل على صيانة حدودهم . والمقصود بالحدود هنا المستوى الدقيق الذى لا يتيسر عنده رفع الماء من الأنهار لرى الأرض وإخصابها . وكلما ضعفت القوة الحربية ولم تعد كافية لصيانة الحدود وحماية البلاد المستقرة من غارات العدو ، أغار الأعراب على البلاد ، ثم استقروا فى المناطق الغنية المنتجة ، فيجنون ما زرعه الآخرون بمجهودهم الخاص . وكثيراً ما كانوا يُخضعون الشعب غير المحارب الذى كان قد استقر فى البلاد ، وأحياناً كانوا يسرقونه .

إن واحدة من هذه الغزوات وما يتلوها أحياناً من استقرار قد حدثت قرب أواخر القرن السابع الميلادى عندما كان الغزاة العرب متحدين فى أخوة دينية مبنية على الدين الذى جاء به النبی محمد . ولا يبدو أنه كان عند النبی محمد نفسه أى مشروع للفتح والغزو الخارجى ، ولكن الفتوحات تتعاقب لأن سكان البلاد المفتوحة كانت قد أنهكتهم الحروب الطويلة ومزقتهم الاختلافات الداخلية ، وأثارتهم الحكومات الغاشمة . ولو أن جانباً من هذه القسوة كان نتيجة محتومة لظروف الحرب . ويبدو أن ما أصابته حملات العرب من نجاح قد أذهل العرب أنفسهم ، وشجعهم على القيام باحتلال البلاد التى فتحوها بصفة دائمة . ولم يكن للعرب أقل رغبة فى فلاحه الأرض أو الاستقرار فيها لمزاولة الأعمال الزراعية . وكان همهم أن

يحتلوا البلاد احتلالاً عسكرياً وأن يعيشوا على ثمار مجهودات سكان البلاد المفتوحة^(١). وقد كانوا متأثرين في ذلك ولا شك بسابقة للعرب الذين رابطوا على طول الحدود الفارسية والرومانية ، فقد كان من الجلي أنه من غير الممكن لإجلاء القبائل العربية عن هذه الحدود كلها ، فحاولت كل من الدولتين الفارسية والرومانية حلاً واحداً ، وهو السماح لرجال القبائل بالاستقرار على الحدود ، وصرف الإعانات لهم على أن ينودوا عن الحدود من هجمات سائر الأعراب الذين يحاولون الإغارة على الأراضي الفارسية أو الرومانية . وكان العرب الذين استقروا على الحدود ، وبذلت لهم المساعدات ، محسودين أشد الحسد من بدو الصحراء الرحل الجلياع . وبذلت لهم معيشتهم هذه كأنها هي المعيشة المثالية ؛ فلما غزوا الولايات الشرقية من الإمبراطورية الرومانية واجتاحوا مملكة فارس ، كان هدفهم أن يحيا حياة مثل هذه الحياة ، وأن يشتغلوا بالصيد وما يعرض من حروب بين حين وآخر وأن يعيشوا على الجزية التي تدفعها لهم الشعوب المقهورة . هذا ولم تكن الشعوب المقهورة تضيق بالعمل ودفع الجزية ، ما دام السلاح سينزع عنها فتعفى من الخدمة العسكرية وهي الخدمة التي كانت تمقتها أشد المقت .

والمسألة التي تثير الجدل هي : هل أراد النبي أن يكون الإسلام ديناً عالمياً أم أن يكون ديناً للعرب وحدهم ؛ وقد جاء في القرآن (٣٤ ، ٢٧) « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً^(٢) » . ولكن السياق يدل

(١) اتخذ المؤلف هذا الرأي معتمداً على ظواهر الأمور ، والحقيقة هي أن العرب عندما غزوا هذه الأقطار لم يكن لهم بغية غير تأمين الوحدة العربية التي جاءت مع الإسلام . ومن ثم كان العرب عماد الشئون العسكرية والحربية دون غيرهم . ونجم عن ذلك أنهم قصروا الجندية وما إليها من شئون الحرب على أنفسهم . ومعنى ذلك أن العرب تفرغوا لشئون الدفاع ورد الغزو والغزاة وتأديب المتمردين دون الاشتغال بالزراعة والصناعة . (المراجع)

(٢) سورة سبأ ، آية ٢٨ . (المراجع)

على أن النبي ينذر الناس بقرب نهاية العالم ، وأن الإنذار في نفسه علامة على اقتراب الساعة ، وعلى هذا النحو ورد الحديث^(١) فلا بد للعرب كافة أن يؤمنوا برسالة محمد إذا أرادوا النجاة من نار جهنم^(٢) ، ولكنه لا ينص على أنه لا بد لغير العرب من التصديق ، ولو أن من يجعلون لله أنداداً أي المشركين ، مصيرهم جهنم على كل حال : ويبدو أن القرآن يضمر لغير العرب الفتح لا التحول إلى الإسلام^(٣) (قرآن ٩ ، ١٩ - ٢٣) . وقد جاء في بعض آيات القرآن « ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم ، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ، ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين » (١٨ ، ٩١)^(٤) وجاء في موضع آخر « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » (٢، ١٣٧)^(٥) . ولكن هذه الآيات لا تصل إلى مرتبة الأمر الصريح بالتبشير والانطلاق بالدعوة للإسلام بين شعوب الأرض قاطبة .

وفي أواخر سني دعوته دعا النبي العرب أجمعين إلى الإسلام ، وحاول

(١) صحيح البخارى ١ ، ٩٣ ، وصحيح مسلم ١ ، ٥٣ ، ٥٥ .

(٢) صحيح مسلم ١ ، ٥٤ .

(٣) انساق المؤلف وراء أهوائه الدينية (odium theologicum) - وجره التعصب إلى مثل هذا التخريج الذى يتنافى مع الحقيقة ، وليس هناك من شك على الإطلاق في أن النبي محمداً قد أرسله الله للناس كافة نذيراً وبشيراً . ولم تكن رسالته مقصورة على العرب وحدهم ، وإنما كانت لكافة الناس من عرب وعجم ، كما تنص على ذلك الآية المقتبسة بالإضافة إلى آيات أخرى وردت في القرآن بهذا المعنى . أما التخريج الذى أورده المؤلف وهو الخاص بالإنذار بقرب الساعة وحث العرب على الإيمان قبل أن تدهمهم الساعة ويحل بهم العذاب ، فلا ينصب على العرب وحدهم . (المراجع)

(٤) هذا الاستشهاد من سورة النحل (٨٨) وليس من سورة الكهف كما جاء في المتن (١٨) ٩١ . (المراجع)

(٥) سورة البقرة (٢) ، آية ١٤٣ . (المراجع)

أن يؤلف بين القبائل ويجمع كلمتهم في حلف واحد^(١) « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »^(٢) . (القرآن ٢ ، ١٩٣) « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » (القرآن ٢ ، ١٩٠) « وقاتلوهم حيث ثقتهموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » (القرآن ٢ ، ١٩١) « فإذا اتسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ، وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون . كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين » (القرآن سورة التوبة ٩ ، ٥ - ٧) وقد كانت كل هذه الأوامر إعداداً لإخضاع بلاد العرب وتوحيدها . وإن أحسن ما يفسر هذه الآيات هو سلوك محمد نفسه ، فقد بذل الجهد ليدخل العرب كلهم في حظيرة الدين . ولو أنه كان يتسامح مع أهل الكتاب أى النصارى واليهود . وقد كانت سياسة الخلفاء الراشدين مؤيدة لموقفه هذا ، وهم صحابة النبي المقربون الذين أخذوا عنه ووقفوا على وجهة نظره أكثر من سائر الناس . فقد أصر هؤلاء فترة من الزمان على أن ينتسب كل من دخل الإسلام إلى قبيلة من القبائل العربية . وينبغي أن نقيم وزناً كبيراً لما أبداه شيوخ المسلمين من التردد الواضح في الانتشار

(١) والمسلمون عند الفتح لم يوصلوا باب التحول إلى الإسلام أمام الراغبين في ذلك من أفراد الشعوب المغلوبة . فلو أن القرآن كان يفسر شيئاً مما زعمه المؤلف لكان أولى بفهمه وتطبيقه الخلفاء الراشدون بصفة خاصة وإلا فما معنى تخيير الشعوب المغلوبة بين الإسلام أو الجزية أو السيف . (المراجع)

(٢) كان تكليف النبي بالدعوة العامة للإسلام منذ بداية الرسالة . والاستناد إلى الآيات الواردة هنا لا يؤيد رأى المؤلف ولا يستقيم مع الحقيقة . إذ أن هذه الآيات نزلت في مناسبات خاصة . (المراجع) .

في العالم خارج الجزيرة العربية ، حتى لا تطفئ جمهرة الأجانب الداخلين في الدين على العنصر العربي الأصيل ، فيغيرون بنفوذهم من طبيعة الدين وطرق معيشة العرب ، وهي مخاوف أثبتت الحوادث اللاحقة أنهم كانوا محقين في استشعارها^(١) .

إن السيرة النبوية المأثورة التي تُعزى إلى ابن اسحق والتي نعرفها في صورة منقحة أخرجها ابن هشام ، تقول إن النبي أرسل الرسائل إلى الملوك الأجانب وهم ملك الفرس وإمبراطور الروم وغيرهما يدعوهم إلى الإسلام . ولكن هذه السيرة قد وضعت في صورتها الأولى بعد قرن من حياة النبي ، وتحتوى على قدر كبير من المعلومات التي لا تركز على أساس تاريخي^(٢) .

ولا شك أن النبي أراد أن يضم العرب جميعاً ليجمع بينهم في أخوة الإسلام . وكان هؤلاء العرب هم سكان بلاد العرب ، لا مجرد بلاد العرب بحددها الصناعى الذى تصور به في الخرائط ، وإنما كل البطاح الصحراوية في آسيا الغربية التي تمتد في شكل لسان في داخل سوريا . وكان يوجد في هذه المنطقة الشمالية بين المملكتين العظيمتين — مملكة فارس وپارثيا من ناحية ودولة الروم من ناحية أخرى — طائفتان من قبائل الحدود التي تُعِينُها

.. (١) لعل المؤلف يعنى بإشارته هذه ما ارتآه عمر بن الخطاب من حصر كبار الصحابة والتابعين في دائرة مكة والمدينة وتحريم انتشارهم في الأقاليم المفتوحة خوفاً عليهم من المادية وتأثر آرائهم بها . فلما زال هذا الخطر في عهد عثمان بن عفان ، أخذ شيوخ المسلمين من الصحابة والتابعين في الانتشار . على أن إقدام الخلفاء الراشدين جميعاً على مواصلة الفتوح وإرسالهم الجيوش بقيادة كبار الصحابة ينقض رأى المؤلف . (المراجع)

(٢) إن السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحق تاريخية رغم زعم المؤلف ، إذ أنها تقوم على أساس صحيح من الرواية المصححة ، شأنها في ذلك شأن مجموعات الحديث كالبخارى ومسلم وغيرهما . والواقع أن موضوع هذه الرسائل من المسائل الثابتة التي لم يتشكك فيها فيما نعلم . إلا هذا المؤلف . (المراجع)

الدولتان وتحظى بقدر من الإستقرار والتحضر إلى حدٍ ما . وكان النبي شديد الحرص على أن يحتدب قبائل الحدود هذه إلى أخوة الإسلام . وقد كان العرب الذين يقيمون على الحدود الفارسية يحقدون على فارس ويكونون لها ضغائن فاعتنقوا الإسلام ، وشايعوا المسلمين . ولكن ما إن مات النبي حتى نكثوا العهد . وقد أرسل النبي رسولا إلى عرب سوريا ليدعوهم إلى الإسلام ، حتى يضم هؤلاء العرب إلى زمرة المسلمين ، ولكن هذا الرسول قتل في بصرى (Bosra) فكان قتله جريمة تتنافى والتقاليد العربية التي تمنح شخص السفير طابعا قدسيا . ولذلك فقد أنفذ جيشا تحت إمرة زيد ليثأر لهذه الجريمة . ولكن عرب الحدود وقد كانوا في خدمة الرومان حصلوا على مدد من الكتائب الرومانية وهزموا العرب . ولم يتيسر للمسلمين أن يقوموا بأى خطوة أخرى في سبيل تأديبهم لأنهم كانوا مشغولين في مكان آخر . ولكن في عام ٦٣٢ جهز الجيش وأعدت العدة لغزو سوريا ، ولكن النبي مات والحملة على أهبة المسير . ثم اختير أبو بكر الصديق خليفة فأمر الجيش بالمسير وعاد الجيش بعد أربعين يوماً محملاً بالغنائم ، ولم تكن هناك صعوبة في تجييش قوات جديدة . وقد غزت هذه القوات سوريا سنة ٦٣٤ ولاقت مقاومة طفيفة من القوات المحلية السيئة التدريب . ولم يتبادر إلى ذهن أحد إلى ذلك الحين أن العرب كانوا مقدمين على شيء أكثر من غاراتهم العادية ، ولم يدر بخلد العرب أنفسهم فيما يبدو أنهم قد قاموا بشيء أكثر من ذلك (١) .

ومن المؤكد أن هؤلاء العرب لم يكونوا متعصبين ، هدفهم فرض

(١) لاشك أن العرب كانوا يعلمون علم اليقين أنهم يخرجون لأداء مهمة مقدسة ، يجاهدون بها في سبيل الله ونشر دينه الخفيف ، بل ويستشهدون لهذه الغاية الشريفة . وما ندرى معنى لقول المؤلف أنهم لم يحلوا إلا جيوشاً محلية لأن دولة الروم حشدت لهم كل إمكانياتها . (المراجع)

دينهم على المغلوبين الذين آثروا لهم أن يكسحوا كما كانوا ، فيعيشوا هم على ثمار مجهوداتهم . وهذا هو النظام الذى تقرر فى « عهد عمر للنصارى » وهو ليس إلا وثيقة زائفة وضعت فى عهد متأخر ، ولكنها تشير فى خطوط عامة إلى ما كانت عليه سياسة العرب الأول . إن الصورة التى يرسمها بعض الكتاب أحياناً لجحافل من الأعراب المتعصبين ، المندفعين والسيوف فى يمينهم والقرآن فى يسراهم ، يخبرون الناس بين اعتناق الإسلام أو القتل ، هى صورة شديدة البعد عن الواقع . فإن العربى الحصيف لا يميل إلى التعصب : لقد كان بين المسلمين الكثيرون من المتعصبين ولكنهم لم يكونوا عرباً بل كانوا ممن دخلوا فى الإسلام من الأجناس الأخرى واعتنقوه فى عصر متأخر . إن العرب لم يضطروا أهل البلاد المفتوحة إلى اعتناق الإسلام ، بل تركوا الشعوب المقهورة تدبج دينها وقوانينها وعاداتها وتتكلم لغاتها . وفرضوا عليهم دفع الجزية ، وكان المثل الأعلى للعربى أن يعيش فى يسر على ثمار كسبهم^(١) .

وكانت سوريا على أعظم جانب من الأهمية ، لأن الخليفة استقر فى دمشق سنة ٦٦١ مع بلاطه وديوانه ، واستمرت الخلافة فيها أكثر من ثمانين عاماً . ووجد العرب أنفسهم حكاماً على منطقة كانت من قبل ولاية رومانية خاضعة للقانون الرومانى فى أرقى صوره ، ويسود فيها نظام إدارى حسن . وقد أخذ العرب هذا النظام الإدارى بحذافيره . وكان كل من شاء من الموظفين الرومان أن يظل تحت الحكم الرومانى يُمنح جميع التسهيلات للنزوح إلى مابقى

(١) ن سجل على المؤلف هنا اعترافه للعرب بعدم التعصب . والواقع أن العرب كما أسلفنا كانوا من عدم التعصب بحيث يخبرون الناس بين الإسلام وبين بدليله المعروفين ، لارغبة فى العيش على كسب غيرهم ، بل عن سعة فى الصدر ورحابة فى الأفق العقلى ، وإلا فكيف نفسر إقبال كثير من العرب الخالص على عيش الاستقرار والزراعة كدحاً باليد فى الأقاليم التى فتحوها ؟ (المراجع)

في أيدي الرومان من أقاليم ، وقد نزع الكثيرون فعلاً : ولكن كثيرين غيرهم آثروا أن يعيشوا في ظل الحكم العربي ، وقد بلغ نفر من هؤلاء أرفع المناصب في الدولة الإسلامية . وكانت الوثائق الحكومية في السنوات العشرين الأولى على الأقل تدون باللغة اليونانية ، وكانت الوظائف المدنية تكاد تكون قاصرة على المسيحيين . وكان ثمة عدد من القبائل العربية مستقراً على طول الحدود وكانت الحكومة البيزنطية تقدم لهذه القبائل العون والمساعدة باعتبارها حامية للحدود : وكانت هذه القبائل مسيحية . ولما كان هؤلاء قد استقروا واستوطنوا من مدة طويلة فقد أصبحوا أثرياء واعتبروا أنفسهم من الناحية الاجتماعية أرفع شأنًا من الفاتحين المسلمين الذين هم من عرب الصحراء والبدو الجلياع . ولم يلبثوا أن دعموا مركزهم واعترف لهم العرب المسلمون بما ادعوه لأنفسهم من كرم المحدث : وقد تزوج بعض أفراد بني أمية من نساء من هذه القبائل المسيحية ، وسخط المسلمون لهذا التصرف بعض الشيء . وفي عهد الخليفة عبد الملك [بن مروان] (٦٨٥ - ٧٠٥) احتدمت الغيرة في قلوب العرب لأن النصارى كانوا يحتكرون جميع مناصب الإدارة المدنية . وحاول الخليفة أن يستخدم العرب بدلاً منهم ، ولكن المحاولة لم تكن موفقة ، لأن العرب لم يفهموا دقائق الإدارة ولم يكن من محيص من إعادة الموظفين المسيحيين . ولا غرابة في ذلك لأن العادة الشرقية ألا تعمل كشوف الحساب بحيث يفهمها من يطلع عليها من الغرباء ويراجعها ، بل توضع بحيث لا يفهمها أحدٌ ألبتة سوى الموظفين المعيّنين . وهم يقومون بذلك عمداً حتى يستطيع الموظفون المعينون أن يحتفظوا بالوظائف في أيديهم ويضمنوا احتكارها بصفة دائمة . وأقصى ما استطاع عبد الملك أن يحققه هو أن الوثائق الحكومية صارت تكتب بالعربية بدلاً من الرومية ، كما ضرب عملته بالعربية . وقد زار الأسقف أركولف (Arculf) من بلاد الغال الأراضي المقدسة حوالي سنة ٧٠٠ وهو يتحدث بتقدير بالغ لما استقبله به الحكام المسلمون من حفاوة ،

وما أتاحوه له من حرية التنقل ، وما أظهره العرب وحكامهم بوجه عام من موقف ودى . ولقد كانت سوريا ومصر في الواقع إلى عهد الحروب الصليبية بلدين مسيحيين تحت حكم المسلمين العرب . واقتصر الحكم فيهما في الأغلب على جباية الضرائب ، وقام العرب بهذا العبء على خير وجه .

وفي الفترة الأولى من الخلافة الأموية في دمشق كانت النزعة الفاشية هي التهكم بالعادات والتقاليد الإسلامية ، وتتجلى هذه النزعة بوضوح في شعر أبي مالك غياث بن صلت بن طارق الأخطل الذي ولد في الحيرة حوالي سنة ٦٤٠ ومات حوالي سنة ٧١٠ ، وكان ينتمى إلى بني تغلب من قبيلة جلدان ابن بكر . وعاش الأخطل ومات مسيحياً يؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح وهو يشير في شعره إلى القديس سرجيوس والصليب المقدس والرهبان ويقسم بالآيمان المسيحية ، ومع ذلك فالإشارات إلى المسيحية قليلة جداً في ديوانه . وقد رفض الأخطل أن يغير دينه^(١) وهجا أولئك الذين وصفهم بقوله لأنهم اعتنقوا الإسلام بقوة المسغبة لا بقوة الاقتناع^(٢) . وقد ألف القصائد في مدح يزيد بن الخليفة معاوية وفي مدح أخيه عبد الله وغيرهما من أفراد الأسرة الحاكمة . واتخذ عبد الملك شاعر البلاط بصفة رسمية فأشاد به في شعره كما أشاد بأقربائه وهجا أعداءهم . فهو شاعر بلاط بمعنى الكلمة . وفي شعره شواهد على أن عادات عربية وثنية قديمة قد بقيت إلى أيام بني أمية . وفيه أمثلة بيّنة على ما أظهره بنو أمية من تسامح . وكثير من أبياته ينطوى على تهكم قارص بالإسلام ، وهذه الأبيات^(٣) هي التي حالت بين كثيرين

(١) ديوان الأخطل صفحة ١٥٤ .

(٢) ديوان الأخطل صفحة ٣١٥ .

(٣) إن رفض الأخطل اعتناق الإسلام أكبر دليل على تعصبه . وتقريب بعض الخلفاء الأمويين له أكبر دليل على ما لدى المسلمين من تسامح رفيع . ثم إن تعرضه في شعره لأركان الدين نتيجة طبيعية لذلك التعصب الذي ملأ جوانب نفسه حقداً . (المراجع)

من المسلمين وبين الاستمئاع بمزايا شعره وتقدير فضله الشعري كل التقدير ، ومع ذلك فقد كان الأخطل وجريز منافسه زعيمى الشعر بين العرب فى عصرهما . ولا يُخفى الأخطل ازدراءه لمن هجروا دين آبائهم من المسيحيين أو الوثنيين ليكونوا على دين ملوكهم . وأجل ما فى ديوانه مدحه لبنى أمية^(١) . وعلى الرغم من موقفه الساخر نحو الإسلام وتعريضه به ، فإن الخليفة عبد الملك كان يخصه برعايته ، ولكن الوليد بن عبد الملك ، خليفته ، لم يكن شديد الميل له . والأرجح أن الأخطل توفى قبل نهاية حكم الوليد بن عبد الملك . ومع أن ابن عبد ربه يطيل حياته إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، فالأحرى أن نورخ وفاته حوالى ٧١٠ .

لقد كان التهاون فى الحديث عن الدين نغمة شائعة فى بلاط بنى أمية ، ولم تجد هذه النغمة قبولا لدى المسلمين المتزمين ، فكان هذا من أسباب السخط على بنى أمية ، ذلك السخط الذى لم يبرح يشتد حتى أدى إلى سقوط هذه الأسرة . وكانت النزعات القبلية القديمة التى ترجع إلى أيام الجاهلية لا تزال مسيطرة على العرب ، وكان العداء بعيد الغور بين حياة الحضر فى دمشق ومكة والمدينة ، وبين حياة أهل السنة ممن كانوا يعدون أنفسهم مسلمين أولا وقبل كل شئ وعرباً فى المرتبة الثانية ، ولم يشذ عن هذه القاعدة بين خلفاء بنى أمية إلا الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٧١٥) الذى كان حقاً رجلاً تقياً وضع مصالح الإسلام قبل الاعتبارات السياسية والعنصرية . وكان يزيد ابن معاوية (٦٨٠ - ٦٨٣) على النقيض منه ، ولا يزال السنيون يلعنونه على أنه عدو الدين . فهو الذى أرسل الجيش الذى اشترك فى موقعة كربلاء (١٠ أكتوبر سنة ٦٨٠) وكان مسئولاً عن فاجعة مقتل الحسين ، وهو ابن على زوج ابنة النبی ، وهو الذى أنفذ الجيش الذى حاصر مدينة مكة المكرمة وأحرق حرم الكعبة عن غير قصد (نوفمبر سنة ٦٨٣) :

٢ - أسيرة سرجيوس :

كانت دمشق وهى عاصمة سوريا الرسمية ، مدينة نصف يونانية ، ولم تتشرب الثقافة اليونانية تشرباً تاماً مثل مدينة أنطاكية ، وكانت مقر الأساقفة المسيحيين الذين كانوا يلون فى المرتبة بطاركة أنطاكية فى السلك الكهنوتى فى سوريا . وكان بدمشق مدرسة إن لم تبلغ مبلغ مدرسة الإسكندرية أو أنطاكية فقد بلغت شأواً عظيماً إبان الفتح العربى . واحتفظت بسمعتها الطيبة حتى بعد الفتح العربى . وكان بين خريجيها اللاهوتى سوفرونيوس (Sophronius) الذى صار فيما بعد أسقف أورشليم (٦٣٤ - ٦٣٨) وأندراوس الاقريطى (٦٥٠ - ٦٧٠ تقريباً) الذى درس فيها بعد الفتح العربى وصار راهباً فى أورشليم وأصبح أخيراً أسقف أقريطش . ويقول المؤرخون العرب إن المتصرف المالى للحكومة الرومانية فى مدينة دمشق كان سرجيوس (Sergius) (سرجون) الذى وكل إليه أمر الاتفاق على شروط التسليم مع الفاتحين . ومن أجل ذلك يذمه يوطيخيوس وينعته « بالخائن » . ولكن أهل المدينة - وقد تخلت عنهم حكومتهم - لم يكن لهم فى الأمر خيار . والأرجح أن السكان كلهم حسبوا أن الهجوم العربى لا يعدوا أن يكون غارة على نطاق واسع ، وأن العرب لن يلبثوا بعد نهب المدينة أن يعودوا أدراجهم إلى الصحراء . وكانت العادة أن يحكم المدن من مثل دمشق متصرف مالى يُنَاط به جمع الضرائب الإمبراطورية وكان يحمل عادة لقب بطريق (Patricius) الذى كان ينعم به الإمبراطور قسطنطين على كل الموظفين الكبار . وكان الإمبراطور هرقل (Heraclius) قد عين سرجيوس فى هذا المنصب ، ولكن سرجيوس شأنه شأن الكثيرين من الموظفين ظل فى وظيفته بعد الفتح العربى ، عندما كان معاوية والياً على الشام ، وظل فيها أيضاً عندما صار معاوية خليفة

للمسلمين وأخيراً أصبح والى الحراج فى الدولة الإسلامية كلها ، ثم تولى ديوان أقوات الجيش العربى ، ومع ذلك فقد ظل مسيحياً وابتنى بيعة للنصارى بعد أن صار إليه أمر الحراج بزمان طويل . وكان ابنه قيساً على الخزانة فى عهد عبد الملك بن مروان وصار حفيده رئيس الديوان فى عهد بعض الخلفاء المتأخرين . ولم تكن وظيفة الوزير ولا لقب الوزير . قد استحدث بعد .

ويقال إن ثانى أفراد هذه الأسرة اشترى عبداً اسمه كوسماس (Cosmas) وهو راهب ، أسره العرب إبان إغارة على إيطاليا واتخذوه مؤدباً ومربياً لابنه يوحنا . وعندما علّمه كوسماس كل ما عنده استأذن فى أن يرجع إلى الدير ، فلما أذن له ذهب إلى دير القديس سابا بالقرب من أورشليم . وقد كان كاتب سيرة يوحنا هذا هو يوحنا الأورشليمى الذى عاش فى القرن العاشر بعد الحوادث التى أرّخ لها بزمان طويل . وقد أسرف مثل الكثيرين من كتاب السير فى هذا الوقت ، فى الاعتماد على أخبار نعتها الآن حديث خرافة . ومع ذلك فالخطوط الرئيسية فى سيرة يوحنا تبدو صحيحة . فالظاهر أن يوحنا هذا كان ابن سرجيوس وقد عرف فيما بعد باسم القديس يوحنا الدمشقى ابن موظف كبير فى الدولة العربية . وكان متصلاً بالبلاط ويشغل مركز كبير مستشارى الخليفة ولعله الخليفة هشام بن عبد الملك (٧٢٤ - ٧٤٣) . وبعد أن كان فى خدمة الخليفة بضع سنين استأذن فى الاستقالة ، وتبع معلمه إلى دير القديس سابا حيث رسم قساً بعد فترة من الخضوع للنظام الصارم وذلك قبل سنة ٧٣٥ ، وتوفى قبل عام ٧٤٣ . وإليه تنسب المقالة الأولى فى « المجادلة بين المسيحى والمسلم » (Disputatio Christiani et Saraceni) وقد طبعت فى Patrologia Graeca, 1335-1363, XCVI, لصاحبها (Migne) . وتدل هذه المقالة على أن حرية الجدل الدينى كانت مباحة فى دمشق فى القرن الثامن وأنه كان يسمح

للمسيحيين بنقد الدين الرسمي بحرية مطلقة . ويقول النص « إذا قال المسلم كذا . . . فأجبه بكذا . . . » . ويسوق يوحنا البراهين على معرفته الوثيقة بالقرآن واطلاعه على الطقوس والعقائد الإسلامية . وأول من أثبت أن القديس يوحنا هو ابن سرجون بن منصور هو وليم الطرابلسي .

وكان ثيودوروس أبوقارا (Theodorus Abucara) (المتوفى سنة ٨٢٦) تلميذاً للقديس يوحنا . وقد ترك هو الآخر مقالات في المجادلة بين المسيحية والإسلام ، ومن الجلي أنه كان بين الدينين أخذ ورد كثير ولم يكن أحدٌ يشعر بحرج ما من مناقشة الفروق الدينية بصراحة تامة . ولعلنا لا نعدو الحق فيما نذهب إليه من أن هذه الصلات قد جعلت مسلمي دمشق يقفون على المبادئ العامة في اللاهوت المسيحي والفلسفة . وخلال الأجيال التالية بدأت المشاكل والآراء التي أوحى بها الفلسفة اليونانية تختمر وتوثق ثمارها في الفكر الإسلامي .

وأثر الفكر اليوناني إلى جانب هذا في الفقه ، فجاءت نظريات فقهاء المسلمين الأولى مصطبغة بالآراء المستقاة من القانون الروماني الذي ينطوى هو نفسه على عناصر مأخوذة من الفلسفة الرواقية . وعلى هذا النحو انتقلت التعاليم الفلسفية اليونانية إلى العرب عن طريق القانون . وكان القانون الروماني إبان الفتح العربي متداولاً باللغة اليونانية في الولايات الشرقية ، ولم تغيّر الظروف المحلية فيه إلا قليلاً . ولكنه كان يتضمن المبادئ الرواقية التي استقاها مشرعو روما من مصادر يونانية . وأبرز هذه المبادئ الفلسفية القانونية مبدأ أن الإنسان ينطوى على إحساس لدنى بما هو عدل وحق . وهو ما سماه الرواقيون بالقانون الطبيعي . وقد أخذ فقهاء المسلمين الأول بهذه النظرية ، وكان هؤلاء الفقهاء يلجئون إلى الاجتهاد ليكملوا الشرع المكتوب أو ليضيفوا أحياناً إليه كلما ظهرت حالات لم تكن في الحسبان . وينبغي أن نلاحظ هنا أن الشواهد الأولى على هذه النظرية

الرواقية لم تظهر في سوريا حيث كان القانون الروماني مستقراً ، وإنما بانته في العراق وبخاصة في البصرة . ومع ذلك فما لا ريب فيه أن أول اتصال للعرب بالقانون الروماني كان في سوريا ومصر . فقد فتحوا هاتين الولايتين ووجدوا فيهما أنظمة معقدة في ملكية الأرض وحيازتها ، وقانون التعاقد والالتزامات والتشريعات التجارية . وكلها تتناول مسائل لم يكن لبدو الصحراء الرحل أى دراية بها من قبل . فلم يكن لهم في الحق مندوحة من اتباع هذه الأنظمة التي اندمجت في الفقه الإسلامى من بعد . حقاً إن بعض فروع القانون الروماني قد دخلت من قبل في الشريعة اليهودية ، ولعلها قد انتقلت إلى العرب عن طريق اليهود ، ولكن الأرجح أن أكثر المسائل القانونية التي تتناول ملكية الأرض والالتزامات وحقوق الانتفاع (الرهن) والميراث وغيرها ، قد أخذها العرب رأساً من القوانين التي كان معمولاً بها في سوريا ومصر عندما فتح العرب هذين البلدين ، والقانون الروماني هو الذى وجدوه معمولاً به فيهما .

وكذلك الأمر في علم اللاهوت (علم التوحيد) . فإننا نلاحظ أن أولى المسائل التي واجهت المسلمين كانت مسألة قدم القرآن . كانت النظرية التي سادت قديماً تذهب إلى أن القرآن قديم وأنه مساوٍ لله في القدم . وعندئذ ظهرت مشكلة تقول بأنه إذا كان القرآن مساوياً لله في القدم ، فليس الله إذن بالمصدر الأول والخالق الوحيد لكل شيء لأن ذلك يستلزم أن يكون هناك قرآن غير مخلوق يصبح كأنما هو إله آخر إلى جانب الواحد الأحد . وأثارت هذه المشكلة مناقشات حامية . أما فرقة المعتزلة فذهبت إلى أن الله خلق القرآن ، وحيث أن الخالق لا بد أن يسبق المخلوق فالقرآن إذن أقل قدماً من الله . وذهب أهل السنة إلى أن القرآن مساوٍ لله في الأزلية والقدم ، وإن تكن الكلمات التي نزل بها والورق الذى كتب عليه مخلوقات غير أزلية مع الله . وفي آخر الأمر ساد المذهب السنى وانقرض المعتزلة . أما هؤلاء

الذين يسمون أنفسهم بالمعتزلة الآن في الهند فهم محدثون من عصر متأخر ولا صلة لهم بالمعتزلة المتقدمين . والمهم من كل هذا أنه قد استخدمت في المناقشات التي دارت بين المعتزلة من ناحية وبين من تعلقوا بمذهب أهل السنة من ناحية ، نفس الحجج التي استخدمت عندما ثارت الخصومة الأريوسية في الكنيسة المسيحية . وقد ظهر الكثير من هذه الحجج من جديد في كتابات القديس يوحنا الدمشقي . وكان اصطلاح « الكلمة » يستعمل في اللاهوت المسيحي كاسم رمزي للمسيح كما استعمله يوحنا في إنجيله الرابع ، في حين أن المسلمين استعملوا التعبير نفسه ويعنون به الكلمة المكتوبة في القرآن . ولكن الحجج التي يسوقونها هي بوجه عام الحجج عينها التي ساقها المسيحيون من قبل . ومن الصعب ألا يستنتج المرء من هذا أن المشكلة موضوع النقاش قد أوحى بها للمسلمين اللاهوت المسيحي كما جاء في تعاليم يوحنا الدمشقي أو تعاليم غيره .

٢- وثمة مشكلة أخرى ظهرت مبكرة تتعلق بحرية الإرادة . ذلك أنه حيث أن الله قادر على كل شيء ، فكل شيء إذن خاضع لمشيئته وموجه بأمره . وعلى ذلك فليس للإنسان أى حرية . ويقول علم الأخلاق عند اليونان أن الإنسان يكون مسئولاً فقط إذا كان حر الاختيار . ثم إن القرآن يسوق الأوامر والنواهي بأسلوب يفيد أن الإنسان يتمتع بحرية الاختيار . وقد جادل المعتزلة بقولهم إن الله ما دام عادلاً فلن يسأل الناس ويحاسبهم إلا عندما يكونون متمتعين بالحرية في الاختيار ، واختاروا الخطيئة . ومن هنا ، ومن المشكلة السابقة سُمي المعتزلة أنفسهم « أهل التوحيد والعدل » . أما التوحيد فلأنهم لا يعترفون إلا بخالق واحد ومصدر واحد ، ولذلك يقررون أن القرآن مخلوق . وأما العدل فلأنهم يدفعون بأن حرية الإرادة شرط لازم لتحمل المسئولية .

٣- والمشكلة الثالثة تتعلق بصفات الله . فإن الله باعتباره المصدر الوحيد لكل ما هو كائن لا بد أن يكون وحدة غير مركبة ، ومن ثم لم تكن

الله كيوف ولا أعراض . فهو نفسه جوهر والصفات الوحيدة التي يجوز
إضافتها لله هي الصفات السلبية مثل أزل أى لا أول له ولا آخر وأبدى
وكونه مطلقاً ليس له حدود ولا مكان وهكذا . ويبدو أن هذا على
أى حال مناقض للقرآن ، لأن القرآن يصف الله بصفات كيفية معينة .
وقد رأى أهل السنة أن الصفات التي وردت في القرآن يجوز أن يوصف
بها الله ، لأنه وصف بها في القرآن . ولكنها لا تدل على نفس المعنى
لو وصف بها خلقه . وهم لا يعرفون ماذا تعنى هذه الصفات . وهذا
ما نادى به أفلوطين وغيره من فلاسفة الأفلاطونية المحدثة ، ويبدو أن
المشكلة وحلها قد ورثها العرب من الأفلاطونية المحدثة .

وينحى للوهلة الأولى أن وقوع الأثر اليوناني على الفكر العربي كان
في سوريا على الأرجح لأن الصلات بين العرب والمسيحيين قد توشجت
فيها غاية التوشج . ولكن أول آثار هذا النفوذ تتجلى في بلاد ما بين
النهرين في منتصف القرن الثامن . ولعله وقع التأثير اليوناني في أكثر من
مركز واحد ولعله انتشر من منطقة إلى أخرى ، ولا بد أن نقرر أن
الشواهد قليلة على تقدم التفكير الفلسفي أو اللاهوتي بين العرب في سوريا
في عهد « الدولة الأموية » التي أنشأها معاوية . فإن هذه المسائل لم تثر
اهتمام العرب في هذه الفترة فيما يبدو . فقد بدأ التفكير الفلسفي واللاهوتي وبدأ
الاهتمام بالبحث العلمي فيما بين النهرين ، وبخاصة في البصرة ، وعلى نطاق
أضيق في الكوفة . وتقع هاتان المدينتان في المنطقة التي كانت فيها المدينتان
القديمتان : الحيرة وجنديساپور . ومن المحتمل جداً أن يكون تأثير الفكر
اليوناني على العرب بصفة عامة وهو التأثير الذي يرجع إلى ما قام بين
المسلمين والمسيحيين من صلات ، قد وقع قبل أن يبدأ النقل المباشر للعلوم
اليونانية من جنديساپور .

٣ - مدنه العسكرية

لقد انصرف العرب بعد فتوحاتهم الأولى واتصالهم بالجيش الروماني والفارسية إلى تعلم فنون الرومان الحربية . فقد رأوا أن الأمر يتطلب شيئاً أكثر من مجرد الكر والفر الذي كان يغنى في حروب الصحراء . إن الكتائب البيزنطية الإمبراطور ليون تكتيكوس (Leo Tacticus) يتحدث عن العرب فيقول إنهم كانوا يقلدون تنظيمات الجيش الروماني ونظامه بحذافيره . وهذا طبعي ، لأن أكثر العرب نفوذاً في العصر الأموي كانوا عرب الحدود السورية الذين تدربوا كقوات رومانية مساعدة . ولا بد أن نقرر في الوقت نفسه أن الفرس أنفسهم كانوا قد حاولوا تقليد الفنون الحربية الرومانية . وكان من فنون الحرب الجديدة استخدام الوسائل الهندسية في محاصرة المدن الحصينة وإقامة التحصينات لحماية المدن . وللوصول إلى هذا الغرض الأخير قلّد العرب إنشاء المعسكر على شكل مستطيل محصن وهو طابع الفن الحربي الروماني . فقد أقاموا في كل المناطق التي فتحوها مدن المعسكر هذه ، وغالباً ما أساءوا اختيار مواقعها . وكان أكبر مدن المعسكر هذه في فلسطين مدينة الجابية وفي مصر القسطنطينية وفي أفريقية القيروان ، ولكن واحدة من هذه المدن لم تكن لتضارع في أهميتها مدينتي المعسكر في العراق وهما البصرة التي أنشأها عتبة بن عزيان سنة ٦٣٥ أو ٦٣٧ ، والكوفة التي أسسها سعد بن أبي وقاص بعد ذلك بقليل . وقد لعبت هاتان المدينتان دوراً هاماً جداً في تاريخ الإسلام .

ولما ظهر أن الدولة الأموية صارت دولة ذات طابع سياسي ونفصت عنها الطابع الديني وانتشرت عدوى تهاونهم هذا إلى المدينة ومكة كان لذلك وقع سيئ في نفوس الكثيرين من المسلمين الأتقياء ، فزحوا عن هذه المراكز من مثل المدينة المنورة إلى واحدة أو أخرى من مدن المعسكر

العراقية ، التي صارت بفضل هذا موطن المذهب السني ومن ثم مناوئة للخلافة التي كان الناس بوجه عام يعتبرونها خارجة على الدين .

لقد كان الدين بوجه الحياة الفكرية في البصرة والكوفة ، فكان اهتمامها قاصراً على دراسة القرآن والعلوم الدينية التي تتصل من قريب أو بعيد بالقرآن . وكانت هذه العلوم تتعلق في مبدأ الأمر بنص القرآن أى أنها كانت بوجه عام علوم النحو والمعاجم ولكن هذه العلوم امتدت فيما بعد فشملت الفقه والحديث والفلسفة . واصطبغت كلها إلى حد كبير بآراء مستفادة من الدراسات اليونانية . ولم يكن المسلمون يومئذ يعتمدون على كتب أئمة المفكرين اليونان أو يقرأونها . ولكن الشواهد كثيرة على أن آراءهم قد تسربت إلى البصرة والكوفة وأثرت على الثقافة العربية بدرجة أكبر بكثير مما كان عليه الحال في دمشق . ولا ينبغي أن يعزب عن البال أن الحيرة وهي معقل النساطرة العظيم لم تكن تبعد عن البصرة وأن شطراً كبيراً من أهلها قد انتقلوا إلى مدينة العسكر .

لقد بدأت الدراسات النحوية والأدبية بأبي الأسود الدؤلي وهو صديق وصفي لعلي صهر النبي . فقد حدث أن الكثيرين من أهل العراق ممن تعلموا العربية بعد أن اعتنقوا الإسلام وتقدمت بهم السن كانوا يقعون بالطبع في لحن كثير في قراءة القرآن . وكان لحنهم يُحزن علياً ، ومن ثم فقد طلب من أبي الأسود الدؤلي أن يضع بعض القواعد لهداية من لم يشبوا على استعمال العربية ، وهي اللغة الوحيدة التي تجوز بها الصلاة وقراءة الكلام المنزل . ولكن الدؤلي قد صرفه عن الصدوع لهذا الأمر مقتل على في ٢١ يناير سنة ٦٦١ ، وما كان يجد من حرج في القيام بأى عمل من شأنه معاونته الوالى زياد بن أبيه ، إذ لم يكن راضياً عنه . لأنه بعد أن خدم علياً تحول إلى خدمة الغاصب الأموى معاوية . وبالرغم من أن زياداً قد أعاد عليه طلب على ، فقد امتنع الدؤلي ولم يعمل شيئاً :

وحدث بعد ذلك أن سمع قارئاً يلحن^١ في نطق الآية الثالثة من سورة التوبة : « إن الله برئ من المشركين ورسوله » فقرأها بالجر بدلاً من الرفع فصبرف معنى الآية عن وجهه الصحيح بحيث أصبحت تعني بدلاً من أن الله برئ من المشركين وكذلك رسوله أن الله برئ من المشركين ومن رسوله . فانزعج لهذا اللحن حتى أنه بدأ من فوره يضع القواعد لتلافي مثل هذا الخطأ . فأدخل الشكل على العربية التي لم تكن إلى ذلك الحين تعرف الشكل والنقط . وبدأ يلقي دروساً في النحو ومن اللغة العربية . وما يذكر أنه كان في وضعه لهذه العلوم متأثراً بمنطق أرسطو إلى حد ما ، ولكنه لم يتأثر بواحد من النحويين اليونان .

وقد تخرج على أبي الأسود الدؤلي سلسلة مطردة من طلاب النحو وشيوخه في البصرة ، وبعد قرابة قرن من الزمان بدأ أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء (المتوفى في ٧٢٣ أو ٧٢٧) يلقي دروسه النحوية في الكوفة ، وقد كان وقتاً ما معلماً لأبناء الخليفة عبد الملك . وقد تطور هذان المركزان إلى تكوين مدرستين متنافستين اتفقتا في الفكرة واختلفتا في تطبيقها . ولم تكن قصائد الشعراء القدماء ذات القيمة في شرح وتوضيح الاستعمالات اللغوية القديمة قد جمعت في دواوين ، وكانت لا تزال تنتقل بالرواية . وكثيراً ما غُيّرت وشُوّهت أثناء عملية النقل . وقد كانت مدرسة البصرة حلزة ، وتوفرت على نقد الشعر المروى ورفضت ما لا يستقيم منه مع القواعد المعروفة . في حين أن الكوفيين قبلوا كل ما روى ويقال إنهم كانوا يعتمدون على قدر كبير من الشعر المنحول . ويبدو للوهلة الأولى أن منهج البصريين أفضل من منهج الكوفيين ، ولكن ينبغي أن نذكر في نقد مذهبهم أنه طبقاً لمنهجهم كانت الشواهد تصاغ بحيث تتفق مع ما وضعوه من قواعد . في حين أن نحوي الكوفة كانوا يلتزمون صياغة القواعد بحيث تلائم الجارى على الألسنة وهي طريقة أمثل .

إن ثبت الرواية في المدرستين قد كوّن شجرة أنساب نحوية تنتهى بالنحوى البصرى العظيم أبى الحسن (أو بشر) عمرو بن عثمان الحارثى الذى يعرف عامة باسم سيويه (المتوفى بين ٧٨٣ و ٨١٦). ولم يكن سيويه والحق يقال عربياً وإنما كان فارسياً ووضع نحوه في صدر الدولة العباسية .

وفي البصرة ظهرت الدلائل الأولى لأفكار المعتزلة كما ظهرت الشواهد على تأثير الفكر الفلسفى اليونانى على علم الكلام العربى تأثيراً انفرجت به الآفاق . وفي العراق فيما حول البصرة ظهرت الدلائل الأولى على النظرية الفقهية التى يتجلى فيها بوضوح أثر القانون الرومانى والنظريات الفلسفية التى أخذ بها المشرعون الرومان . ومن الواضح أن نتائج تأثير الفكر اليونانى ظهرت أول الأمر لا في سوريا حيث كان حكامها المسلمون على صلة وثيقة باللاهوت المسيحى وما يتبعه من أفكار فلسفية ، بل في البصرة ، ولو أننا ليس لدينا دليل قاطع على وجود اتصال بالعناصر اليونانية والمسيحية فيها . فقد كانت دمشق وبلاط الخلافة فيها غارقة في اللهو والسياسة فلم يتأت للتفكير اللاهوتى أن يوطد فيها أركانه . أما البصرة فقد احتفظت بالتقاليد العلمية . وراعها ولا شك التعليم اليونانى الوافد إليها من الخبرة في رأى أو من جنديساپور في رأى آخر أقوى ، ولذلك فقد ظهرت فيها أولى الدلائل على أخذ العرب بالثقافة اليونانية .

الفصل الحادى عشر

الخلافة فى بغداد

١ - الثورة العباسية

لقد ولى معاوية الخلافة فى بيت المقدس فى ٦٦١ ولكنه انتقل من فوره إلى دمشق التى قضى بها والياً على سوريا عدة سنوات . وبولايته الخلافة بدأت الدولة التى تعرف باسم الدولة الأموية التى حكمت العالم الإسلامى إلى سنة ٧٤٩ ، ولقد تعرضت هذه الدولة للتصدع يوم انتقلت الخلافة من أسرة إلى أسرة ، ولكن الأسرة الجديدة وهى من سلالة مروان كانت فرعاً من بنى أمية ، وظل الملك فى أيديهم . واستمر الحال على ذلك إلى سنة ٧٤٤ عند ما قبض مروان آخر [ليس] من بنى أمية^(١) على مقاليد الحكم بقوة السلاح . وكان البلاط والحكومة مستقرأ فى دمشق إلى سنة ٧٢٤ عند ما انتقل الخليفة هشام إلى مقرر ينى ، وبعدها كان الخلفاء يذهبون إلى دمشق لتلقى البيعة ثم يتركونها ليستقروا فى غيرها . ولكن الحكومة ظلت فى العاصمة السورية إلى خلافة مروان الثانى سنة ٧٤٤ . لقد كان البلاط بالضرورة يصحب الخليفة : ولكن فى سنة ٧٤٤ لم ينتقل البلاط وحده مع الخليفة ، بل انتقلت الحكومة كلها إلى حرآن التى صارت بذلك عاصمة الدولة . وهبطت دمشق إلى مستوى مدينة إقليمية . وكان هذا التغير موضع سخط عرب سوريا .

(١) ذكر المؤلف خطأ أن مروان هذا ليس من بنى أمية . وحقيقة نسبة هى على النحو الآتى : مروان بن محمد بن مروان الأول بن الحكم بن أبى العاص بن أمية - ومروان بن محمد هذا هو المكتفى بالجلدى وهو آخر خلفاء بنى أمية . وهو كما رأينا من صميم الفرع المروانى لهذه الأسرة ، والفرع الآخر هو السفينانى . (المراجع)

ولقد كانت الخلافة في عهد بني أمية عربية بحتة . وكان إنتاجها الفكري كله شعراً أكثره من الأسلوب البدوي القديم ، وكان بعضه قد عُذِّلَ بحيث يُصور لون الحياة الذي كان سائداً في قصور الحيرة وبني غسان . وكان كله مشرباً بالروح الجاهلية التي سبقت مجيء الإسلام . فكان الشعراء يمدحون ساداتهم ويهجون منافسيهم وأعداءهم ويصورون مخاطر حياة الصحراء ويتغنون بأصدااء الحروب القبلية القديمة . فلم تجد ثقافة العالم اليوناني وعلومه مكاناً لهما في قصائدهم ، والواضح أن هذه الثقافة لم تكن تعني شيئاً عندهم .

وفي عهد مروان الثاني كان الجيش السوري ساخطاً وثار الخوارج في العراق وتحصنوا في الموصل ، ولم يستطع مروان أن يسير ضدهم لأن مركزه في سوريا كان أضعف من أن يسمح له بمحاربتهم . وكان مضطراً أن يرسل جيشاً إلى بلاد العرب فقد قامت فيها ثورة خوارج أخرى .

ولكن أشد متاعبه وأخطرها قد تهددته من خراسان في شرقي فارس ، ذلك أن الفرس كانوا ساخطين فقد شعروا أن الفتح العربي لفارس كان يرجع إلى سلسلة من الحوادث وإلى الثورة الداخلية التي سحطت تنظيمهم العسكري وإلى التصرف الأحمق الذي قام به ملكهم الشاب . وكانوا تواقين إلى فرصة ليعيدوا الكرة من جديد مع العرب الذين كانوا يعتبرونهم بدواً رحلاً من أنصاف المتخضرين . في مثل هذه الظروف كان لا بد أن تنفشي المؤامرات . والحق أن عصر بني أمية كله يبين أن الأمة الإسلامية كانت تضطرم بالسخط وعلى أهبة الثورة : بعضها لأسباب عنصرية ، فقد كرهت سيادة العرب عليهم حتى بعد أن اعتنقوا الإسلام ، وبعضها لأسباب دينية إذ رأوا أن بني أمية كانوا متساهلين في رعاية الشؤون الدينية . وكان بين الفرس كثيرون من أنصار البيت العلوي ، يرون أن كل الخلفاء عداً علياً كانوا مغتصبين للخلافة ، فلم يعترفوا بالزعامة إلا لسلالة علي . وكان المتطرفون من هؤلاء العلويين يفضلون علياً على النبي نفسه . إن هؤلاء — وقد

٢٠٣

سموا بالشيعية — كانوا منقسمين فيما بينهم إلى فرق متعددة ، ولكنهم اتفقوا على كراهيتهم للعرب . وفي آخر الأمر تبلورت الحركة الثورية ، وكان مركزها خراسان . ولكن دعوتها انتشرت على يد دعاة سرين في جميع أرجاء العالم الإسلامي فيما عدا أسبانيا . فقد كان المسلمون فيها في شغل شاغل عن هذا بما يلقون من متاعب . أما شخصية الخليفة الذي يلي الخلافة بعد مروان فقد احتفظ بها سرّاً إلى أن نجحت الثورة . وعندئذ أعلن أن الشخصية التي وقع عليها الاختيار هو أبو العباس وهو من البيت الهاشمي الذي كان من قبيلة قريش وهي نفس القبيلة التي كان ينتسب إليها بنو أمية . ولإذن فقد كان الأمر مجرد انتقال الخلافة من أسرة عربية إلى أخرى :

لقد بويع أبو العباس بالخلافة في الجامع الأكبر في الكوفة في ٢٨ نوفمبر سنة ٧٤٩ فجعل همه الأول القضاء على من ثبقوا من بنى أمية وأتباعهم . وقد قام بهذه المهمة بعنف حتى لقد سمي بالسفاح . ولم ينج من أسرة بنى أمية المخلوعة إلا شاب واحد وصل بعد ركوب مخاطر وأهوال لا يمكن تصورها إلى أسبانيا البعيدة حيث أصبح رئيس دولة مستقلة . واتخذت سلالته فيما بعد لقب خليفة ، معارضين بذلك دولة بنى العباس . ومن الروايات ما تروى أخبار غيره من الأمويين ممن وجدوا ملجأ في جهات أبعد في أفريقية . ولكنهم كانوا فيما يبدو من أتباع بنى أمية وليسوا من الأمويين الخالص .

لقد كان سقوط بنى أمية نقطة تحول حاسمة في تاريخ الإسلام . إن بنى العباس لم يكونوا أقل عروبة من بنى أمية . ولكنهم كانوا مدينين بالخلافة لمعاونة الفرس إلى حد كبير . فكان كبار وزراءهم من الفرس أكثر من العرب . وكان أولياء عهد بضعة نفر من الخلفاء العباسيين الأول يتربون في أوساط فارسية وتجري في عروقهم الدماء الفارسية نتيجة للزواج من الفارسيات . وكانت المذاهب والأغراض الفارسية تنافس المذاهب

والأغراض العربية ، وكانت تحل محلها في أحيان كثيرة . وهكذا صارت الدولة الإسلامية إلى حدٍ ما فارسية . ومع ذلك فلا بد من أن تُتعد الخلافة والأمة عربية : فقد كان يقوم على الأمة أسرة عربية ، وكانت الأمة تتخذ اللغة العربية ، وتعتق ديناً عربياً ، وكانت الأمة مرتبطة بدرجة لا تنفصم عراها ببلدو الصحراء الذين كانوا قد غزوا الشرق الأدنى .

٢ - تأسيس بغداد

لقد استقر الخلفاء العباسيون أولاً في الأنبار^(١) على نهر الفرات . ولم يكن بهم من رغبة في الذهاب إلى سوريا حيث كان الشعور شديد الموالية لبني أمية . وقد عقد ثاني خلفاء بني العباس وهو المنصور أنخو أبي العباس عزمه على أن يؤسس عاصمة جديدة . وبعد أن تدبر مواقع مختلفة قرر آخر الأمر أن ينشئها في بغداد ، وهي مدينة سحيقة القدم كانت تعرف أيام البابليين باسم بجدادو (Bag-Da-Du) وهو اسم لا يعرف أصله . وبشيء من التلاعب بالألفاظ أعطى الكتاب الفرنس المتأخرون لهذا الاسم اشتقاقاً فارسياً طريفاً وجعلوه يعنى «جنة الله» وهذا من قبيل الخيال .

لقد كان الخليفة في اختياره لهذا الموقع منقاداً لنصح وزيره الفارسي خلاد بن برمك . وبعد أن عقد العزم على إنشاء العاصمة استدعى اثنين من المنجمين ليخططوا الأساس وليختاروا الساعة المواتية لوضع حجر الأساس . أما المنجمان اللذان وقع عليهما الاختيار لهذه المهمة فهما نوبخت وهو فارسي وما شاء الله بن أثري وهو فارسي يهودي من أهل مرو^(٢) .

ويهدى من هذين المنجمين وضع المنصور أول لبننة في حضرته الجديدة

(١) انظر الملاحظات (٨) .

(٢) انظر الملاحظات (٩) .

في أواخر سنة ٧٦٢ وبعد ثلاث سنوات تقدمت عملية الإنشاء بحيث بدأ سكنى المدينة - وجاء كثيرون ليسكنوها من مدينتي العسكر المجاورتين وهما البصرة والكوفة وكلاهما من مواطن الفتنة وكانت دائماً في اضطراب وتحزب . إن إقامة هؤلاء السكان الجدد تعيننا على أن ندرك لماذا كانت بغداد من أول أمرها ذات جو هائج عاصف . وأفردت للفرس ضاحية من المدينة تعرف باسم « الكرخ » وقد كانت هذه الضاحية من قبل قرية فارسية .

لقد أراد المنصور أن تكون حاضرتة مدينة ذات صيت ذائع يُطبق آفاق العالم الإسلامي كله ، ولهذا الغرض دعا إليها طائفة من مشاهير العلماء والقراء والخطباء والنحويين والرواة من مدينتي العسكر المجاورتين ، وقد كانتا مركزى الدراسة الإسلامية التي كانت إلى ذلك الحين مقصورة على الدراسات القرآنية والكلامية . وبدأ أمثال هؤلاء العلماء يكوّنون فيها في ذلك الحين طبقة وسطى محترمة ، ارتقت فيما بعد بفضل ما أسبغها الخلفاء من عطف إلى الوظائف الكبرى في الدولة . ولكنها كانت مختلفة كل الاختلاف عن الطبقة الأرستقراطية القديمة التي كانت مكوّنة من شيوخ القبائل العربية وتقوم على نبل المحتد والتي سادت العالم الإسلامي وكانت صاحبة السيطرة في عهد الدولة الأموية . إن علماء البصرة والكوفة وقد أصبح الكثيرون منهم ذوى شهرة سابقة ، كونوا نوعاً من الأرستقراطية العلمية ، تنزع إلى العمل على كسر شوكة الحسب الموروثة ، وكان أصحابه مصدر خطر في بلاط دمشق وكانوا لا يزالون ساخطين على الدولة العباسية واعتبروها دولة نصف فارسية . ومن سوء الحظ أن المنصور كان مصاباً بداء الشح يتسلط عليه ولا يناسب مقامه . وكان يبذل للناس منحا متواضعة ويبلّغها في مَنْ حتى لقد سُمّي « أبو الدوانق » .

وفي سنة ٧٦٥ مرض المنصور مرضاً خطيراً ، فقد أصابته علة في المعدة

ونصحه الناس بأن يستقدم الطبيب النسطورى جرجس بن بختيشوع وهو رئيس مدرسة جنديساپور ومستشفاهما . وكان هذا الحادث أول اتصال بلاط بغداد بأسرة بختيشوع التى لعبت فيما بعد دوراً هاماً فى نشر التعليم الثقافى بين العرب . ولا يعرف شىء عن بختيشوع والد جرجس هذا ، ولكن بما أن هذا الاسم يرد كثيراً فى تاريخ بغداد فمن المفيد أن نطلق عليه اسم بختيشوع الأول .

ومن الفرس الشرقيين الذين كانوا قد عضدوا الثورة العباسية وجاءوا بعد ذلك إلى الغرب لينالوا نصيبهم فى ثروة الدولة الجديدة ، كان أبرز هؤلاء كلهم أعضاء أسرة برمك العريقة الثرية ، وهى أصلاً من بلخ ولكنها استقرت فيما بعد فى مرو . وقد كانت هذه الأسرة من سلالة البرامكة أو الرؤساء الوراثنين للدير البوذى فى نوبهار فى بلخ ، ولكنهم آمنوا بالديانة المزدكية قبل الفتح الإسلامى بعهد غير طويل على الأرجح . وعند الفتح الإسلامى اعتنقوا الإسلام . لقد كان خالد بن برمك موكلاً على ديوان الخراج فى عهد « السفاح » وقد جعله المنصور والياً على ما بين النهرين ، أما ابنه يحيى الذى كان والياً على أرمينية فقد عهد إليه المهدي بتعليم ابنه الذى صار فيما بعد هرون الرشيد . وقد أقام هرون يحيى وزيراً على الدولة كلها وعهد إليه بسلطة لا حد لها . وأثبت يحيى فى هذه الوظيفة أنه إدارى حصيف عادل ، وقد عم الرخاء الدولة تحت إشرافه . ومن بين أبنائه الثلاثة كان الفضل والى خراسان ثم والى مصر . أما جعفر فقد خلف أباه على الوزارة . ولكن هذه الأسرة بعد أن كانت أكثر الأسر ثراءً ونفوذاً وكرامة فى العالم الإسلامى كله نكبت وسقطت من عليائها سنة ٨٠٣ لأسباب كانت غامضة على معاصريها ولم تفسر أبداً تفسيراً مقبولاً . ومات يحيى فى السجن سنة ٨٠٦ كما مات جعفر سنة ٨٠٩ . ويبدو أنه بعد موت يحيى أطلق سراح أبنائه الآخرين . وعندما ولى الأمين

٢٠٧

الخلافة سنة ٨٠٨ أطلق سراح كل من بقى حياً من أسرة برمك وأعيدت لهم أموالهم ورد إليهم شرفهم .

وكان البرامكة شديدي الاهتمام بالعلوم اليونانية التي كانت يومئذ ماثرة اهتمام كبير في مرو . وقد جلبوا معهم هذه النزعة ووجدوا الروح المتقدة على قدم وساق في المدرسة التسطورية في جنديساپور .

قدم جرجس بن بختيشوع من جنديساپور ليعود المنصور ويعالجه وظل في بغداد طويلاً للبلاط إلى أن تقدمت به السن فاضطر إلى أن يستأذن في أن يعنى ورجع إلى جنديساپور مزوداً بالتشريف ومات فيها سنة ٧٦٩ . وكان المهدي يعرف خدمات جرجس الممتازة فدعا إلى بغداد سنة ٧٨٥ ابنه بختيشوع الثاني وكان قد خلف أباه على رئاسة مدرسة جنديساپور ومستشفاهها . ولكنه وجد في البلاط معارضة شديدة من طبيب زوج الخليفة واسمه أبو قريش حتى أعيد إلى جنديساپور إثارةً للسلام . ولكنه استدعى من جديد في عهد هرون الرشيد ليدأوى الخليفة من الصداق الحاد الذي ألمَّ به . وبعد ذلك استدعى ابنه جبريل إلى البلاط وظل فيه حتى مات سنة ٨٢٨ / ٨٢٩ . وعندما كان في البلاط ، كان نفوذ الوزير البرمكي قد صار محسوساً وبدأ يعظم : وكانت الجهود تبذل لتعريف العرب بالدراسات العلمية الجديدة التي بعثت من مصادرها اليونانية وكانت يومئذ منتشرة بين المسيحيين الذين يتكلمون اليونانية . وكان يحيى البرمكي نصيراً متحمساً لبعث العلوم وقد كان على اتصال بها في مرو . وكان بعضه العلماء النساطرة في جنديساپور بحجاسة .

لقد تولى هرون الرشيد الخلافة سنة ٧٨٦ ، وكان قد ربى في فارس تحت التأثير الفارسي وعلى يد يحيى البرمكي . وكان الرشيد طوال خلافته يظهر ميلاً شديداً للفرس . وكان له شغف عظيم بالعلوم والآداب ،

ففاق في ذلك كل من سبقه . وقد نضجت تحت رعايته حركة الأخذ
بالثقافة الهيلينية . وقد عد عصره فيما بعد عصرًا ذهبيًا . ولكن الخلافة
كان قد بدا عليها فعلاً علامات الانحلال في عهده . وفي سنة ٨٠٠ وافق
على الاستقلال الفعلي لوالى القيروان في ليبيا وهو من بنى الأغلب . وهذه
أولى مراحل الانحلال التي أدت آخر الأمر إلى تفكك الدولة الإسلامية .
ولم يستطع هرون الرشيد ولا غيره من الخلفاء العباسيين أن يسيطروا نفوذهم
على الأندلس التي صارت ولاية تحت حكم الأمويين .

لقد كان هرون الرشيد تحت تأثير نفوذ وزيره البرمكى ، يولى العلماء
الذين يدرسون كتب العلوم اليونانية ويترجمونها ، مساعدات مجزية . وقد
أنفذ الرسل إلى إمبراطورية الروم ليشتروا المخطوطات اليونانية وهى سياسة
مخية جذبت قدراً كبيراً من العلوم الهامة إلى بغداد . وقد زادها
ما أظهره بعض الأفراد من كرم يماثل كرمه فأنفقوا بسخاء على
المخطوطات والمترجمين . وكانت المادة التي حصلوا عليها بهذه الطريقة
طيبة في أغلب أمرها ، ولذلك استهوت أطباء جنديسابور ، فنقلوها إلى
السريرية كما كان الحال في العصور السالفة . ولكن لم يمض وقت طويل
حتى ظهرت الترجمات العربية . فكانت الترجمة أولاً إلى السريانية ولكنها
فيما بعد كانت تترجم رأساً من النصوص اليونانية . وكانت مؤلفات
أرسطو معروفة في اللغة السريانية ، ومعها شروح وملخصات بعضها
مؤلف بالسريانية وترجم بعضها الآخر عن اليونانية ، وفي مبدأ الأمر كانت
مؤلفات أرسطو مقصورة على مقالاته في المنطق . ولم يضطلع علماء العرب
بدراسة فلسفة أرسطو دراسة جادة قائمة على دراسة النص إلا بعد وفاة
هرون الرشيد بوقت ما : إن تعاليم أرسطو كانت مستقاة من الترجمات
والشروح السريانية فكانت مصطبغة اصطبغاً شديداً بالأفلاطونية الحديثة .

وظل هذا الأسلوب من التفكير يلون الفلسفة العربية إلى عصور متأخرة جداً .

وهناك من* الأسباب ما يدعو إلى القول بأن بعض الترجمات الأولى التي نقلت عن اليونانية مباشرة كانت تتعلق بالفلك والرياضيات : فكتاب « السند هند » وهو بحث هندي في الفلك يتصل بالرياضيات ويقوم على تعاليم مدرسة الإسكندرية ، قد نقل إلى العربية في تاريخ متقدم ، ولعله نقل عن ترجمة فارسية . وقد ترجمه إلى العربية فيما يقال اثنان هما إبراهيم الفزاري ويعقوب بن طارق . ويقول المسعودي عن أولهما « ولأذكر أيضاً الفلكي إبراهيم الفزاري مؤلف القصيدة الشهيرة في علم النجوم ودراسة وجه السماء» (١) . ثم يستطرد ويمضي فيقول إنه من الأصدقاء الشخصيين للمنصور : أما القصيدة الشهيرة في علم النجوم فقد ضاعت . ويقال أيضاً إنه أول عربي صنع الاسطرلاب . وابن إبراهيم هو محمد (المتوفى بين ٧٦٩ و ٨٠٦) الذي يذكر أحياناً أنه المترجم . ولا سبيل إلى التحقق من تاريخ الترجمة التي تعزى أحياناً للأب وأحياناً لابنه . أما يعقوب بن طارق فكان رياضياً ممتازاً ويقال إنه مؤلف مقالة في الكرة وأخرى في الكرة أو القوس المكون من ٢٢٥° ، وقد اتبع طريقة أرشميدس الذي قسم الدائرة إلى ٩٦° درجة ، كما يقال إنه وضع جداول فلكية . ومن المشكوك فيه أن يكون « السند هند » قد ترجم في أول عهد المنصور ، ولكن من الجلي أن عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي كان يعرف هذه الترجمة أحسن معرفة فقد اتخذها أساساً لجداوله الفلكية . ولكن الخوارزمي كتب مؤلفاته بعد هذا العهد بخمسين عاماً أو نحوها ، وقد ضاعت جداوله الآن ، ولكن مسلمة المجرطي (حوالي ١٠٠٧) قد ذكرها وضمنها مؤلفاته . وحيث أن هذه الجداول قد ضاعت الآن ، ولا نعرفها إلا بما ورد

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ٨ ، ٢٩٠ .

في كتب متأخرة من إشارات إليها أو اقتباسات منها ، فلا يمكن أن نعرف
عل وجه اليقين إلى أي حد نقحت أو حسنت وكم بقي من الأصل
على حاله :

وقد رثى أنه لا بد لفهم « السند هند » واستعماله من وضع ترجمة
لكتاب « المجسطى » (ἡ μέγιστη σύνταξις) لبطلميوس ولكتاب « العناصر »
لإقليدس . ويبدو أن هذين الكتابين قد ترجما مباشرة من اليونانية ،
وأنهما أول ما ترجم رأساً منها . وقد قيل إنهما ترجما عن السريانية :
وليس في ضياع هذه الترجمات السريانية ما يدحض هذا الزعم . فالأدب
السرياني الذي بقي الآن ليس غنياً بالمؤلفات الرياضية . وليس بين أيدينا
مما يعزز نظرية النقل المبكر من اليونانية ، إلا ما نعرف من ضرورة
الرجوع إلى الأصول لوضع ترجمات دقيقة للمصطلحات الفنية – وهو أمر
على أعظم جانب من الأهمية في المؤلفات الرياضية . لقد روجعت الترجمات
العربية مرات عديدة وصححت أخطاؤها بالمقارنة بالأصل اليوناني ، فن
الجزائر أن تكون الترجمات الأولى قد وضعت قبل عهد هرون الرشيد أو في
الفترة الأولى من عهده . ومن الروايات ما تذهب إلى أن ترجمة إقليدس
والمجسطى قد وضعتا بإشارة من جعفر البرمكي ، وإذن فقد وضعتا قبل
سنة ٨٠٣ وهي السنة التي حلت فيها بالبرامكة النعمة . فإذا كان مرصد
جنديسپور قد استعمل قبل عهد النهاوندى (٨١٣ – ٨٣٣) وهو
ما لا يمكن أن نقطع به ، فلا شك أن المؤلفات الرياضية اللازمة كانت
موجودة فيه ، ولا بد أنها كانت باللغة السريانية . ومن الجائز جداً
بالطبع أن تكون الرياضيات اللازمة للمرصد قد أخذت عن المؤلفات
الهندية ، وليس من إقليدس أو بطلميوس . لقد كان لأولاد موسى
مرصد في بغداد . ولكنه كان بلا ريب بعد هرون الرشيد .

ولا يمكن أن نستنتج الكثير من هذين المنجمين اللذين أحانا المنصور

في وضع أساس بغداد . ولو أنه يقال إن كليهما قد وضع مؤلفات في
الرياضة والفلك والتنجيم . فيقال إن أحدهما وهو النوبخت (المتوفى سنة
٧٧٦ / ٧) قد تحول عن الديانة الزردشتية إلى الإسلام وكان أثيراً لدى
المنصور وألف كتاباً في التنجيم القضائي وأنه وضع جداول فلكية ،
ولم يبق من هذه المؤلفات شيء . وكان ابنه أبو سهل الفضل النوبخت
(المتوفى حوالي ٨١٥) خازن كتب هرون الرشيد ، ووضع ترجمات من
الفارسية . أما المنجم الثاني وهو ما شاء الله فيقال إنه كان يهودياً من أهل
مرو ، وإن اسمه في الأصل ميثا وهو اختصار منسب^(١) . وقد بقى الكثير من
مؤلفاته في الترجمات العبرية أو اللاتينية ومنها مؤلف مشهور في الفلك وليس
في التنجيم .

ويبدو أنه من المؤكد أن العلوم الطبية قد وصلت إلى العرب عن
طريق الترجمات السريانية ، أما الترجمات التي وضعت من اليونانية رأساً
فقد جاءت فيما بعد . ولعل ذلك كان شأن العلوم الفلكية والرياضية .
ولكن الترجمات السريانية الباقية لدينا تبدو معاصرة للترجمات العربية وليست
سابقة عليها . وأكثرها في الحق من عمل حنين بن إسحق أو مدرسته ،
ولعل الرياضيات والفلك قد وصلت العرب عن طريق المصادر الهندية ،
وهي ليست ترجمات عن اليونانية ولكنها مبنية على التعاليم اليونانية . ولعل
الترجمات من اليونانية إلى السريانية وإلى العربية قد وضعت بعد ذلك
التاريخ عندما بذلت الجهود لتنقيح وإصلاح ما بين أيديهم من مادة .
ومما لا شك فيه أن لوائيل الرياضيين العرب من أمثال الخوارزمي ،
قد عرفوا معلومات كثيرة لا وجود لها عند المؤلفين اليونان ، ويمكن
إرجاع الكثير منها — لا كلها — إلى المؤلفين الهنود . ففي سلسلة انتقال
العلوم فجوات ليس من اليسير ملؤها .

الفصل الثاني عشر

الترجمة إلى العربية

١ - المرحوم الأول

تأسست بغداد سنة ٧٦٢ وتولى هرون الرشيد الخلافة سنة ٧٨٦ وكانت بغداد في عهده مركز حركة تهدف إلى ترجمة المؤلفات العلمية اليونانية إلى العربية . وقد كانت المؤثرات في السنوات الأربع والعشرين التي مرت بين تأسيس بغداد وتولى هرون الرشيد الخلافة ، تفعل فعلها لإذكاء هذه الحركة . وبرز من هذه المؤثرات عاملان أحدهما يشع من مرو وهي بعيدة في خراسان إلى الشرق والآخر من جنديسابور على مقربة من بغداد . وكانت مرو في خراسان بعيدة حقاً ، ولكنها كانت وثيقة الصلة ببغداد في عصرها الأول . فقد بلغ العباسيون الخلافة بعد ثورة كان مصدرها خراسان ، وكانت تلقى أكبر تعضيد من تلك الولاية . هذا وقد نبغ من عائلة البرامكة - وهم من مرو - الوزراء العتاة الذين سدّدوا خطى الدولة العباسية . وأشرفوا إلى حد كبير عليها . وقد هرع الكثيرون من الفرس وخاصة من أهل خراسان إلى الغرب ليأخذوا بنصيبهم فيما حققته الثورة من انتصارات ، وليطالبوا بقسط من غنائمها . ولقد طغى النفوذ الفارسي في البلاط العباسي على العنصر العربي واضطره إلى الانزواء . ولم يكن الفرس معتدلين في هذا . فقد كان العرب من قبل متغربين وها هم الفرس الآن يجازونهم بغطرسة أكبر ، وكانوا يهجون العرب ويصفونهم بأنهم أنصاف برابرة ويدو من الصحراء لا تاريخ لهم ولا ثقافة عندهم . لقد كانت هذه الحركة العدائية ضد العرب تجري في صراحة ووضوح وأطلق اسم « الشعوية » وهو تعبير محكم قوى صريح عن الشعور المعادي للعرب .

ومن شخصيات هذا العصر التي تدل عليه أقوى دلالة ، شخصية أبي محمد ابن المقفع وهو فارسي دخل خدمة عيسى بن علي عم الخليفة الأول والثاني من خلفاء بني العباس ، وقد اعتنق الإسلام ولو أن الكثيرين يرونه غير مخلص في إسلامه . وقد ترجم من الهلوية أو الفارسية القديمة الكتاب الذي يعرف باسم كيلة ودمنة وهو نفسه ترجمة للكتاب البوذي الذي أحضره من الهند الطبيب المسيحي بوذ الذي كان قد أرسل إلى الهند في طلب العقاقير ، فأحضر مع العقاقير هذا الكتاب ولعبة الشطرنج . وقد وضع ابن المقفع ترجمة تعد نموذجاً يحتذى في العربية الفصحى ولا تزال تدرس في المدارس على هذا الاعتبار . ووضع كذلك ترجمة لكتاب فارسي اسمه خُدينامة وهو تاريخ الملوك الفرس : وسمي ترجمته العربية « سير ملوك العجم » وقد ضاع هذا الكتاب الآن ، ولكنه كان الأساس الذي بنى عليه الفردوسي الشاهنامه ، وقد أثبت منه ابن قتيبة في عيون الأخبار مقتطفات طويلة كثيرة . وفي العربية ألف كتاب « الدرر اليتيمة في طاعة الملوك » (١) . وكتب أيضاً عدة مقالات قصيرة في « الأدب » وواجبات الموظفين ومكارم الأخلاق وهو موضوع مُحَبَّب في الأدب الفارسي القديم . وكان ابن المقفع يعيش في البصرة ويستشعر الأمن في حامي سادته الأشراف . فاستباح لنفسه أن يطلق لسانه في سفيان بن معاوية المهلبى وإلى البصرة وتهكم به وسماه ابن المغيالية [العاهرة] وقد احتمل سفيان كل هذا في صمت . وبعد ثورة « عبد الله » على ابن أخيه المنصور قبل الخليفة أن يعفو عن عمه ، فأمر العم ابن المقفع أن يحرر أماناً للخليفة ليمهره بإمضاءه فكان ماكتب « ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طواق ودوابه حبس » وعييده أحرار والمسلمون في حل من بيعته . وقرأ المنصور هذه الوثيقة وسأل عن حررها فلما قيل له إن الذي حررها هو ابن المقفع لم يقل شيئاً ولكن أرسل إلى سفيان يأمره بأن يتصرف في أمر الكاتب

(١) طبع في القاهرة سنة ١٨٩٣ (٢) م . و ١٣٢٦ و ١٣٣١ هـ .

بما يرى . والروايات كثيرة في الأسلوب الذى شفى به الوالى غليله من ابن المقفع بقتله ، وكلها غاية فى القسوة . وقد وقع هذا فى سنة ٧٥٧/٨ (١) .

كانت خراسان وعاصمتها مرو مهد الشعوبية ، وقد نشأ هرون الرشيد نفسه فى مرو وكان يميل إلى الفرس ميلاً شديداً . واستمرت بعد الفتح العربى الأرصاد الفلكية التى كانت تؤخذ فى عهد ملوك الفرس الساسانيين وكانت تصدر باللغة الفارسية لا العربية زمناً طويلاً . وقد جاء بعض مترجمى الكتب الفلكية الأول من مرو . ويظهر أن خراسان كانت السبيل الذى وصلت عن طريقه الكتب الفلكية والرياضية إلى بغداد . والأرجح أن الوزراء البرامكة وقد كانوا من أهل مرو هم أصحاب الفضل فى جلب هذه المصنفات . حقيقة إنه كان فى جنديسابور مرصد ولكننا لا نعرف الكثير عن نشاطه قبل عهد أحمد التهاندى (٨١٣-٨٣٣) الذى قام ببعض الأرصاد بعد موت هرون الرشيد بوضع سنين . لقد نقلت بعض المؤلفات الفلكية والرياضية فيما يبدو عن الهند . وكانت المؤلفات الهندية مستقاة فى مبدأ الأمر من مصادر يونانية ، ولكنها انتقلت إلى العرب عن طريق ترجماتها الفارسية ، ولو أن هذه الترجمات الفارسية التى نقل عنها العرب قد ضاعت الآن :

كانت جنديسابور تقع بالقرب من بغداد . وكان الأطباء النابهون يستدعون منها إلى البلاط فى عهد الخلفاء العباسيين . فلما وفق الأطباء فى أعمالهم استقروا فى بغداد ليكونوا أطباء البلاط وأصبحوا من ذوى الثراء والنفوذ . وكان ما لاقوه من نجاح مشجعاً لغيرهم من الأطباء على اقتفاء آثارهم . وقد كَوَّن هؤلاء مع العلماء القادمين من مرو جماعة مشمولة برعاية البلاط صارت أشبه ما تكون بالجامعة ولكنها أقرب إلى الجمعية العلمية منها إلى هيئة تدريس . وكان علماء جنديسابور معتادين على دراسة العلوم اليونانية فى الترجمات

(١) ابن خلكان . الجزء الأول صفحة ٤٣٢ - ٣ .

السريانية . لقد كانت الترجمات العربية تكلل الترجمات السريانية شيئاً فشيئاً ثم مالبت الترجمات العربية أن حلت محل الترجمات السريانية آخر الأمر .

أما أن « السند هند » وهو الصورة الهندوكية المنقحة من كتاب سدهانتا لبراهما كويتا قد ترجم إلى العربية في صدر عهد المنصور فحديث خرافة . أجل إنه ترجم في عصر متقدم ولكنه ليس متقدماً إلى هذا الحد . ولم تكن للترجمة أية قيمة لأن العرب لم يستطيعوا فهمها . ويروى أن جعفر البرمكي قد فطن إلى أن السبب في ذلك أن العرب كانت تعوزهم المعلومات الأولية في الهندسة والفلك وهي لازمة لاستيعاب ذلك ، وأنه بناء على مشورته أمر هرون الرشيد بأن توضع ترجمات لكتاب « العناصر » لإقليدس ولكتاب كلوديوس بطلميوس « ميجال » (المجموعة = Synaxis) . وقد أضاف العرب إلى هذا العنوان أداة التعريف « أل » وغيروا كلمة ميجال إلى المجسطى عمداً فيما يظهر لأن اليعقوبي وقد كان يكتب سنة ٨٩١ شرح معنى المجسطى بأنه الكتاب الأعظم^(١) . وهكذا ظهر في اللغة العربية يحمل اسم « كتاب المجسطى » وصار في لاتينية القرون الوسطى المجسيتي (Magasiti) . ولعل منشأ التحريف هو خلط الكلمة في العربية من الشكل . إن ترجمة كتابي إقليدس وبطلميوس لم توضع فيما يبدو إلا بعد عصر هرون الرشيد ، وإذن فالرواية التي تذهب إلى أن جعفر بن برمك هو الذي أشار بترجمتها مشكوك فيها .

ويقال إن الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب هو الذي ترجم المجسطى وإنه أتمه حوالى سنة ٨٢٧ أى بعد سقوط البرامكة بزمان طويل وبعد موت هرون الرشيد . ويقال إن هذا المترجم نفسه قد وضع ترجمة عربية لكتاب « العناصر » لإقليدس لا تضم الكتاب العاشر وإن سعيد الدمشقي

(١) « يعقوب » نشره هوتسا (Houtsma) ، لندن سنة ١٨٨٣ .

قد ترجم الكتاب العاشر فيما بعد (حوالى سنة ٩١٠) مع شرح پاپوس (Pappus) عليه^(١) . ويبدو أن أقدم شرح على إقليدس هو شرح العباس الجوهري (المتوفى حوالى ٨٣٣) . وتذهب رواية أخرى إلى أن الذى وضع ترجمة المجسطى هو سهل بن ربان الطبرى وهو من أهل مرو ويهودى كما يستدل من اسمه « ابن ربان » . لقد كان فى جوار مرو وهى أحد مراكز الدراسات اليونانية يهود^٢ كثيرون كونوا جالية خاصة كدأب اليهود لأنهم يفضلون أن يعيشوا فى جماعات يمكن إقامة الشريعة اليهودية فيها . وعلى الطريق بين مرو وبلخ كانت تقع مدينة الميمنة التى كانت تسمى من قبل اليهودية ، ولكن اسمها غُيِّرَ إلى الميمنة (أى التى يتيمن بها) بناءً على طلب أهلها الذين كرهوا نسبتها إلى اليهود . ويقال إن سهلاً هذا قد ذهب إلى بغداد فى عهد هرون الرشيد وإنه وضع تلك الترجمة له . وقد كان سهل عالماً شهيراً ومعلماً فى مرو وكان يعرف فيها باسم باريون أى « الممتاز » . وقد أثبت ابنه على بن سهل بن ربان الطبرى (المتوفى سنة ٨٥٠) نبذة عنه فى كتابه الطبى الكبير « فردوس الحكمة »^(٢) . ومع ذلك فثمة رواية أخرى تذهب إلى أن سهلاً هو الذى وضع ترجمة المجسطى وأن الحجاج راجعها : وقد أصلح هذه الترجمة القديمة فيما بعد حنين بن إسحق (سيأتى ذكره) ثم راجعها بعده ثابت بن قرة (سيأتى

(١) إن ترجمة « أصول » إقليدس للحجاج وشرح النازرى (المتوفى حوالى ٩٢٣) وهو الذى وضع أيضاً شرحاً على كتاب المجسطى قد نشرها ت. ا. بيهورن و ج. ل. هايبرج (T. O. Bethhorn and J. L. Heiberg) بعنوان « العناصر عند إقليدس من ترجمة الحجاج مع شرح النازرى » . والنص العربى واللاتينى مع هوامش Euclidis elementa ex interpretatione al Hadschdschadschii cum commentario an Nazirii arab. et lat. ed. notisque ... منشور فى كوبنهاجن ١٨٩٣ .

(٢) طبعة ى . صديق ، برلين ١٩٢٨ .

ذكره كذلك) ثم من بعدهما محمد بن جابر بن سنان البتاني (المتوفى سنة ٩٢٩) . أما ترجمة الحجاج لكتاب إقليدس فقد راجعها قسطا بن لوقا (حوالى سنة ٩١٢ - ٩١٣) .

إن العرب قد استقوا أولى معلوماتهم عن أرسطو من المصادر السريانية . وكانت هذه المعلومات قاصرة على مؤلفاته فى المنطق ، وكانت هذه المؤلفات قد ترجمت إلى السريانية وأعيدت ترجمتها فيها ، ووضعت عليها شروح كثيرة كانت فى متناول اليد . إن مجموع مؤلفات أرسطو فى المنطق تشمل قاطيغورياس (المقولات) وبارى أرميناس (العبارة) وأناطوطيقا الأولى (التحليلات الأولى أو القياس) وأناطوطيقا الثانية (التحليلات الثانية أو البرهان) وطوبيقا (الجدل) وسوفسطيقا (الأغاليط) ورطوريقا (الخطابة) وبوليپيقا (السياسة)^(١) . وقد عد العرب البعثين الأخيرين من كتبه فى المنطق . وقد أضاف يوحنا (أو يحيى) بن البطريق حوالى سنة (٨١٥) إليها كتاباً آخر هو مع الأسف ملخول ، وهو كتاب سر الأسرار فاعتبره العرب من وضع أرسطو . وهو كتاب فى موضوعات مختلفة منها الفراسة والتغذية .

وبعد ذلك بزمان غير طويل ترجم عبد المسيح بن عبد الله الحمصى وهو مسيحي من أهل حمص حوالى سنة ٨٣٥ كتاباً ملخولاً آخر يسمى « أوثلوجيا أرسطو » وهو فى الحقيق تلخيص لتاسوعات أفلوطين الرابعة والخامسة والسادسة^(٢) .

(١) بالرجوع إلى كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٤٧ تبين أن كتب أرسطو المنطقية ثمانية هى الواردة بنصها هنا فى متن هذا الكتاب . (المراجع)

(٢) انظر Fr. Deiterici, Die sogenannte Theologie des Aristoteles, Leipzig, 1882.

وحوالى هذا الوقت عاش أبو يحيى البطريق (المتوفى بين ٧٩٨ و ٨٠٦)
الذى وضع ترجمة عربية لكتاب فى التنجيم هو عبارة عن مقالات بطلميوس
الأربعة (Tetrabiblos) وقد كتب عمر بن الفَرَّخَان (المتوفى حوالى سنة
٨١٥) تفسيراً له ، وفسره محمد بن جابر بن سنان البتاني (المتوفى
سنة ٩٢٩) .

وكان جبريل الأول - وهو ابن بختيشوع الأول الذى لا نعرف عنه
سوى أنه كان والد جبريل - من أهل جنديساپور . وقد طبّب للخليفة
المنصور ثم رحل إلى بلده وقضى فيها بقية حياته . أما ابنه بختيشوع الثانى
فقد كان طبيباً فى بلاط المهدي رداً من الزمان ثم اضطر إلى الرجوع إلى
جنديساپور بسبب ما لاقى من مناوأة طبيب زوج الخليفة . ولكنه رجع إلى
بغداد ثانية فى عصر هرون الرشيد . وطبّب لكل من الخليفة ووزيره
جعفر البرمكى . وقبل أن يموت بختيشوع الثانى سنة ٨٠١ أوصى الخليفة
بإبنه جبريل الثانى الذى أصبح بعد ذلك طبيب البلاط . وليس من دليل
على أن أول اثنين من هذه العائلة قد قاما بشيء لإذاعة العلوم اليونانية
بين العرب . أما جبريل الثانى فقد قام بشيء من هذا . وحيث إنه كان
يعمل بالاشتراك مع جعفر البرمكى فمن الجلى أنه كان فى مركز هام فى
بغداد حتى قبل أن يعيّن طبيباً للبلاط . لقد توفى بختيشوع فى سنة ٨٠١
وعندئذ أصبح جبريل طبيب الخليفة هرون الرشيد ، وظل فى خدمة ابنه
الأمين بعد موت هرون سنة ٨٠٨ . وقد أدى هذا إلى حبسه عندما
أصبح المأمون سيد بغداد فهوى نجم كل من كانوا يعضدون أخاه الأمين .
وقد أطلق سراحه سنة ٨١٧ ليطبّب للوزير الحسن بن سهل وعاش فى
هدوء إلى سنة ٨٢٩ . ولم يكن جبريل يقل عن جعفر البرمكى رعاية
وتشجيعاً لأعمال الترجمة من اليونانية ، إذ كان شديد الإعجاب بالعلوم
الطبية اليونانية . ولكنه لم يقدّم بنفسه بأى ترجمة . وقد ألف كناشة

أو موسوعة طبية بالسريانية ، استقى فيها بكثرة من مؤلفات جالينوس وأبقراط وبولس الإيجي . وكان الأطباء ممن يتكلمون السريانية يعتسدون على هذا الكتاب مدة طويلة ، فكان نه فضل كبير في تعريفهم بالآراء الطبية اليونانية . وقد ضاع هذا الكتاب الآن ، ولكننا نستطيع أن نعرف عنه شيئاً من المعجم السرياني الذي ألفه بار بهول (Bar Bahool) في القرن العاشر واعتمد فيه على هذا الكتاب لتفسير بعض الاصطلاحات الفنية الطبية^(١) . ويرجع الفضل إلى حدٍ كبير إلى اقترح جبريل هذا في أن أرسل هرون الرشيد إلى الإمبراطورية الرومانية في طلب المخطوطات ، وأن كلف البعض بوضع الترجمات من السريانية . ولم يقتصر فضله وفضل بعض معاصريه من رعاة الأدب على تهيئة الترجمات العربية فحسب ، بل شجعوا أيضاً إعداد ترجمات سريانية منقحة . ومما يستحق الملاحظة أن طائفة من الترجمات الجديدة المنقحة قد وضعت في السريانية في الوقت الذي بدأت توضع فيه الترجمات العربية . وقد استمرت الترجمة إلى السريانية طالما كانت مدرسة جنديسابور قائمة .

والخلاصة أن أعمال ترجمة الكتب العلمية بدأت في عهد هرون الرشيد بتشجيع من الوزير جعفر البرمكي وأن الترجمة كانت قاصرة في مبدأ الأمر على كتب الرياضة والفلك وقد ترجم بعضها علماء من مرو وهي بلد جعفر البرمكي نفسه . ولعل ترجمة الكتب الطبية قد بدأت بعد ذلك بقليل وهي مقترنة باسم جبريل الثاني . ومع ذلك فالظاهر أنه كان هناك مترجمون آخرون لا صلة لهم بزمرة المترجمين شبه الرسميين الذين كانوا يجتمعون في البلاط . وقد نقات الكتب الطبية أولاً عن طريق الترجمات السريانية . وكذلك كان الأمر في بعض الكتب الرياضية والفلكية على

(١) انظر « بار بهول » نشره ر . دو فال (R. Duval) في باريس ١٨٨٨ - ١٨٩٨ .

الأقل : ولكن الرجوع إلى الأصول اليونانية رأساً كان أسبق في هذين الفرعين . والسبب في ذلك غير بعيد ، وهو أن الدقة الشديدة في المصطلحات الرياضية على غاية من الأهمية . وقد كانت اللغة العربية تفتقر إلى المصطلحات الفنية التي يصطنعها العلماء اليونان . فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحياناً كما هي بحروف عربية ، ولكن هذه المصطلحات تدل في أحيان كثيرة على أنها مرت في وسط آراي (سرياني) في طريقها إلى العرب . وهذه الظاهرة أكثر وضوحاً في الكتب الطبية منها في الكتب الرياضية والفلكية . وقد أدى الحرص على معلومات علمية دقيقة كما لاحظنا إلى وضع ترجمات أكثر دقة أو إلى تنقيح الترجمات الموجودة فعلاً ، كما أدى أيضاً إلى وضع الشروح وكذلك المقالات المبتكرة التي تعتمد على الأصول اليونانية ، وفيها اقتباسات تجلوها وتفسرها أعمال مبتكرة . لقد أصبح تشجيع العلوم بدعة العصر في عهد هرون الرشيد ، فصار الكثيرون من رجال البلاط البارزين رعاة للعلم وأنفقوا بسخاء على من يرفعونهم من العلماء : ولعل هؤلاء جميعاً لم يكونوا مدفوعين بمحض الحب للعلم ، فقد أصبح الأمر بدعة شائعة في البلاط . ومن المحتمل جداً أن الكثيرين ممن تاقث نفوسهم إلى الشهرة وجدوا في تشجيع العلم وسيلة إليها . وقد كان للحركة العلمية صدى ضئيل خارج نطاق البلاط . ولم يعن العرب بها بصفة عامة ، وكان العلماء منهم منصرفين إلى دراسة القرآن والفقه والنحو ، حتى إنهم لم يقوموا بعمل جدى في الفلسفة الأرسطاليسية إلى آخر عهد هرون الرشيد ، وكان أرسطو عندهم مجرد حجة في المنطق .

توفي هرون الرشيد سنة ٨٠٨ وترك الإمبراطورية الإسلامية لابنيه الأمين والمأمون فأخذ الأمين النصف الغربى من الإمبراطورية وعاصمته بغداد وأخذ المأمون النصف الشرقى وجعل مرو عاصمته . ولم يكن هذا

التقسيم صالحاً بالطبع ، ولم يكن بد من أن يتبعه قيام الحرب الأهلية بين الأخوين . وكان جيش المأمون تحت إمرة قادة أحسن من قواد أخيه ، فكانت لجيشه الغلبة حتى إنه حاصر بغداد سنة ٨١٢ بقيادة طاهر : لقد انطوى هذا الحصار على آلام مروعة حتى إن الأمين قد اضطر أن يفرض على الناس أعباء باهظة . وعند هذا الحد دخل التجار في مفاوضات مع طاهر ؛ فلما اكتشف الأمين أن الناس قد انفضوا من حوله ، حاول أن يهرب ، وكان في طريقه إلى التسليم إلى طاهر عندما وقع عليه بعض الفرس من غير المستولين وقتلوه . وقد كانت هذه الأحداث المفاجئة موضوع ملحمة شعرية للخزيمي وهو طراز نادر في الشعر العربي .

وموت الأمين صارت الإمبراطورية الإسلامية كلها في قبضة المأمون ولكنه فضّل أن يبقى في مرو وأرسل الحسن بن سهل إلى بغداد نائباً عنه يحكمها ست سنوات ساد فيها الاستبداد وسوء الحكم اللذان تمخضا بالتدريج عن الفوضى الشاملة ، وكان المأمون في جهل تام بما يدور فيها . وأخيراً ثارت المدينة واختارت المنصور بن المهدي والياً إلى أن يتيسر للمأمون أن يتولى الأمور بنفسه . لقد كان هناك سبب آخر لسخط بغداد إلى جانب ما شاب حكم الحسن بن سهل من استبداد وسوء إدارة . ذلك أن المأمون كان قد دعا إلى مرو على الرضا وهو الشيعي المطالب بالخلافة واستقبله فيها بحفاوة بالغة ووعده بأن يجعله خليفته ، وقد كان هذا التصرف مثار سخط عظيم في بغداد فقد رفضت أن تكون تحت حكم الشيعة :

وأخيراً علم الخليفة بسوء الحالة ، وأنذر بأنه إن لم يذهب إلى بغداد ويقبض على أزمة الأمور بنفسه فسوف تضيق منه الخلافة . فلما بلغه هذا الإنذار دس السم لعل الرضا وتخلص منه ثم توجه إلى بغداد سنة ٨١٩ واصطحب معه بلاطاً عريضاً باذخاً ، كما صحب معه جيشاً وطائفة مختارة من العلماء . فهو نفسه كان عظيم الاهتمام بالدراسات العلمية . وقوبل في بغداد

بفرح عظيم ، فقد كان حسن الطلعة وهو أمر كبير الوزن في الحاكم الشرقى . وكان كريماً وسخياً إلى حد البذخ في نفقاته ، وعده الناس عموماً رجلاً حصيفاً ماضى العزيمة ، صائب الحكم رحيم القلب . وقد حباه الله بكل ما يصبو إليه الحاكم المثالى من نعمة وفضل فيما يقول المؤرخون . وتلقى العلم في مرو في جو من الثقافة الهيلينية المحدثه ، وكان يطبق المذاهب الفلسفية على العقائد الإسلامية ، ولا شك أن غيره من الناس قد فعلوا فعله ، وأن منهم من كان من أشد الناس تقوى . ولكنهم كانوا يحرصون على الاحتفاظ بمظاهر الصلاح والتقوى فلا يتناولون أمور الدين إلا بالإجلال والتعظيم ، ولم يكن كذلك المأمون . فقد كان شغوفاً بمناقشة المسائل الدينية ، وكان يناقشها في حرية كبيرة حتى إن بعض رجال بلاطه داعبه مرة فخاطبه بقوله يا « أمير الكفار » وهي دعاية مر عليها أمير المؤمنين مرور الكرام ولكنه لم يغفرها لصاحبها أبداً . وكان المأمون محباً للفرس ، كارهاً للعرب ، وكانت أمه فارسية كما كانت زوجته فارسية ، فلم يكن يشارك في كثير أو قليل البغدادى من أوساط الناس في تعصبه وتزمته . ومن سوء الحظ أنه اعتقد بصواب آراء المعتزلة حتى إنه عقد العزم على أن يفرضها على الناس فرضاً ، واختار محكاً لتجربته هذه مسألة خلق القرآن . وفي سنة ٨٢٧ أصدر قراراً يعاقب فيه كل من لم يقل بخلق القرآن وبأنه غير مساوٍ لله في القدم . وقد كان هذا القرار مثار سخط شديد لأنه بدعة . فالإسلام لا ينظر إلى الخليفة أبداً على أنه فقيه ديني . والعقائد فيه لا تفسرها الدولة وإنما يفسرها الفقهاء . وحيث إن العقوبات التي نص عليها في قراره الأول لم تكن كافية فقد أعاد إصدار القرار في أسلوب أكثر صرامة ، وضمنه الكثير من الشكوى المريعة المصطنعة من عدم طاعة أوامره وأقام « محنة » أو محكمة تفتيش يجوز أن يستدعى أمامها أى فرد فتمتحن آراءه الدينية وتوقع عليه الجزاءات إن لم تتفق آراؤه مع الآراء الرسمية المقررة . ووقع تحت طائلة هذا القانون بعض الشهداء

وعوقب الكثيرون بالحبس وغيره من الجزاءات . ومن بينهم أحمد بن حنبل وهو من أئمة الحديث والفقه الذين يتمتعون باحترام عظيم . وقد اعتبر كل هؤلاء الذين عذبوا من الأولياء .

٢٠٠ وحاول المأمون بعد وصوله إلى بغداد بعشر سنوات أن يعيد التجربة التي قام بها الجغرافي اليوناني إراتوستينيس (Eratosthenes) في قياس محيط الأرض . ولذلك جمع طائفة من العلماء في سهل سنجار غرب الموصل في بلاد ما بين النهرين . وكان أبرز هؤلاء أبو الطيب سند بن علي (المتوفى بعد سنة ٨٦٠) الذي أشرف فيما بعد على إقامة المرصد في بغداد ، ويحيى بن أبي منصور الميموني وهو مولى المأمون ، ثم العباس بن سعيد الجوهري (المتوفى بعد ٨٣٣) وعلى بن عيسى الإسطرلابي . وقد قُسم هؤلاء العلماء إلى فرقتين سارت كل واحدة منهما في اتجاه حتى لاحظت اختلافاً بمقدار درجة واحدة في ارتفاع القطب ، وعندئذ قاسوا المسافة التي قطعوها ، فوجد أن إحدى الفرقتين قطعت ٥٧ ميلاً ، وقطعت الأخرى ٥٨٤ ميلاً . وكان الميل الواحد يساوي ٤٠٠٠ ذراع أسود وهو مقياس للطول اخترع خصيصاً لهذه التجربة . وفي سنة ٨٢٢ أعيدت التجربة في قاسيان بالقرب من دمشق .

ولما غادر جبريل جنديساپور قاصداً بغداد خلفه على رئاسة المدرسة والبيارستان فيها أبوزكرياء يحيى بن ماسويه (المتوفى سنة ٨٥٧) وهو نسطوري كان أبوه يبيع العقاقير ، وتلقى علومه على عيسى بن نون الذي صار بطريقاً نسطورياً سنة ٨٢٣ . وفي هذا الوقت ارتفع شأن الطب حتى إنه صار المادة الأولى في المنهج التعليمي العلمي . ومن هنا صار من الشائع أن نجد رجال الدين من النساطرة وأنصار مذهب الطبيعة الواحدة في آسيا كثيراً ما يتعلمون الطب بدلاً من بعض الدراسات الأدبية والإنسانية . ولكن ابن ماسويه ترك جنديساپور إلى بغداد بإشارة من جبريل وقدم إلى بلاط الخليفة باعتباره طبيباً حاذقاً وأحد الذين يشتغلون بالطب اليوناني . وقد

ألف مقالة في طب العيون تسمى « دَغَلُ العين » أى أمراضها كما وضع طائفة من الحكمم الطبية تسمى « النوادر الطبية » وأهداها إلى تلميذه حنين بن إسحق . وقد بلغ هذا الكتاب شهرة عظيمة وترجم إلى اللغة اللاتينية ولكنه نسب خطأ إلى القديس يوحنا الدمشقى . وبلغ من تقدير الناس لكتاب ابن ماسويه فى « دَغَلُ العين » فى العصور المتأخرة أنه اختير من بين الكتب المقررة فى الامتحان الذى شرطه الخليفة القاهر (٩٣٢ - ٩٣٤) للحصول على إجازة مزاوله الطب . وقد كان هذا الامتحان من أول الأمر يعقد تحت إشراف ستان بن ثابت . وهناك كتاب آخر اسمه « الإرشاد إلى امتحان أطباء العيون » وهو يعزى إلى ابن ماسويه ، ولكنه عبارة عن مختصر به حشوقاًم على كتاب « دَغَلُ العين » ، والأرجح أنه صنف فى عصر متأخر ليستعين به المتقدمون للامتحان . و« دَغَلُ العين » هو « أقدم كتاب وصلنا فى طب العيون » ، ذلك أن الكتب اليونانية والسريانية وما صنف باللغات الأخرى فى هذا الفن قد ضاعت . وهو مكتوب بلغة عربية ركيكة . وفيه كثير من الاصطلاحات الفنية اليونانية والسريانية والفارسية وهو مصنف مشوب بالاضطراب ولا منهج له . ولا شك فى أنه قد حشى بإضافات متأخرة . وهناك مخطوطة كاملة منه فى مكتبة تيمور باشا (القاهرة) وأخرى فى لينينجراد (١) .

٢ — منيع بن إسحق

إن أشهر نقلة العلوم اليونانية إلى العربية على الإطلاق هو حنين بن إسحق العبادى (المتوفى سنة ٨٧٣ أو ٨٧٧) . ولنا لعرف الكثير عن سرته

(١) انظر « كتاب المقالات العشر » تأليف م . مايرهوف . القاهرة سنة ١٩٢٨ صفحة ٩ - ١٠ ؛ وفى الألمانية وضع م . مايرهوف ، س . پرويفر تحليلاً لهذا الكتاب وأثبتا مقتطفات منه فى طب العيون ليعيسى بن ماسويه Die Augenheilkunde des Juhanna ibn Masewaih المنشور فى مجلة الإسلام Der Islam العدد ٦ ، سنة ١٩١٥ صفحة ٢١٧-٢٥٦ .

ومؤلفاته مما كتبه عن نفسه في رسائله إلى علي بن يحيى سنة ٨٧٥ (١).
كان حنين من أهل الحيرة وكان أبوه مسيحياً (نسطورياً) يبيع العقاقير .
وتعلم العربية بعد أن تقدمت به السن ، فهو إذن لا ينتمي للطبقة الحاكمة
في الحيرة وهي الطبقة التي كانت تتكلم العربية . ومما يعزز هذا القول اسمه
« العبادى » الذى يدل على أنه كان من طبقة الشعب المحكوم في الحيرة .
وقد حضر في شبابه دروس ابن ماسويه (السابق الذكر) في جنديسپور .
وحظى باعجاب أستاذه حتى أنه جعله يقوم على تحضير العقاقير عنده .
ولكنه أحتق ابن ماسويه فيما بعد بكثرة ما كان يوجهه إليه من أسئلة
أثناء الدرس . وأخيراً نفذ صبر ابن ماسويه فقال « ما لأهل الحيرة
والطب ؟ اذهب واعمل صيرفياً في الطرقات » : وأخرج حنين باكياً (٢) .
فلما طرد من المدرسة ذهب حنين إلى بلاد اليونان وتمكن فيها من اللغة
اليونانية ، وعرف أصول نقد النصوص على الصورة التي بلغت طريقة
مدرسة الإسكندرية . وعندئذ رجع واستقر ردهاً من الزمان في البصرة
حيث تعلم العربية على خالد بن أحمد ثم توجه قبل عام ٨٢٦ بقليل إلى
بغداد وحصل فيها على رعاية جبريل ووضع له ترجمات لبعض مؤلفات
جالينوس . ومات هرون الرشيد سنة ٨٠٨ وخلفه المأمون سنة ٨١٣
بعد حكم الأمين القصير المضطرب ، فنشاط حنين إذن وقع في فترة
لاحقة لعصر هرون الرشيد ، إن ترجماته تفوق كل ما سبقها من ترجمات
وقد بهرت بروعتها جبريل فقدمه إلى أولاد موسى الثلاثة وهم من رعاة
العلم الأثرياء . لقد كان أبوهم موسى بن شاكر قد أمضى شطراً من حياته

(١) نشر . ج . برجستراسر (G. Bergsträsser) هذه الرسائل وترجمتها معتمداً على

مخطوطتين في مسجد أيا صوفيا في استانبول . (ليزج سنة ١٩٢٥) .

(٢) ابن القفطى صفحة ١٧٤ .

يقطع الطرق في خراسان ، وقد در عليه هذا العمل ربّما كبيراً ،
فتاب وعفا الخليفة عنه ، واستقر لينعم بقية حياته بالثقافة . وعهد بأبنائه
الثلاثة إلى الخليفة المأمون فعين لهم إسحق بن إبراهيم ومن بعده يحيى بن
أبي منصور معلمين . فتلقوا عليهما العلوم الرياضية . ولم يأبها كثيراً
بالطب ولكنهم رعوا حنين لبراعته في الترجمة . وقد بلغ أكبر أولاد موسى
وهو محمد مكانة عالية في عهد الخليفة المعتضد (٨٩٢ - ٩٣٢) وكان
بارعاً في الفلك والهندسة . وبرع ثانيهما أحمد في الرياضيات (الميكانيكا) ،
وبلغ الابن الثالث حسن شهرة عظيمة في الهندسة . وكان لهم منزل في
بغداد بالقرب من باب الطاق وهي البوابة الواقعة على الطرف الشرقي
من الجسر الرئيسي على نهر دجلة . ومدخله من الشارع التجاري الكبير
في شرق بغداد ، وقد ابتنوا في هذا البيت مرصداً ، أثبتوا فيه الأرصاد
فيما بين سنة ٨٥٠ و ٨٧٠ . والعالم مدين لهم بمقالة في الهندسة السطحية
والكروية وبمجموعة من المسائل الهندسية ، وبكتاب في الهندسة ترجمه إلى
اللاتينية جيرهارد (Gerhard) من أهل كريموني (Cremona) (المتوفى
سنة ١١٨٧) بعنوان « كتاب الأخوة الثلاثة في الهندسة » (١)
(Liber Trium Fratrum de geometria) . وقد استمر هذا الكتاب مدة
طويلة يستخدم كمقدمة وافية في الهندسة . لقد كان أولاد موسى رعاة
كرماء للبحث العلمي . وكانوا ينفقون أحياناً فيما يقول ابن أبي أصيبعة
خمسائة دينار (أو ما يقرب من ٢٠٠ جنيهاً) في الشهر الواحد على من
يرعون من العلماء .

لقد قدّم أولاد موسى حنين بن إسحق إلى الخليفة المأمون في ٨٢٨ -
٨٢٩ قبل وفاة جبريل يزمن . وبناءً على مشورة جبريل فيما يظهر أنشأ الخليفة

(١) نشره م . كورتز (M. Curtze) في Nova Acta d. Kais. Lop. Carol. في (١)
deutschen Akad. Naturforscher في المجلد ٤٩ صفحة ١٠٩ - ١٦٧ .

مدرسة سماها « دار الحكمة » وجعلها معهداً تعد فيه الترجمات لكتب علماء اليونان فتداول بين العرب . ووضع الخليفة حنين على رأس دار الحكمة . ومنذ ذلك التاريخ سارت الترجمة قُدُماً ، ولم يمض وقت طويل حتى وجد الطلاب من العرب أن قد تيسر لهم الاطلاع في العربية على الشطر الأكبر من مؤلفات جالينوس وأبقراط وبطليموس وإقليدس وأرسطو وغيرهم من فطاحل المؤلفين اليونان . وكان عمل الترجمة من شقين ، فقد كانت توضع الترجمات في العربية وفي السريانية على السواء . وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغنى عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس . وقد تم الصلح بين ابن ماسويه - وهو المدرس الذي طرد حنين من جنديساپور - وبين تلميذه القديم حنين وصار يعاونه بحجاسة . وكان لحنين أصدقاء آخرون كثيرون ومريدون ، معظمهم من أطباء جنديساپور الذين كانوا قد رحلوا إلى بغداد واستعموا اللغة العربية ، مثل سلمويه بن بنان الذي تخرج في جنديساپور وخدم المعتصم واختص بلاطه بعنايته كطبيب سنة ٨٣٢ م . كانت كل هذه الترجمات أفضل من الترجمات التي سبقها ، وكانت منقولة عن مخطوطات يونانية جيدة كان عمال الخليفة قد حصلوا على الكثير منها لما أنفذهم إلى بلاد الروم ومكّنهم من إنفاق مبالغ طائلة في سبيل شراء أفضل المخطوطات .

إن كل ما ترجمه حنين إلى السريانية هو عشرون كتاباً من كتب جالينوس ، اثنان منها نقلهما لبختيشوع بن جبريل ، واثنان لسلمويه بن بنان وواحد لجبريل وواحد لابن ماسويه ، كما راجع الترجمات الست عشرة التي وضعها سرجيوس الراسعيني . ونقل إلى العربية أربع عشرة مقالة ، ثلاثاً لحمد وواحدة لأحمد ، ابني موسى . وقد أخرج هو ومعاونوه ترجمات إلى السريانية والعربية ، ولو أن بعض معاونيه كانوا ولا شك بارعين في لغة دون أخرى . وأغلب مترجمي الجيل التالي تلقوا تدريبهم عليه أو على تلاميذه حتى أن

حينئذ ليمتاز بأنه رائد حركة الترجمة الدقيقة . ولو أن بعض ترجماته قد نقحها فيما بعد كتاب متأخرون .

وهكذا صار المنهج الكامل للمدرسة الإسكندرية الطبية في متناول الطلاب العرب ، وكان هذا المنهج يشمل طائفة مختارة من مقالات جالينوس هي :

- ١ - كتاب الفرق
- ٢ - كتاب الصناعة
- ٣ - كتاب إلى طوثرن في النبض
- ٤ - كتاب إلى اغلوقن في التأني لشفاء الأمراض
- ٥ - كتاب إلى طوثرن في العظام
- ٦ - كتاب تشريح العضل
- ٧ - كتاب تشريح الأعصاب
- ٨ - كتاب تشريح الأوردة والشرابين
- ٩ - كتاب الأصول بحسب قول أبقرط
- ١٠ - كتاب في الأمزجة
- ١١ - كتاب في القوى الطبيعية
- ١٢ - كتاب في العلل والأعراض
- ١٣ - كتاب في تعرف علل الأعضاء المصابة .
- ١٤ - كتاب في النبض (أربع مقالات)
- ١٥ - كتاب في أنواع (الحميات)
- ١٦ - كتاب في الأزمات
- ١٧ - كتاب في أيام البحران
- ١٨ - كتاب في حيلة البرء^(١)

(١) جاء في كتاب الفهرست لابن النديم ص ٤٠٣ ما يلي : ثبت الستة عشر الكتب وهي :
« كتاب الفرق . . . كتاب الصناعة ، كتاب إلى طوثرن في النبض ، كتاب إلى اغلوقن =

إننا نعرف مدى نشاط حنين وطريقته في الترجمة من سيرته التي كتبها لنفسه وهي « رسالات حنين بن إسحق » إلى علي بن يحيى سنة ٨٦٥ . وقد نشر المستشرق برجستراسر هذه الرسائل وترجمتها معتمداً على مخطوطتين في مسجد أياصوفيا في استانبول (طبعة لينزج سنة ١٩٢٥) وقد حلل هذا الكتاب الدكتور مايرهوف في مجلة « ليزيس » (الجزء الثامن سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٨٥ - ٧٢٤) .

لقد انصرم عهد المأمون سنة ٨٣٣ وخلفه أخوه المعتصم^(١) (٨٣٣ - ٨٤٢) فوجد أنه من الصعب كبح جماح أهل بغداد ، فكان حرساً من ممالك الأتراك ، ولكن هذا الحرس الذي كان يتمتع بمركز ممتاز سرعان ما شق عصا الطاعة فكان سلوكه مثار شكوى كثيرة . وانتقل المعتصم آخر الأمر مع بلاطه في سنة ٨٣٦ إلى « سرّ من رأى » سامراء ، واستقر فيها الخلفاء إلى سنة ٨٩٢ . وكان لهذه الاضطرابات أسوأ الأثر على الحياة العلمية وسرى الخراب إلى « دار الحكمة » ، ولم يقف سريانه إلا بان حكم الواثق القصير (٨٤٢ - ٨٤٧) .

ولما كان ابن الواثق أصغر من أن يكون أمير المؤمنين ، فقد بوع أخوه المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١) بالخلافة . ونتج عن توليته الخلافة تغيرات كثيرة ، فقد كان من سبقه من الخلفاء متساهلين في الدين ، بل إن المأمون كان يعدّ عادة من المفكرين الأحرار . ولكن المتوكل كان من

= في التأني لشفاء الأمراض ، كتاب المقالات الخمس في التشريح ، كتاب الاسطقصات ، كتاب المزاج ، كتاب القوى الطبيعية ، كتاب العلل والأعراض ، كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنية ، كتاب النبض الكبير . . كتاب الحمايات ، كتاب البحران ، كتاب أيام البحران ، كتاب تدبير الأصحاء ، كتاب حيلة البرء . (المراجع)

(١) ذكر المؤلف أن المأمون خلفه ابنه المعتصم وصحبه أخوه المعتصم بن الرشيد . أما ابن المأمون فهو العباس الذي اغتيل في مؤامرة دبرها له المعتصم - ولم يل أحد أبناء المأمون الخلافة مطلقاً . (المراجع)

أهل السنة الورعين ومتعصباً لسنّيته . ولعله توجس خيفةً من موقف مسيحيي سوريا العدائي ، وكان المتوكل يهوى لإيلاء الناس وكان شريراً قُلُوباً قاسياً . ولم يكن المتوكل نفسه عالماً مثل المأمون ولكنه كان راعياً للعلم والدرس ، وقد أعاد فتح « دار الحكمة » وبذل لها الهبات من جديد . وتمت أحسن أعمال الترجمة في عهده ، ذلك أن تدريب المترجمين وتجارهم آتت ثمارها في عصره :

ولم تكن صلوات المتوكل الشخصية بحنين على وتيرة واحدة . فقد قيل إن الخليفة أمره بإعداد السم لخصومه ، فلما رفض حنين لإجابة طلبه ألقي به في السجن ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أطلق سراحه ، وبرر تصرفه هذا بأنه أراد أن يمتحن مبلغ تمسكه بالتقاليد المتعارفة في صناعة الطب . ثم اتهمه طبيب نسطوري اسمه لإسرائيل بن زكرياء الطيفوري أو لعله صديقه بختيشوع ، بالزيف ، أي الزيف من العقيدة النسطورية ، لأن حنين لم يعتنق الإسلام أبداً . وكانت الكنيسة النسطورية مثل سائر الطوائف الدينية المعترف بها تتمتع بالحكم الذاتي في مسائلها الخاصة . وكان في مكتبها أن تعاقب الزائغين أو من يسيئون إليها من أبنائها . فلا مبرر إذن لإقحام الخليفة المتوكل في قولهم بأنه أمر حنين أن يصبق على صورة « والدة الإله المقدسة » فلما رفض أسلمه إلى الجنائيق النسطوري ثيودوسيوس فجلده وسجنه . والمفهوم من القصة أن المتوكل دعاه إلى ترك المسيحية فلما رفض أسلمه إلى الجنائيق النسطوري ليعاقبه . والقصة على كل حال مبهمة مضطربة ولعلها تنطوي على صدى لما كان يومئذ في الكنيسة الشرقية من جدل حول عبادة الصور المقدسة (الأيقونات) . وأكثر من ذلك فقد صادر المتوكل أملاك حنين وفيها مكتبته . وقد حرّزت هذه المصادرة في نفسه . ولكنه بعد أربعة أشهر أطلق سراحه وأعيدت إليه أملاكه ، وذلك بعد أن توفر على علاج كبير من

كبراء البلاط ووفق في شفائه توفيقاً عجيباً . وأخرى بهذه المسألة كلها أن تكون من دسائس أطباء البلاط ، فعندما أطلق سراح حنين ألزم سائر أطباء البلاط بأن يدفعوا له عشرة آلاف درهم على سبيل التعويض .

وعاش حنين بعد أن أطلق سراحه عشرين سنة أنفقها وضع ترجمات وتصحیح ما وضعه غيره من ترجمات . وفي سنة ٨٦١ اغتال الحرس التركي الخليفة المتوكل بإيعاز من ابنه المنتصر . وكان حنين يتمتع برضا المنتصر (٨٦١ - ٢) ورضا خلفائه : المستعين (٨٦٢ - ٦) والمعتز (٨٦٦ - ٩) والمهتدي (٨٦٩ - ٨٧٠) والمعتمد (٨٧٠ - ٨٩٢) . وكان حنين يعمل في ترجمة كتاب جالينوس في « قانون صناعة الطب » (De constitutione artis medicae) عندما وافته المنية سنة ٨٧٣ بحسب ما جاء في « الفهرست » أو في ٨٧٧ بحسب قول ابن أبي أصيبعة وهو ليس بثقة في تواريخه . وكان حنين كما جاء في ابن أبي أصيبعة مؤلف أكثر من مائة كتاب من وضعه ، ولكن لم يبق من هذه الكتب إلا القليل . ويجب أن ينسب الفضل في أن حنين كان أعظم المترجمين إلى مدرسة جنديساپور . ولو أنه اكتسب علمه الواسع الدقيق مما حصله في « بلاد اليونان » لأن الذي شجعه على القيام بهذه الرحلات وهذه الدراسات هو ما تعلمه في جنديساپور على ابن ماسويه .

ومع أن المتوكل كان يهوى الشر وكان متعصياً صلب الرأى ، فقد كان راعياً سخياً للبحث العلمى . والمعروف أنه أجرى العطايا على « دار الحكمة » من جديد . وهذا يعنى على الأرجح أن « دار الحكمة » أعيد فتحها بعد فترة الاضطراب التي أعقبت موت المأمون ، وأن أوقافها أعيدت إليها . وقد ظهرت أجمل أعمال دار الحكمة في عهد المتوكل ، لأن التجارب السابقة قد آتت ثمارها في عهده كما أن حنين أحاط نفسه بتلاميذ مدرّبين أحسن تدريب .

ومن بين هؤلاء الذين عملوا مع حنين يجب أن نذكر ابنه إسحق المتوفى في نوفمبر سنة ٩١٠ أو ٩١١ وابن أخيه حبيش بن الحسن وقد كان يعمل في عصر المتوكل . وقد نقل إلى العربية النصوص اليونانية لإبوقراط ومؤلفاً لديوسقوريدس في علم النبات ، صار فيما بعد أساس علم العقاقير عند العرب (انظر بعده) . ومما يستحق الذكر أن أكثر أسماء النباتات في اللغة العربية تدل على أنها قد انتقلت عن طريق آراي (سرياني) (١) :

وثمة تلميذ آخر جدير بالذكر هو عيسى بن يحيى بن إبراهيم ، فقد ترجم إلى العربية مؤلفات طيبة يونانية . على أن العلماء البارزين في الجيل الذي تلى حنين كانوا كلهم تقريباً من تلاميذه .

وبالرغم مما يقال من أن حبيشاً هو مترجم كتاب ديوسقوريدس فإن الترجمة العربية الشائعة تعزى على الأكثر إلى أحد تلاميذ حنين وهو اسطفان ابن باسيل الذي ترجم الكتاب إلى السريانية ، وهذه الترجمة السريانية هي التي نقلها حنين نفسه (أو حبيش) إلى العربية لمحمد بن أولاد موسى . وقد وضعت فيما بعد ترجمة أخرى مستقلة لكتاب ديوسقوريدس في أسبانيا (قارن بعده) .

٣ - مزمومة آفرويه :

حوالى سنة ٩٠٨ ترجم الكاهن المسيحي يوسف الحورى القس كتاب أرشميدس في المثلثات (وقد ضاع) من ترجمة سريانية ، وقد نقح هذه الترجمة فيما بعد ثابت بن قرة : ووضع القس أيضاً ترجمة عربية لكتاب جالينوس « في الأمزجة والقوى البسيطة » ، وقد نقحه فيما بعد حنين بن إسحق .

(١) انظر لو (Loew) أسماء النباتات الآرامية (Aramäische Pflanzennamen) سنة ١٨٨١ .

وحوالى هذا الوقت عاش قسطا بن لوقا البعلبكي (المتوفى سنة ٩١٢ - ٩١٣) وهو مسيحي سرياني ترجم إيسقلاوس (Hypsicles) وقد نقحه فيما بعد الكندي ، وترجم كتاب « الكرويات » لثيودوسيوس (Theodosius) وقد نقحه فيما بعد ثابت بن قرة ، وترجم كتاب « الحيل » (الميكانيكا) لهيرون (Heron) وكتاب أوطولوقس (Autolycus) وكتاب « السماء » لثيوفراسطوس (Theophrastus) كما ترجم ثبت مؤلفات جالينوس ، وكتاب يوحنا فيلونيونوس عن « فى الطبيعة » لأرسطو ، وكتباً أخرى كثيرة . كما أنه نقح الترجمة القديمة لكتاب إقليدس .

وترجم أبو بشر متى بن يونس القناني (المتوفى سنة ٩٤٠) كتاب أرسطو فى « الشعر » .

وترجم أبو زكرياء يحيى بن عدى « المنطقى » (المتوفى سنة ٩٧٤) وهو من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة كتباً فى الطب والمنطق منها كتاب « المدخل » لأمونيوس وهو مقدمة لكتاب « إيساغوجى » لفورفوريوس .

ونذكر إلى جانب هؤلاء المترجم المتأخر الحنين بن إبراهيم بن الحسن ابن خورشيد الطبرى الناطلى (المتوفى سنة ٩٩٠) وكذلك أبا على عيسى ابن إسحق بن زرعة (المتوفى فى ١٦ أبريل سنة ١٠٠٨) وهو من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، وقد وضع ترجمات لكتب طبية وفلسفية . وبهؤلاء تنتهى سلسلة المترجمين فى آسيا ، وبعدها يتحول النشاط إلى الشرح والتفسير مع تنقيح الترجمات القديمة بين الحين والحين .

وتظهر آخر مراحل حركة الترجمة فى الأندلس أى فى أسبانيا تحت الحكم العربى ، فقد أقام فيها الأمير الأموى الهارب عبد الرحمن مملكة مستقلة سنة ٧٥٥ ؛ وكان ثامن أمراء هذه الدولة عبد الرحمن الثالث ، وقد اتخذ لقب « خليفة » سنة ٩٢٩ ولذلك فقد كان هناك خلفاء فى قرطبة من

سنة ٩٢٩ إلى سنة ٩٧٨ وكانت علاقاتهم في العادة متوترة مع العباسيين في الشرق ولكنها كانت طيبة مع إمبراطور بيزنطة عدو العباسيين . وقد أنفلد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع سنة ٩٤٩ بعثة إلى قرطبة ، وكان من الهدايا التي أرسلها إلى عبد الرحمن نسخة من ديوسقوريدس باليونانية مع صور ملونة لكثير من النباتات الموصوفة في المتن . واسترعى هذا الكتاب انتباهاً كبيراً ، ولكن لم يكن في قرطبة من يقرأ اليونانية ، ولذلك عندما كتب الخليفة للإمبراطور شاكرأ له هديته طلب إليه أن يرسل له من يستطيع أن يترجم الكتاب ويفسره . وفي سنة ٩٥١ أرسل الإمبراطور راهباً مسيحياً هو نيقولاس (Nicolas) وكان يتكلم العربية . ولم يقيم نيقولاس بوضع ترجمات لكتاب ديوسقوريدس وغيره من الكتب اليونانية فتحسب ، بل بدأ أيضاً يعلم اليونانية . وقد أثارت دروسه حماساً بالغاً وكان يحضرها كثيرون من رجال البلاط ومنهم حسداى بن شاپروت الوزير اليهودي . وكان يوجد في العربية ترجمات لديوسقوريدس منها ترجمة حنين بن إسحق التي نقلها من الترجمة السريانية التي وضعها تلميذه اصطفان بن باسيل والترجمة التي وضعها الناطلي للأمير أبي علي السنجوري . ولكن ترجمة نيقولاس كانت تفضلها فقد بذل جهداً في التعرف على النباتات الموصوفة فوضع بذلك أساس دراسة جدية للنباتات سرعان ما آتت ثمارها في مصنفات أبي داود سليمان بن جُلجل (حوالى سنة ١٠٠٠) وهو طبيب هشام الثاني خليفة عبد الرحمن . وقد صنف ملحقاً لكتاب ديوسقوريدس وصف فيه طائفة من النباتات التي توجد في أسبانيا وهي بلاد غنية جداً بأنواع النباتات المختلفة التي لم تكن معروفة للمؤلف اليوناني . ومع أن المحصول الثقافي في الأندلس كان طيباً جداً وبالرغم من أن عصر عبد الرحمن الثالث كان عصراً ذهبياً في الحضارة الأندلسية ، فلم توضع فيها ترجمات أخرى من اليونانية فيما يظهر . والترجمة الأندلسية

لكتاب ديوسقوريدس التي وضعها نيقولاس موجودة في مخطوطة في مكتبة بودليان [بأكسفورد] ، والظاهر أن الترجمة القديمة التي وضعها حنين بن إسحق أو الناطلي لم تكن معروفة على الإطلاق في أسبانيا .

٤ - ثابت بن قرة :

لثابت بن قرة مكانة ممتازة بين من نقحوا وأصلحوا الترجمات العربية للكتب الرياضية والفلكية ، وهو يزود العربية بمصطلح جديد للاهتمام بالثقافة اليونانية . فقد كان ثابت بن قرة من أهل حرّان وهي مدينة كاراي (Charrae) القديمة ، التي تشبّث فيها الناس بوثنياتهم العتيقة ، ولو أن الآلهة التي كانت تعبد فيها كانت تحمل بعض أسماء مجمع الآلهة اليونانية . وكانت حرّان تقع في وسط منطقة الثقافة السريانية المسيحية ، بين مدينتي الرها ورأس عين على نهر بلياس وهو رافد صغير من روافد الفرات الأعلى . واشتهرت بلغتها الآرامية الفصحى . وتعزى فصاحة لغتها أحياناً إلى تحررها نسبياً من المؤثرات اليهودية والمسيحية ، ولو أن أسقفاً مسيحياً كان في الواقع يعد حرّان مركز كرسية الأسقفى وعلى ذلك فلا بد أنه كانت فيها طائفة مسيحية . ويبدو أن حرّان كانت على صلة بالنهضة العلمية اليونانية التي أثرت على الكنيستين النسطورية واليعقوبية جميعاً ، وكانت ثقافتها مصطبغة أشد الاصطباغ بالأفلاطونية الحديثة (١) .

وإننا نتلمس معلوماتنا عن ديانة حرّان القديمة بوجه خاص من الملاحظات التي ساقها الدمشقي المتوفى سنة ١٣٢٧ م . بعد أن كان النسيان قد جر ذبوله على المدينة بزمان طويل . فلم يتيسر له إلا جمع الأخبار المتواترة عن دينها . وقد تلخص كولسن (Chwolson) هذه الأخبار

(١) انظر Die Ssabier und der Ssabismus لمولنه (Chwolson) ، الجزء الثاني

في كتابه « الصابية ومذهب الصابئة » . ولأننا لنعلم من هذا الكتاب أنه كان للحرانيين في أول الأمر خمسة معابد كبرى مكرسة على التوالي لليلة الأولى ، وللعقل الأول وللمحرك للعالم ، وللصورة وللروح . وكان لهم أيضاً سبعة معابد أخرى مكرسة للكواكب السيارة السبعة . وليس من الطبيعي أن تتمتع مدينة وثنية بالجزية الدينية في ظل الحكم الإسلامي . ولم يكن عدم تعرض الحكومة لها راجعاً إلى خول المدينة ، فقد كانت قصبة ولاية ديار مُصَرَّ ، وكانت أيام الخليفة الأموي الأخير مروان الثاني (الجعدي) مقراً للبلاط وديوان الحكومة . ويروى الفهرست قصة فحواها أن المأمون اجتاز في آخر أيامه بحرّان يريد بلاد الروم للغزو . فأنكر هو وحاشيته هيئة الصابية الغربية الزرية فسأل عنهم ، وارتاع لما علم بأنهم وثنيون . ويوحى هذا الكلام بأن مدينة حرّان كانت مجهولة لدى المسلمين عامة وأنها كانت منطقة بعيدة منفصلة ، وهو ليس بصحيح . وقد أمرهم المأمون أن ينتحلوا ديناً من الأديان المعترف بها وهي الإسلام أو اليهودية أو النصرانية أو المزدكية قبل أن يرجع من سفرته هذه ، وقضى أن المأمون توفي في هذه السفرة . وارتاع الصابية لما هدد به المأمون فدخل الكثيرون منهم في الإسلام أو المسيحية . إذ يبدو أن المزدكية لم تعد في ذلك الحين قادرة على تحويل الناس إليها . ولكن شرذمة من الصابية بقيت على وثنيّتها وجعلوا يحتالون للنجاة من غضب الخليفة ، فانبرى لهم شيخ فقيه يدّهم على طريقة ينجون بها من غضب الخليفة لقاء أجر . فلما حملوا إليه أجره نصّحهم بأن يقولوا إنهم الصابئة لأن هؤلاء مذكورون في القرآن من بين أهل الكتاب ، (سورة ٢ آية ٥٩^(١) ؛ سورة ٢٢ آية ١٧^(٢) ؛ سورة ٥

(١) سورة البقرة ، آية ٦٢ . (المراجع)

(٢) سورة الحج ، آية ١٧ . (المراجع)

اية (٧٣) (١) ولا يعرف أحد من هم الصابئة . ومن الواضح أن هذه القصة مشكوك في صحتها . فمن غير المعقول أن الحرائين كانوا مجهولين إلى هذا الحد في أيام المأمون فقد اضطهدهم أبوه هرون الرشيد لأنهم زنادة ، كما أن حرّان كانت مقر الحكومة أيام مروان الثاني (الجعدي) . فالقصة إذن لا تعدو أن تكون محاولة لتفسير كيف صار الحرائيون يسمون الصابئة . وهو اسم تأكيد لدينا الآن أنه لا ينطبق عليهم ، لأن الصابئين الحقيقيين كانوا قوماً من بلاد العرب الجنوبية . ولم يكن لأهل حرّان صلة بهم . أما المندعيون وهم سكان جنوب الفرات فيعرفون بالمغتسلة . ويسمى آباء الكنيسة والريون بالمغتسلة بالدم . وقد اكتسبوا هذا الاسم لكثرة تطهرهم وتحنّهم فيه . وكان هؤلاء يسمون في الآرامية الصبائين من كلمة صبأ أى الناجين . وكان المندعيون أغنوسطين يميلون إلى المعتقدات النجومية ولعلمهم كانوا فعلاً من عباد النجوم . ولم يكن أهل حرّان من الأغنوسطين ولكن كان لهم معابد موقوفة على الكواكب ، وهذا ما يبرر إلى حد ما الخلط بينهم وبين المندعين . وقد اختلطت الأفلاطونية الحديثة في حرّان بالمعتقدات الأغنوسطية . ومما له دلالة واضحة أن الحرائين ادعوا أن ديانتهم انحدرت إليهم من هرمس (Hermes) . والقصة كلها مثل طريف - ولو أنه ليس فريداً في باب - على الطرق التي كان الناس يتحايلون بها أحياناً للهرب من الشريعة الإسلامية .

كان ثابت بن قرّة (المتوفى سنة ٩٠١) في الأصل صيرفياً في سوق حرّان ولما تحول إلى الفلسفة نبغ فيها . وحذق اللغات الثلاث اليونانية والسريانية والعربية . . . وألف بالعربية حوالى مائة وخمسين كتاباً في المنطق والرياضيات والفلك والطب ، وألف في السريانية خمسة عشر كتاباً آخر (٢) . وأصدر رئيس كهنة حرّان قراراً بحرمانه حوالى سنة ٨٧٢ ،

(١) سورة المائدة ، آية ٦٩ . (المراجع)

(٢) ابن العبري . « تاريخ مختصر الدول » . الجزء العاشر صفحة ١٧٦ .

ولا نعرف سوء الحظ شيئاً عن التنظيم الكنسى فى حرّان ، وأرسله رئيس الكهنة إلى كفرتوثا بالقرب من دارة ولكنه ظل ثابتاً على دينه وقال : « إن آباءنا بمعونة الله صمدوا وجهروا بالقول ، ولذلك فلم تنجس هذه المدينة أبداً بخرافة الناصرى (المسيحية) . ونحن ورثهم والناقلون عنهم الوثنية فى هذا الجليل : سعيد من يحمل عبثه تشد عزمه الوثنية^(١) . وقال إن الوثنيين هم الذين حرثوا الأرض ، وأنشأوا المدن وابتنوا الموانى واكتشفوا العلوم^(٢) : وبعد أن جال فى بلاد كثيرة التقى بمحمد أحد أولاد موسى فعرف فضله واستصحبه إلى بغداد وفيها أنجز أكثر أعماله . فقد وضع ثابت ترجمات لأبولونيوس وأرشميدس وإقليدس وبطلميوس وثيودوسيوس أولعله نقح الترجمات القديمة . كما أنه ألف كتباً كثيرة فى الفلك والرياضيات . وقد قيل إنه مستول عن الصورة الآلية التى وصل بها إلى العرب كتاب « الهيئة » لبطلميوس فى الكون ، ولكن من الصعب التدليل على صحة هذا القول . وقد أدخل فى الرياضيات نظرية الأعداد الوفاقية وهى نظرية صينية . وهذه الأعداد هى التى يكون مجموع أجزاء أحدهما مساوياً للثانى ومجموع أجزاء الثانى مساوياً للأول . فمثلاً إذا كانت :

$$١ - ٢ = ١ \quad \text{و ك} = ٣ \times ٢ = ٦$$

$$١ - ٢ = ١ \quad \text{بفرض أن } ٢ \text{ عدد صحيح .}$$

$$\text{إذن } ١ = ٢ \text{ ب ك}$$

$$\text{ب} = ٢ \text{ ج ،}$$

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

٢٣٩

فإذا فرضنا أن $٢ = ٥$

$$\text{إذن ب} = ٢ \times ٣ = ٦ - ١ = ٥$$

$$\text{و ك} = ٢ \times ٢ = ٤ - ١ = ٥$$

$$\text{و ج} = ٢ \times ٩ = ١٨ - ١ = ١٧$$

ولإذن فالأعداد الوفاقية هي ١ = ٣٢٠

$$\text{ب} = ٢٨٤$$

ولا يمكن أن تنتج هذه الأبحاث نتائج هامة ولكن مسلمة الجريطة وقليلين غيره من رياضيي العرب قد تابعوها .

وكان لثابت ابن يسمي أبو سعيد طبيباً للخليفة القاهر . وكان أبو سعيد هو الآخر وثنياً وحاول الخليفة أن يهديه إلى الإسلام : وصار يتوعده بأشنع الوعيد إن لم يفعل ، حتى هرب الطبيب التحس إلى خراسان وبقي بها إلى أن توفي القاهر . وعندئذ رجع إلى بغداد وعاش بها إلى وفاته سنة ٩٤٣ ، وكان لثابت تلاميذ كثيرون كان أحدهم مسيحياً اسمه عيسى بن أسيد وقد ترجم إلى العربية كتباً متعددة كان ثابت قد وضعها في السريانية .

وحوالى سنة ٩٣٢ - ٩٣٤ حل الخراب بمدينة حرّان إما على يد العلويين كما يقول الحموي أو على يد من غزاها من المصريين كما يقول الدمشقي . وقد وصف المؤرخ المعاصر ، يوحنا الأنطاكي هذا التخريب .

وفي سنة ٩٧٥ استصدر أبو إسحق بن هلال كاتب الخليفتين ، المطيع والطائع ، قراراً بالتسامح الديني مع الصابئة في حرّان ، وكان كثير منهم في بغداد ، وكانت لا تزال شذمة منهم باقية إلى القرن الحادي عشر . وكان

أشهرهم الرياضي أبو جعفر الخازن وقد تحول إلى الإسلام ، وابن الوحشية الذي ألف الكتاب المعروف باسم « الفِلاحَة النبطية » وكان يزعم أنه مترجم من البابلية القديمة . وقد فرغ من تأليف هذا الكتاب سنة ٩٠٤ وهو عبارة عن مجموعة من المعتقدات والخرافات والأساطير الشعبية . وليس في الكتاب معلومات نباتية على الإطلاق ، وإنما هدفه الوحيد التدليل على أن الحضارة البابلية القديمة ازدهرت قبل قيام العرب بأحقاب طويلة ، وأن الثقافة العربية أحدث وأدنى منزلة من الثقافة البابلية . والحق إن الكتاب شاهد على شدة الشعور المضاد للعرب وهو شعور اصطبغ به صدر العصر العباسي . ولم يكن لهذا الكتاب من أثر في تطور الثقافة العقلية بين المسلمين العرب .

وبعد أن خربت حرّان سنة ٩٣٢ — ٩٣٤ أعيد بناؤها ، ولكنها خربت من جديد سنة ١٠٣٢ ولم يبق قائماً فيها إلا معبد القمر الكبير . ومع ذلك فقد ظلت المدينة قائمة بعد هذه الأحداث المنحوسة وقد زارها ابن جبير سنة ١١٨٤ ولكن أبا الفداء لم يجد منها سنة ١٣٣٢ إلا قرية خربة في مكانها .

الفصل الثالث عشر

الفلاسفة العرب

تلقد تغلغلت آراء أرسطو في مدرسة الإسكندرية في عصرها المتأخر ، ولم يكن من محيى من انتقال أثره إلى العالم المسيحي ومنه إلى العالم الإسلامي . لقد ازدهرت دراسة السريان لأرسطو في الرّها في القرن الخامس ، وكانت فلسفته في ذلك الحين تعنى المنطق بوجه خاص . وقد اقترن بكتب أرسطو في المنطق كتاب إيساغوجى لفورفورىوس ، ومختصر فلسفته العام الذى وضعه الكاتب السريانى « الدمشقى » . وتوفر الناس على دراسة كتيبه دراسة عميقة باستعمال الشروح ، وكان أولها الشرح الذى وضعه الكاتب السريانى بروبوس (Probus) ، ثم شروح الكاتبين الإسكندريين أمونىوس ويوحنا فيلوبونوس . وهنا نلاحظ أن هذه الكتب التى استعملت لتفسير فلسفة أرسطو كانت في الأكثر متأثرة بالأفلاطونية الحديثة . وقد استمر هذا المنزع الأفلاطونى الحديث في الفلسفة العربية وأثر فيها وفي علم الكلام الإسلامى . وما زاد في قوة هذا الأثر قبول مختصر تاسوعات أفلوطين الرابعة والخامسة والسادسة على أنه « إلهيات أرسطو » وأنه صحيح النسبة إليه .

ذاعت شهرة أرسطو بين العرب منذ بدعوا يوجهون إتهامهم إلى المؤلفات العلمية اليونانية . ومع ذلك فلم يكن في متناول أيديهم ردحاً من الزمان من فلسفته الحقّة إلا ما انتقل إليهم بطريق غير مباشر وشابه سوء العرض . وعند ما عرفوا مؤلفاته أحسن من ذى قبل وجلوا أنها ليست كما يشتهون تماماً خصوصاً في نظرية أزلية الكون التى تناقض تعاليم القرآن فيما يختص بخلق العالم ، وفي نظرية إنكار العناية الإلهية الخاصة وهى تتضارب مع فكرة أن الأمور كلها بيد الله كما جاءت في القرآن ، وفي نظرية إنكار نشور الجسم — وكلها مسائل

رأى أهل السنة أنها لا تقل عن الكفر سوءاً . وقد قبل الناس أرسطو في مبدأ الأمر على أنه منطقي ، ولكن وضعت الترجمات فيما بعد لبعض مقالاته . في التاريخ الطبيعي كما وضعت ترجمة معيبة جداً لكتابه « فيما وراء الطبيعة » أو المتافيزيقي وأضيفت إليهما عدة كتب أخرى منحولة عليه لم يلتصق به منها إلا الكتاب المسمى « بإلهيات أرسطو » .

وتبدأ دراسة أرسطو الجدية بأبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (المتوفى بعد سنة ٨٧٣) ويعرف عادة باسم « فيلسوف العرب » ، وكان من أصل عربي قح ولذلك فن الغريب أن تنعته « شهر مقالة » بأنه يهودى بالرغم مما كان يصدر دائماً من تأكيد نقاء سلالة العربية . وقد ولد الكندي في الكوفة فقد كان أبوه والياً عليها . وتلقى العلم في البصرة وبغداد وكان لا يزال على قيد الحياة سنة ٨٧٣ . وقد عمل أول الأمر مترجماً ، ولم يقم بأى عمل أصيل ، إلى أن أثبت كفايته بنقل الكتب اليونانية الفلسفية والعلمية . فانصرف انصرافاً تاماً لفلسفة أرسطو . ويعتبر الكندي على رأس القائمة في رهط الفلاسفة العرب الذين اتبعوا المدرسة الأرسططاليسية الجديدة دون موارد . وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم العرب لفظ الفلاسفة مستعملين هذا اللفظ في الدلالة على من وجدوهم أعضاء فرقة ذات نزعات مجافية لآراء السلف على التحقيق . لقد كانت آراء الكندي في الإلهيات من نوع آراء المعزلة أو الأفكار العقلية التي سادت بلاط المأمون والتي كان الخليفة المأمون يحاول أن يفرضها على الناس عامة بأن أصدر قراراً يعلن فيه أن القرآن مخلوق ، وليس قديماً قدم الله . وقد نصَّب المأمون الكندي مؤدباً للأمير الذي تولى الخلافة بعد موته باسم المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٧) . ويقال إن الكندي ترجم له الكتاب المسمى « بإلهيات أرسطو » ، ولو أن ترجمة هذا الكتاب تعزى كذلك إلى عبد المسيح الحمصي وهذا أكثر رجحاناً ، لأن الحمصي كان مسيحياً سورياً وكان الكتاب يحد في سوريا الترجيب الأوفى . ولعل الحمصي هو الذي ترجم الكتاب وقام

الكندى بتنقيحه . ولا شك أن الكندى قبيل الكتاب على أنه صحيح النسبة لأرسطو ، فقد أخذ بما جاء فيه وهو طراز من اللاهوت الصوفى ينجح في يسر نحو مذهب وحدة الوجود . والحق إن النزوع نحو مذهب وحدة الوجود كان ظاهراً على الدوام في الفلسفة العربية الأرسطاليسية . وكان الكندى مثل سائر الفلاسفة العقليين موضع اتهام عندما ولى المتوكل الخلافة سنة ٨٤٧ وهو سنّى صارم . وقد عوقب الكندى مثل حنين بن إسحق بمصادرة مكتبته ولكنها أعيدت إليه بعد حين .

وللكندى أهمية خاصة ، وترجع هذه الأهمية إلى قبوله لأرسطو بغير تردد على أنه « الفيلسوف » وليس مجرد معلم للمنطق . وأعلن أنه تلميذه واعتبر أستاذه حجة يكاد يكون ملهماً . فهو بهذا مؤسس المدرسة العربية الأرسطاليسية . وانصرف نشاطه الجلى إلى ترجمة كتب الفيلسوف ، وتعريف العرب بتعاليمه تعريفاً صحيحاً يغنيهم عن الأفكار المبهمة المغلوطة التي جمعوها . وتزيدوا فيها عند أخذها من شراح فلسفته من السريان . وكانت تعاليم أرسطو تقبل في المدرسة العربية الأرسطاليسية حتى ولو تعارضت مع النصوص الحرفية في القرآن ، ونظروا إلى فلسفته على أنها الحق الذى لا يهتدى إليه إلا المستنبطون ، أما القرآن والسنة فيسدان من حاجة العوام ، وهما أصلح ما يصلح لهم^(١) . وقد غالى بعض أتباع هذه المدرسة فقالوا إن للقرآن معنى خفياً لا يعقله إلا ذوو الفطنة والمعرفة ، وإن هذا المعنى يتفق مع تعاليم أرسطو . وتلك هى المشكلة المعهودة ، فإذا آمنا أن العلم والوحى كليهما حق ، فلا بد أن يتفقا على نحو ما حتى إذا بدا كأن الواحد يناقض الآخر .

عاش أبو نصر محمد الفارابى (المتوفى سنة ٩٥٠) فى بلاط سيف الدولة فى حلب ، وهو الذى صاغ فعلاً التعاليم الفلسفية فى المدرسة العربية الأرسطاليسية . فقد أسس عمله على معرفة وثيقة بنصوص كتب أرسطو .

(١) لقد جانب المؤلف الصواب فى عرض هذا رأى ، فانساق وراء الغلاة من الغربيين وخصوص الإسلام . (المراجع)

التي تأتت له بمجهودات الكندي . وكان الفارابي من عائلة تركية مما وراء النهر ولكنه تلقى العلم في بغداد على الطبيب المسيحي يوحنا بن هيلم وأبي بشر متى الذي ذكرناه بين المترجمين . وكان الفارابي من مفسري أرسطو. وأنشأ في الفلسفة مذهباً مؤلفاً من عناصر أرسطاليسية وأفلاطونية حديثة . وكانت الأفلاطونية الحديثة تعد حينئذ النفس الصحيح للعالم « الفيلسوف » ، وكان من ثمار هذا التأليف ظهور نوع من الأفلاطونية الحديثة . ولذلك صار الفارابي يعرف « بالمعلم الثاني » بمعنى أنه الحجة الكبرى بعد أرسطو . وقد اعترف الفارابي بصحة القرآن ولكنه اعترف أيضاً بأن الفلسفة صحيحة . ولهذا لا بد أن يتفق الاثنان . فإذا كانا يبدو أنهما على خلاف في بعض المواضع فلا بد من اتخاذ الخطوات للتوفيق بينهما ، لأن الحق واحد ، أما الاختلافات الظاهرية فيمكن تحليلها وتبريرها .

لقد افترض الفارابي أن أفلاطون وأرسطو متفقان . وكان هذا هو الرأي المقبول يومئذ . وحيث إن أفلاطون كان معروفاً في الصورة الأفلاطونية الحديثة التي صوره بها فرفوريوس ، فقد نتج عن مزجهما أن صار المذهب الذي اهتدى إليه الفارابي مصطبغاً أشد الاصطباغ بالأفلاطونية الحديثة . « وجاء المتدينون بعنصر ثالث إلى هذين العنصرين هو القرآن . ولا شك أنها أعجوبة خالدة وشهادة رائعة على براعة هؤلاء الفلاسفة وصبرهم حتى إنهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، وإن الحركة الفلسفية لم تنته إلى جنون محقق . أما أن الفارابي كان كاتباً مدققاً ومفكراً وعالمياً واسع الأفق ، وأن ابن سينا كان عالماً ومنطقياً حاذقاً وواضحاً إلى هذا الحد ، وأن ابن رشد قد عرف - وعرف بحق - أرسطو وشرحه كما فعل ، فيدل على أن العقل الإنساني عقل فتى سليم مهما قبل فيه ، وأنه بالسليقة قادر على أن يرفض وينقض عنه الهراء والأكاذيب » (١) . وما لا يخلو من دلالة

(١) د . ب . ماك دونالد (D. B. Macdonald) « تطور علم الكلام في الإسلام »

Development of Muslim Theology ص ١٦٣ .

أن كل علماء العرب وفلاسفتهم العظام تقريباً كانوا يُعدون من أتباع أرسطو ويرجعون بأصولهم الفكرية إلى الكندي والفارابي ، وصرح معظمهم بالانتفاء إلى هذه المدرسة .

ولكن دراسة الكندي لفلسفة أرسطو في أدق حالاتها لم تقض قضاء مبرماً على الفلسفة شبه الأرسطاليسية المشوشة التي شاعت من قبل بين العرب يوم كان علمهم بفلسفته علماً ناقصاً . والأرجح أنه في مستهل القرن العاشر اجتمعت في بغداد طائفة أطلقت على نفسها اسم « الإخوان الصفا » أي الإخوة في النقاء أو الإخوة المخلصون ، ولكن المقصود بالاسم على الأرجح الدلالة على « الفلاسفة » في الوقت الذي كان بنو بويه (البويهيون) المستبدون قد استولوا فيه على السلطة منذ أمد قصير ، وقد تولى توليهم السلطان فترة قصيرة من التسامح وحرية الفكر . وقد أخرجت هذه الطائفة حوالى عام ٩٨٠ م مجموعة رسائل أو مقالات كان الغرض منها تأليف دائرة معارف كاملة للفلسفة والعلم . وعدد هذه المقالات اثنتان وخمسون مقالة ، تتناول الأربع عشرة الأولى منها الرياضيات والمنطق ، وتدور الرسائل من الخامسة عشرة إلى الحادية والثلاثين على العلوم الطبيعية ، والرسائل من الثانية والثلاثين إلى الحادية والأربعين تتناول « ما بعد الطبيعة » وتدور الرسائل الباقية على الإلهيات الصوفية ، والتنجيم والسحر . وتصف الرسالة الخامسة بعد الأربعين النظام والمبادئ التي يسير عليها « الإخوان » : وكثيراً ما يقال إن الإمام أحمد هو كاتب هذه الرسائل . ولكن الشهورى يذكر خمسة اشتركوا في كتابتها هم أبو حسن علي بن هرون الزنجاني وأبو أحمد النهجورى (أو المهرجاني) وأبو سليمان محمد بن نصر البسقي (أو المقدسى) والوفى وزيد بن رفاعة . وقد ظهرت هذه الرسائل في البصرة أو في بغداد أو بالقرب منهما . إن محتويات الرسائل تتم عن ضرب من الأرسطاليسية غامض مبسر كالذى كان شائعاً في الفترة الأولى من

حركة إحياء العلوم اليونانية قبل أن يضع الكندي أسساً دقيقة لدراسة أرسطو . وفيها إشارات إلى فلسفات أقدم من فلسفة أرسطو ، ومن ذلك إشارات إلى هرمس وثيثاغوراس وسقراط وأفلاطون وكلها مختلطة ومبهمة ، ويظهر أرسطو في هذه الرسائل باعتباره أولاً وقبل كل شيء منطقياً ، وأنه فعلاً صاحب كتاب « الإلهيات » و « كتاب التفاحة » . وليس في الرسائل إشارة إلى الكندي أو مؤلفاته مع أن فيها اقتباسات من أبي معشر وغيره من كتّاب القرن الثامن أو التاسع ، وليس في الرسائل أثر لأعمال الكندي . والمذهب الفلسفي الغالب على هذه الرسائل هو مذهب انتقائي . فالكون فيها منبثق من الله ، والروح الإنسانية من مصدر إلهي وأنها تجاهد للرجوع إلى الله وللتلاشي فيه ، وهي النهاية التي تصل إليها عن طريق الحكمة وهي المعرفة عند الكتاب الأغنوسطيين والأفلاطونيين الحديثين . أما القرآن فيفسره إخوان الصفا تفسيراً باطنياً ، وفي الرسائل إشارات إلى الكتب المقدسة المسيحية واليهودية وهي تفسر أيضاً تفسيراً باطنياً . وهذا المنزع يدل على اتجاهات شيعية أو لعلها إسماعيلية . ولكن اللغة التي كتبت بها الرسائل لغة معقدة غامضة ، ولعلها عميت عمداً بقصد حجب التعاليم الروحية عن ذوى الأرواح المعتمة . وهذه الحركة الباطنية أو الرمزية ترجع إلى أصول من الفكر سابقة على الإسلام . ولعلها انتشرت في جنوب ما بين النهرين ، فقد كانت تعيش فيه عقائد قديمة كثيرة امتزجت كلها إن قليلاً أو كثيراً بالحركات السياسية الثورية ، فهي المنطقة التي حاول الخليفة المهدي أن يقضى فيها على الزنادقة ، والتي ظهر فيها فيما بعد القرامطة ، وهي موطن الإسماعيلية وهي على كل حال مناوئة للعباسيين وكارهة للعرب على التحقيق . ولقد كان هذا النوع من التفكير الباطني في الإسلام أشد ما يكون في فرقة الإسماعيلية ، فقد كانت ذات اتجاهات أغنوسطية بيئة ، وكانت تعلق أهمية كبرى على العناصر الروحية الباطنية

تدون العناصر الظاهرة^(١). وترجع طرافة هذا النوع من التفكير إلى أنه يمثل « الحكمة » التي يعتز بها الإسماعيليون وعلى نحو ما فهمها أتباعهم في الخلافة الفاطمية في مصر ، وكما فهمتها طائفة الحشاشين في وسط آسيا وسوريا وهم من نبت الفاطميين ، وكما يعرفها الدروز في لبنان فيما يُظن . وبالرغم من أن هذا المنزع شديد البعد عن الاتجاه الطبيعي للفكر الإسلامي ، فهو لا يزال يمثل فرعاً قوياً حياً بين المسلمين ، ولو أنه ليس عربياً .

لقد سبق أن أشرنا إلى الموقف الذي اتخذته الفلاسفة من القرآن ومن المذهب السني بوجه عام . وأحسن شاهد على هذا الموقف هو القصة الفلسفية « حى بن يقظان » التي ألفها الفيلسوف الأندلسي أبو بكر محمد ابن الطفيل الذي توفي في المغرب فيما بين ١١٨٥ و ١١٨٨ . وقد وصف في هذه القصة جزيرتين : أما إحداهما فأهله بالسكان وأما الأخرى فخالية فيما يتوهمون . ونجد في الجزيرة الآهلة قوما عاديين يحثون حياة عادية راضين بالقيام بالشعائر الدينية المعتادة ، يبرز من صفوفهما رجلا ن ممتازان هما عسَّال وسلمان قد استطاعا بالرياضة أن يسموا عن مستوى الآخرين . أما سلمان فيؤفق في الظاهر بين نفسه وبين الدين العام ، وأما عسَّال فيحاول عن طريق التأمل أن يكشف عن حقائق روحية أعمق . وقد انتقل إلى الجزيرة الأخرى ليتأقلم له أن يمارس التأمل على خير وجه . ووجد فيها رجلاً يسكنها هو « حى بن يقظان » فقد كان يحيا في الجزيرة منذ طفولته في وحدة ، وقد اهتدى بقوة عقله الدنية إلى فلسفة عالية ووصل إلى الكشف الإلهي ، فتجلى له كل شيء واضحاً . وفيما هما يتحادثان يصف عسَّال ما يسود سكان الجزيرة الأولى من شقاء وبؤس . فتتحرك الشفقة في نفس حى بن يقظان عند سماعه هذا الوصف حتى إنه يذهب إلى الجزيرة الأولى

Lewis, *Origins of Isma'ilism*, Cambridge, 1940, 44 ff. (١).

ويحاول أن يبشر بالفلسفة العالية التي اهتدى إليها : وسرعان ما اكتشف أنه أهل الجزيرة غير قادرين على الارتفاع إلى مستواه ، فوصل آخر الأمر إلى الاقتناع بأن دينهم التقليدي أصلح ما يصلح لنفوسهم . وعندئذ رجع إلى مسكنه الأول وعكف فيه على حياة التوحد والتأمل . ومغزى القصة أن الدين كما يعرفه سواد الناس باتباعهم ما نزل على النبي محمد من وحى ، والسنة التي استنها للناس هو أصلح ما يصلح لسواد الناس . أما الفلسفة التأملية فينبغي أن تبقى مقصورة على القلة المختارة ، التي لا يجوز لها أن تنشر نتائجها على سواد الناس من العامة .

ملاحظات

١ - آرامية :

كان الآراميون فرعاً من العرب يمتد إلى الشمال وهم قبائل رحل يضربون في البادية الواقعة بين أرض الجزيرة وسوريا . وهم يظهرون في النقوش البابلية - الآشورية التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم أرمي أو أخلامى ، وكانوا يهددون الحدود الغربية لإمبراطوريات وادي الفرات ودجلة . وغزوا سوريا التي كانت قد قامت فيها حضارة غير سامية فأخذوا بأسباب هذه الحضارة وتقدمت على أيديهم ولكنهم فرضوا لغتهم على الشعب المغلوب . وحلت لغتهم الآرامية بمرور الزمن محل اللغة الآشورية في الإمبراطورية الآشورية ، وصارت آخر الأمر اللغة المشتركة في آسيا الغربية تحت حكم الفرس . وحلت نهائياً محل لهجات كنعان الأقدم منها ، بل انتشرت أيضاً في مصر . وأقدم النصوص الآرامية الباقية يهودية وهى الأجزاء الآرامية من سفر عزرا (٨٠٤ - ١٨٠٦) وسفر دانيال (٢٠٢ - ٤٠٢ ب - ٢٨٠٧) من العهد القديم . لقد جاء النص الآرامى لعزرا في لغة عتيقة ، أما لغة سفر دانيال فأحدث منها بكثير . وثمة نقوش من تدمر ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، فقد كان أهلها الآراميون يعيشون فيها تحت سيادة العرب . كما أن هناك نقوشاً من القرن الأول قبل الميلاد من بلاد النبط ، فقد كان العرب فيها يتخذون اللغة الآرامية لغة أدبية إذا جاز لنا أن نعتبر النقوش إنتاجاً أدبياً .

أما في العصر المسيحي فتظهر اللغة الآرامية في صورة لهجتين - الغربية والشرقية ، أما الأولى فأصواتها اللغوية تشبه العبرية ولعلها تمثل اللغة الدارجة على شاطئ سوريا وفلسطين . أما الشرقية فبقيت أشد قرباً من الآرامية

القديمة . وقد استعملت هذه اللهجة في الآرامية اليهودية في التورجوم والتلمود (جيمارا) . إن آرامية فلسطين قد تلاشت أمام الغزو العربي فلا نعرفها إلا من المقطوعات التي اكتشفت مؤخراً في سيناء ومصر ودمشق . ولم تعش الآرامية لهجتها الغربية في داخلية البلاد إلا بين بعض طوائف لبنان . أما اللهجة الشرقية فقد انتشرت من داخل بلاد أرمينية إلى الخليج الفارسي وظهر فيها أدب رفيع . وكان محور هذا الإنتاج الأدبي مدينة الرها . ويرجع أكثر ما ظهر فيها من آداب إلى العصر المسيحي ، ومع ذلك فقد كان في الرها أدب سابق للعصر المسيحي . ولكن أكثر الإنتاج الأدبي يرجع إلى القرن الثالث بعد الميلاد وما تلاه من قرون . وقد أطلق الكتاب الآراميون المسيحيون اسم سوري على لغتهم باعتبار أن موطنها الأصلي هو الولاية الرومانية المسماة سوريا . ومن هنا جرت العادة باستعمال اصطلاح سورياني للدلالة على اللغة الآرامية المسيحية ، وما يميز هذه الآرامية استعمال نون المضارع للغائب المفرد بدلاً من الياء التي تستعمل في سائر اللغات السامية .

٢ - الديانة الزرواستية :

كانت ديانة الميديين والفرس البدائية من النوع الآري ، وكان زردشت مصلحاً ، بشر بدعوته في ميديا (وهي شرق فارس) في القرن السادس قبل الميلاد على الأرجح . (انظر ا . ج . چاكسون - Jackson في كتابه « زردشت نبي إيران القديمة » Zoroaster the Prophet of Ancient Iran ، نشر في نيويورك ١٨٩٩) ولم ترد الإشارة إليه في هيرودوت مع أنه أشار إلى المجوس أو أعضاء طائفة الكهنة وحسبهم قبيلة من القبائل التي تنقسم إليها الأمة الميديية . (هيرودوت ١ ، ١٠١) . ولم تكن مهمة الكهنة الفرس أن يقدموا الضحايا ، بل اقتصرتهم مهمتهم على أن يحضروا عند تقديمها وأن يتلوا الصلوات المناسبة التي لا تصلح التضحية دونها (هيرودوت ١ ، ١٣٢) . وكان المفروض في المجوس إلى جانب معرفة نصوص الصلوات وهي وقف عليهم ، القدرة

على تفسير الأحلام (هيرودوت ١ ، ١٠٧) . ويلاحظ هيرودوت اختلافاً بيناً بين الكهنة المصريين وهؤلاء المجوس من حيث إن الكهنة المصريين كانوا يحرصون على تجنب قتل النفس إلا في حالة تقديم الضحايا أما المجوس فلم يكونوا يتحرجون من ذلك ، وكانوا على استعداد لقتل أى نفس فيما عدا الكلب والإنسان (هيرودوت ١ ، ١٤٠) . ولم تكن جثة الميت من الفرس لتدفن إلا إذا نهشها أولاً كلب أو بعض كواسر الطير (المصدر نفسه) . ولم تكن في ديانة الميديين أو الفرس أوثان أو معابد أو هياكل ، فقد كانت الضحايا تقدم على الجبال الشاهقة للكون والشمس والقمر والأرض ، وللنار والماء والرياح . (هيرودوت ١ ، ١٣١) .

هذا الدين الذى وصفه هيرودوت كان فيما يبدو دين الميديين الذين نشر زردشت بينهم دعوته . والأرجح أنه حوالى هذا الوقت غزا الميديون الفرس ونشروا بين الطبقة الأرستقراطية الفارسية على الأقل اصلاحات زردشت الدينية . ومن المشكوك فيه أن ملوك فارس القديمة من الأكمينيين كانوا قبل فتح الإسكندر من أتباع زردشت . ولو أن ج . هـ . مولتون (J. H. Moulton) يسوق فى كتابه « المذهب الزردشتى » عصره الأول « (Early Zoroastrianism) حججاً قوية تؤيد القول بأنهم كانوا يومئذٍ من أتباع زردشت .

والمؤثر أن الإسكندر قد أهلك كتب الفرس المقدسة ، ولكن الأرجح أن نصوص الصلوات لم تكن قد صيغت فى ذلك الحين فى صورة مكتوبة ، ومع ذلك فمن المسلم به أن هذه الصلوات لا توجد إلا فى صورة مبتورة . وعندما أقام البارثيون دولة مستقلة حوالى سنة ٢٣٨ ق . م ، اعتنقوا الديانة الزردشتية وصارت النار الخالدة مكرمة ومبجلة فى المدينة الملكية . «أساق» إلى عهد الملوك البارثيين المتأخرين على الأقل . وفى هذا الوقت ترجمت الأجزاء التى أنقذت من الأفسنا المقدسة إلى اللغة البهلوية وهى صورة

متأخرة من اللغة المستعملة في الأقسا والتقوش . وكانت اللغة القديمة تكتب بالخط المسماري ، ولكن اللغة البهلوية اتخذت حروفاً هجائية من أصل آرامي . ويبدو أن الملوك الأرساسيين المتأخرين قد أخلصوا للديانة الزردشتية إلى قرب النهاية عندما تركت النار المقدسة تحبوا فيما يقال .

والظاهر أن الديانة الزردشتية كانت تنافسها ديانات كثيرة ، كلها من بقايا الديانة القديمة . ولم تكن هذه البقايا قد مستها إصلاحات زردشت . إلا من بعيد . وكانت رسالة الساسانيين الأول أن يفرضوا على الناس الديانة الزردشتية وأن يقضوا على الصور المختلفة من بقايا الديانة القديمة على أنها بدع . وقد نقح نصوص الأقسا وأكملها كاهن يدعى « أتوربات — ي — ماراسپاندان » في عهد سابور الثاني (٣٠٩ — ٣٧٩ م) . وفي سنة ٤٥٦ فرض يزدجرد الثاني الديانة الزردشتية على أرمينية ، ولكنها لم تستقر فيها نهائياً . وكان عصر كسرى الأول (٥٣١ — ٥٧٨ م) العصر الذهبي للمذهب الزردشتي والأدب البهلوي . وكانت الديانة الزردشتية إلى ذلك . العهد ديانة تبشيرية ، وكان ملوك الفرس يفرضونها على ما يفتحون من بلاد . وهكذا انتشرت في الشرق تنافس الديانة البوذية ، ولكنها مع ذلك لم تقض قضاءً مبرماً على أتباع بوذا . وفي ذلك الحين كانت البوذية قد فقدت سلطانها في آسيا الوسطى ولكنها كانت تتقدم تقدماً مطرداً في الشرق الأقصى .

٣ — نسطوريوس :

كان هناك فيما يقول سقراطيس (التاريخ الكنسي ٧ ، ٢٩) مرشحان . لكرسي القسطنطينية بعد وفاة سيسينيوس (Sisinnius) أحدهما فيليبوس الصيدى الذى يقال إنه كان كاتباً طموحاً ، فقد ألف كتاباً لم يسمه التاريخ الكنسى بل « التاريخ المسيحى » (سقراطيس ، التاريخ الكنسى ٧ ، ٢٣) .

والآخر أبروقلس (Proclus) الذى كان سيسينيوس قد أقامه أسقفاً على كيزيكوم (Cyzicum) ولكن أهل المدينة رفضوا أن يقبلوه أسقفاً عليهم (المصدر السابق ، ٧ ، ٢٨) « وعند وفاة سيسينيوس فضل الأباطرة لما رأوا من قيام الأحزاب والمشاحنات فى الكنيسة بصدد شغل منصب الأسقف ، ألا يعينوا أحداً منهما ، لأن الكثيرين جاهلوا ليرسم فيليبوس كما جاهد كثيرون ليرسم أبروقلس . ولذلك فقد عقدوا عزمهم على أن يستدعوا لشغل المنصب رجلاً من أنطاكية . فقد كان فيها شخص يدعى نسطوريوس يعرف بالجرمانى وكان محدثاً لبقاً فصيحاً » - المصدر نفسه ٢٩ ، ١ - ٣) . وهذا يوضح أن نسطوريوس قد واجه عند مبدأ توليه الأسقفية طائفتين من الخصوم .

وقد اصطحب نسطوريوس معه من أنطاكية قساً يسمى أنستاسيوس ؛ ولما كان أنستاسيوس يعظ يوماً فى الكنيسة قال « ولينته الناس عن تسمية مريم بالودة الإله (Theotokos) لأن مريم لم تكن إلا امرأة ولا يجوز أن يولد الإله من امرأة » (المصدر نفسه ٣٢ ، ٢ - ٣) . وفى ذلك الوقت كانت العقيدة المقررة طبقاً لقرارات مجمع نيقية أن للمسيح طبيعتين ناسوتية ولاهوتية وأنهما متحدتان فى شخصه . والظاهر أن أنستاسيوس كان يعنى أن مريم كانت والدة ناسوت المسيح فقط . ولكن الرأى العام فى القسطنطينية لم يلبث أن تصور أن أنستاسيوس كان يبحث من جديد تعاليم بولس السمساطى وفوطينوس القائلة بأن المسيح مجرد بشر . ويقول سقراطيس الذى يتكلم عن نسطوريوس باحترام ويسبغ عليه بعض العطف إنه لم يأخذ بهذا الرأى ولم ينكر ألوهية المسيح « ولكنه كان يخشى هذا التعبير كأنه شبح وكان ينزعج منه من شدة الجهل » (المصدر نفسه ، ٣٢ ، ١٢) والتعبير هو طبعاً « والدة الإله » . ويبدو أن الاعتقاد بأن المسيح كان إلهاً وبشراً عند ميلاده يـُـدى بنا منطقياً إلى تلقيب العذراء

مريم بوالدة الإله . وقد استعمل يوسيبوس هذا التعبير (حياة قسطنطين . ٣ ، ٤٣) ثم والقديس كيرلس الأورشليمي (التعاليم ١٠ ، ١٤٦) والقديس أناسيوس (الخطبة الثالثة ضد أتباع آريوس ١٥ ، ٣٣) ، فلا بد أنهم عدوا هذا التعبير متمشياً مع العقيدة التي أقرها مجمع نيقية . وقد تهادى هيسيكخيوس (Hesychius) وهو قس في أورشليم وتوفي سنة ٣٤٣ فسمى داوود رأس عائلة المسيح والد الإله (Theopatoy) (فوطيوس — المجموعة ٢٧٥) وقد أورد إفاجريوس (Evagrius) (التاريخ الكنسي ١ ، ٧) تبرير نسطوريوس نفسه لاعتراضه على لقب والدة الإله . « فقد قرر أن الضرورة القصوى دفعته إلى اتخاذ هذا الموقف لأن الكنيسة انقسمت إلى حزبين ، يذهب أحدهما إلى أن مريم والدة ناسوته والآخر إلى أنها والدة لاهوته . وأنه هو قد اقترح أن تلقب بوالدة المسيح حتى لا يقع الناس بحسب قوله في الخطأ بالاندفاع إلى الأخذ بأحد هذين المذهبين المتطرفين . وهما مذهبان يقرن أحدهما كل الاقتران بين الجوهر الخالد وبين ناسوت المسيح ، ويعترف الآخر بإحدى طبيعتي المسيح ولا يشير إلى الأخرى . على الإطلاق » .

وفي مجمع أفسوس وجهت إلى نسطوريوس تهمة أنه قرر في بعض مقالاته « أن المخلوق لم يلد غير المخلوق ، وأن مريم وضعت بشراً اتخذته الله أداة . فالروح القدس لم تخلق الله وهو الكلمة بل هيأت من العذراء هيكل الله الكلمة ليستقر فيه . أما الذي ولد واحتاج في تكوينه إلى وقت وتحمل به في بطن أمه الأشهر المعدودة ، فكان ذا طبيعة إنسانية ولكنها طبيعة متحدة بالله » . (مانسى Mansi ، المجمع Concilia الجزء الرابع ، ١١٩٧) .

أما الرأي المناهض لتعاليم نسطوريوس فهو أن جسم المسيح قد تحمّل به في جسد العذراء الطوباوية مريم من الروح القدس ، وأن الحمل كان

أعجوبة . وأنه ولد بشراً ، ونزلت عليه الروح القدس فيما بعد ، وعندئذ استقرت الألوهية فيه . وهذا هو الرأى الذى يذهب إليه القديس أغسطينوس (فى البدع De Haeresibus الملحق ، فصل ٩١) . ولا بد لتعزيز هذا الكلام أن نسوق كلمات نسطوريوس نفسه كما رواها سقراطيس . (التاريخ الكنسى ٧ ، ٣٤ ، ٤) « قال نسطوريوس أنا لن أدعوه إلها وهو فى الشهر الثانى أو الثالث من عمره » .

أما وجهة النظر الإسلامية فهى أن الله أرسل إليها روحاً من عنده . وقال إنه رسول إليها ليهب لها غلاماً . وكانت عذراء فحملت دون أن يمسيها بشر . (سورة مريم الآيتان ١٩ ، ٢٠) ولكنها حملت دون أن تفقد عذريتها (سورة مريم آية ٢٨ ، ٢٩) وإذن فقد قرر القرآن أنها حملت من روح الله ، ولكنه لم يقرر أن الذى حُمل به هو ابن الله فما كان لله أن يتخذ من ولد . (سورة مريم الآية ٣٥ ، وسورة النساء ، ١٧١) وهو مؤيد بالروح القدس (سورة المائدة ، الآية ١١٠) . فيلاده إذن عمل من أعمال الخلق . وقالت الأم العذراء « ربّ أئى يكون لى ولد . ولم يمسينى بشر ؟ . قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » . « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » (سورة مريم ، آية ١٧ - ٢٢ ؛ وسورة المائدة ١١٠) .

٤ - الحيرة :

تأسست الحيرة (وفى السريانية حيرتا) حوالى سنة ٢٤٠ م وقد ورد ذكرها باسم إرثا على أنها مدينة پارثية فى كل من جلوكوس (فى المقطوعات التى نشرها مولر . ص ٤٠٩) واصطفانوس البيزنطى فى كتابه « الشعوب » (الذى نشره ما ينكى ص ٢٧٦) . وقد كانت المدينة مؤلفة من عدد من المساكن المحصنة من النوع الذى يعرف بالقصر (وجمعه-

القصور) . والقصر عبارة عن مربع يحيط بفناء ، وليس بالسور الدائر بالفناء إلا باب واحد يفضى إليه . وفي الجزء الأعلى من هذا السور توجد فتحات للدفاع وفي كل ركن من أركان المربع توجد قلعة أو برج ، وتحيط القصور كلها بساحة غير مسقوفة ليس لها قواعد دفاع مستقلة . ولم يكن للمدينة سور يحيط بالقصور ولم يكن بها معقل مركزي أو قلعة تصان فيها الأشياء القيمة . ولذلك عندما هاجم خالد بن الوليد الحيرة في خريف سنة ٦٣٤ تراجع أهلها إلى قصورهم الحصينة فلم يستطع خالد أخذها عنوة . ولكنهم لم يستطيعوا أن يصونوا قطعانهم وماشيتهم واضطروا إلى تركها في العراء . وأطلق العرب الماشية وساقوها لتأكل الحاصلات التي لم تكن قد حصدت . وعندئذ طلب أهل الحيرة شروط التسليم .

لقد كان أهل الحيرة من العرب يعيشون تحت حكم أسرة حاكمة من اللخمين . وكان ملوك الفرس يُسَمُّون على شيوخ هذه القبيلة بلقب ملك . وكان هؤلاء العرب على صلة بدعاة المسيحية منذ عصر متقدم . وكانت لهم بيعة منذ بداية القرن الخامس . ومن بين الإمضاءات التي مهّرت بها قرارات مجمع سلوقية سنة ٤١٠ إمضاء يوشع أسقف حيرتا : وقد وصف موزيل (Musil) هذا المجمع خطأ بأنه نسطوري . والحق إن النساطرة لم يظهروا إلى سنة ٤٣٠ ولكن هناك مجامع في الكنيسة الفارسية قبل هذا التاريخ . ومع ذلك فقد ظلت الأسرة الحاكمة كما ظل كثير من الأعراب مدة طويلة جداً على وثنيّتهم . وحدث في عهد البطريرك أيشوع يهب (٥٨٢ - ٥٩٥) أن عمّد سمعان أسقف الحيرة الملك نعمان الخامس . وأنشأت هند أخت النعمان الدير الذي يعرف باسمها وهو دير بنى هند شمال الحيرة . وعندما توفي أيشوع يهب في بيت كوش أُحضرت رفاته ودفنت في هذا الدير . لقد مات أيشوع يهب في منفاه بعد أن هرب من فارس ناجياً من غضب الملك كسرى . وبعد أن استولى خالد بن الوليد على الحيرة سنة ٦٣٤

خَيْرُ العرب الحاكمون أن يختاروا واحداً من ثلاثة : ١ - أن يعتنقوا الإسلام . ٢ - أن يدفعوا الجزية . ٣ - أن يستمروا في الحرب : ولقد خيروا بين هذه الأمور الثلاثة لأن عرب الحيرة كانوا يُعدون شعباً من بلاد العرب ، فكان واجباً عليهم أن يدخلوا في زمرة المسلمين . ولم تكن هذه الشروط لتعرض على الشعب الآراى المحكوم . وقد قبل عرب الحيرة أن يعتنقوا الإسلام كما كانوا قد فعلوا فيما مضى قبل موت النبي ثم ارتدوا عنه . أما الشعب المحكوم فقد ظل على مسيحيته على مذهب الكنيسة النسطورية وأصبح خاضعاً لدفع الجزية .

وكان يوجد في وسط الحيرة دير كبير آخر يعرف باسم دير ابن مزعوق . وكان أحد المتنزهات التي يرتادها الناس في الأعياد (الشابتى) ، « الديارات » مخطوطة رقم ١٠١ ر ، نقل منها موزيل في « الفرات الأوسط » ص ١٠٣ . وتظهر الحيرة في تاريخ الكنيسة باعتبارها معقلاً من معاقل المذهب النسطورى . ولكنها لم تكن كذلك على الدوام . فقد جاء في اليعقوبى (طبعة هوتسا . الجزء الأول ص ٢٥٨) أن قبيلة إباد انتقلت من اليمامة إلى الحيرة ، فقد كانوا يملكون فيها قصوراً كثيرة ، ولكن كسرى أمر بنقلها فيما بعد إلى تكريت ، وهى السوق المركزية لبلاد ما بين النهرين العليا . وكانت تكريت مبالدة أشد الميل إلى مذهب الطبيعة الواحدة . ولعل هذا كان منزع قبيلة إباد الدينى أيضاً . فإذا كانوا مسيحيين عند نزوحهم إلى الحيرة فلا بد أنهم أضفوا عليها مسحة مضادة للمذهب النسطورى . ومع ذلك فالأرجح أنهم لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية عندما أقاموا في الحيرة . وليس من الواضح ما إذا كانت الحيرة نفسها قد صارت مسيحية في ذلك العهد .

وبالرغم من أن الحيرة كانت مركزاً نسطورياً هاماً فلم تكن فيها جامعة نسطورية ، فكان النساطرة الذين يرغبون في التعليم العالى يذهبون إلى جند يساهور

كما فعل حنين بن إسحق : ويبدو من إشارة ابن ماسويه التهامية إلى الحيرة وأهلها أنها قصرت نشاطها على التجارة وأهملت العلوم .

ولقد أضفى بلاط ملوك الحيرة من اللخمين على العرب نفحة من الترف والأبهة تتجلى في شعر الشعراء المتقدمين الذين اتصلوا بالحيرة . فالشاعر البدوي من الطراز القديم يتغنى بمناعب حياة البادية والحروب القبلية ، ويمزج غناؤه هذا بمدح مولاه وهجاء خصومه . أما الشعراء الذين عرف عنهم الاتصال ببلاط الحيرة فقد أدخلوا في الشعر عنصر الغزل ، وكثيراً ما تغنوا بمحاسن الخمر وأهل المجون وهي موضوعات غير مألوفة لشعراء البدو الأقحاح . ومع ذلك فليس هذا أسلوب طرفة بن العبد الذي اتصل ببلاط الملك عمرو بن هند (حوالى ٥٥٤ - ٥٦٨) لأن قصائده ألفت قبل أن يتصل بالبلاط . ولا كان هذا أسلوب لبيد بن ربيعة أبي عقيل (المتوفى سنة ٦٦١ أو ٦٦٢ أو ٦٦٣) الذي يفخر بأنه كان عضواً في مجالس الحيرة ، والذي يفصح شعره عن اتجاه جدى أخلاقى قد يكون صدق لأثر التعاليم المسيحية قبل الإسلام ، وهو صدق يرى أيضاً في شعر النابغة وشعر زهير . وكلاهما من أصفياء ملك الحيرة النعمان بن منذر . وفي شعر الأعشى ميمون بن قيس مواضع قد تنم عن أثر التعاليم المسيحية . وفيه مواضع أخرى تدور على الخمر وأهل القصف . ولعل أحد هذين الانتماءين أو كليهما كان من أثر اتصال الشاعر بتجار النبيذ المسيحيين الذين كان يتعامل معهم في الحيرة .

ولقد أنشئت مدينة العسكر ، الكوفة بالقرب من الحيرة بعد سنة ٦٣٨ بيسير ، وكانت مدينة كبيرة عندما زارها الإمام على سنة ٦٥٧ . ولما عظم شأنها جنح أهل الحيرة إلى النزوح إليها ، ولكن القصرين الكبيرين : السدير والخورنق القربيين منها ظلاً أهليين نوعاً . وكان خلفاء بني العباس الأول يتخلون الخورنق استراحة للصيد . ويمثل مدينة الحيرة الآن تل من الخرائب.

إلى الجنوب الشرقى من جبل الكندرة فى منتصف الطريق بين خرائب الكوفة والخورنق . (انظر موزيل « الفرات الأوسط » ص ٣٥ ها.ش ٢٦) .

٥ - أوطيخيس :

عقد فلاقيان بطريرك القسطنطينية مجمعاً مقدساً امتحن أوطيخيس وأدانه . وقد وردت قرارات هذا المجمع فى « أعمال مجمع خلقيدونية » (مانسى ، « المجمع » الجزء السادس ص ٦٤٩ وما بعدها) . وعند ما طلب منه أن يقرر أن للمسيح طبيعتين ، رفض أن يقر بهذا فأدين من أجل هذا الرفض (انظر خطاب أوطيخيس إلى البابا ليون فى كتاب مانسى ، الجزء الخامس ص ١٠١٥) « لقد طلب منى أن أعترف بالطبيعتين وأن أقطع بحرمان الذين ينكرونهما » (فقد رأى أوطيخيس أن ناسوت المسيح قد تلاشى كلية فى لاهوته ، وهذه هى النظرية التى تعزى إلى أصحاب الطبيعة الواحدة كما يدل اسمهم ، وهم الذين رفضوا أن يقبلوا قرارات مجمع خلقيدونية . وما يزيد الأمر تعقيداً أن معارضى قرارات مجمع خلقيدونية كانوا يضمون عدة طوائف متباينة لم تصل إلا واحدة منها - وهى التى كان يزعمها يوليانوس أسقف هاليكارناسوس - بهذا المذهب إلى نتيجه المنطقية . وقد قيل عن أتباع يوليانوس إنهم كانوا يتوهمون جسد المسيح أو أنهم يُعرَّفون بالمخيلين أى الذين يعتقدون أن جسم المسيح الإنسانى كان مشبعاً بالألوهية ، فلم يكن له من الإنسانية إلا صورتها ولم يكن مما يجرى عليه التلف ، وهى عقيدة أنكرتها الطائفة الأكثر اعتدالا والتى كان يزعمها ساويرس أسقف أنطاكية : وقد انقسم كل من أتباع ساويرس وأتباع يوليانوس إلى شيع لا يعنينا أمرها الآن . وقد اختفى أتباع يوليانوس نهائياً آخر الأمر . ولكن المؤلفات الحديثة فى اللاهوت دأبت على أن تعزو لأصحاب الطبيعة الواحدة كلهم معتقدات أتباع يوليانوس المتطرفين .

٦ - تكريت :

كانت تكريت تقع على بعد ثلاثين ميلاً تقريباً شمالاً « سرّ من رأى » على الضفة اليمنى من نهر دجلة . وكانت بها قلعة حصينة تشرف على النهر . أما قبيلة إياد التي كان كسرى (خسرو ؟) قد أمر بانتقالها إلى تكريت فقد جاءت أصلاً من اليمن ، وكانت تكريت سوقاً مركزية لكل القبائل الرحل النازلة فيما بين دجلة والفرات .

وقد لاحظ ابن حوقل في القرن العاشر أن أكثر سكانها كانوا من المسيحيين وأنه كان يوجد بها دير كبير . وكان مسيحيو تكريت شديدي العداء للساسنة ، وقاوموا محاولة برصوما لتحويلهم للمذهب النسطوري سنة ٤٤٩ (ابن العبري . تاريخ الكنيسة ، الجزء الثاني ص ٦٧ ، ٨٥) . ولما قام مذهب الطبيعة الواحدة تمسوا في تعصيد كنيسة أصحاب الطبيعة الواحدة .

وكان كبير أحبار أصحاب الطبيعة الواحدة من الفرس يحمل لقب أسقف تكريت ، ولكن هؤلاء الأساقفة ظلوا يقيمون رديحاً من الزمان في دير مارمى طلباً للسلامة ، لأن مذهب الطبيعة الواحدة لم يكن مسموحاً به رسمياً في فارس ، ولكنهم فيما بعد تحولوا إلى مدينة تكريت . وأول من حمل لقب مفران من الأساقفة هو ماروثا (سنة ٦٢٩) . وكان مفران تكريت مطراناً يرأس اثني عشر أسقفاً . وعندما أخذ العرب مدينة تكريت سنة ٦٣٧ سلم ماروثا القاعة إليهم ، وبني في القلعة بيعة كانت البيعة الكبرى لأصحاب الطبيعة الواحدة من الفرس . وبني بريسوع الذي كان مفران من سنة ٦٦٩ إلى ٦٨٣ بيعة تكريماً للقديسين سرجيوس وباخوس وعدت هذه البيعة بيعة كبرى ثانية . وقد رسم دنها ، وقد كان مفران بعد سنة ٦٨٤ ، الأساقفة بغير إذن من

البطريك يوليانوس ، فعزله البطريك وحبسه في الدير ، وقد أعيد إلى كرسية بعد موت البطريك . وبنى بيعة تكريماً للقديس أحوذمه الذي استشهد لأنه عمّد أحد أبناء ملك الفرس ، وعدّت هذه البيعة أيضاً بيعة كبرى ثالثة . وإلى جانب هذه البيعات الكبرى كان يوجد في تكريت عدة أديرة هامة قديمة ، ولم يعد المفران أو الرئيس الأعلى لأصحاب الطبيعة الواحدة من الفرس يتخذ تكريت مقراً له بعد سنة ١٥١٣ .

٧ - السنسكريتية :

لقد تطورت اللغة السنسكريتية باعتبارها لغة مقدسة ، ولقد نلخص يانيني نتائج هذا التطور في كتابه « اشتاذياى » الذى يرجع على الأرجح إلى القرن الرابع قبل الميلاد . والسنسكريتية لغة مصطنعة في صيغها ، وقد ذهب البعض إلى أنها خلقت خلقاً صناعياً لتدفع تأثير أدب پالى ، وذلك بتغيير صيغ اللغة الپراكرتية بمساعدة صيغ الفيدا . ولكن هذا الرأى مشكوك في صحته . فقد حدثت التغيرات في اللغة السنسكريتية إبان تاريخها الأدبى الطويل . ثم إن كثيراً مما يقول به « يانيني » لا يظهر في الأدب . واللغة الپراكرتية طجة أدبية مصطنعة مستقاة من السنسكريتية وهى أقدم منها . وقد وجدت في صور ثلاث :

١ - الپراكرتية الأولى : وتعد من صورها الأدبية الفيدا والسنسكريتية .

٢ - الپراكرتية الثانية : وتضم اللغة الپراكرتية كما نعهدها عند النحويين وفي أدب پالى . وهى تظهر في صورة أدبية في خطب وحكم وشعر وقصص وقواعد سلوك وفي مجموعات أكبر من هذه تعرف باسم پيتاكا . ويتألف القانون البوذى من ثلاث من هذه المجموعات

٢٦٢

(تيبيناكا) ، وقد وضعت في صيغتها النهائية في سيلان في القرن الأول بعد الميلاد .

٣ - البراكريتية الثالثة : وهي المنبع الذي صدرت عنه اللهجات الحديثة .

٨ - الأنبار :

كانت الأنبار (وتعني صوامع الغلال) تقع على ضفة الفرات اليسرى . وكانت من أمهات مدن العراق وتشرف على معبر هام على نهر دجلة . كما كانت على رأس الطريق التجاري عبر صحراء سورية . وقد أنشأها سابور الأول وسماها بوزورج (أو فيروز) شابور ، وهي المدينة المعروفة باسم پريسوبوراس التي يذكرها أميانوس ماركيلينوس (٢٤ ، ٢ ، ٩ ، ٢٤) وكان يطلق عليها كذلك اسم آپاريون وقد مر بها كسرى الثاني وهو أمير شاب في طريقه لطلب العون من الإمبراطور الروماني موريس .

وحوالى آخر القرن الرابع اتخذ الناسك مار يونان مسكناً له فيما يحيط بالمدينة من صحراء ومات فيها . وقد أقيمت بيعة فوق قبره ولكن جثمانه نقل فيما بعد إلى البيعة الرئيسية في المدينة نفسها . وكان دير مار يونان يقع خارج المدينة ويعرف بدير الغراب وكان الناس يقصدونه كل سنة للهو (أبو الفضائل ، نشره جوينبول (Juynboll) الجزء الأول ص ١٤١) وقد أنشأ هذا الدير آل المسيح حوالى سنة ٥٤٠ ، وهدمه الخليفة المتوكل سنة ٨٥٣ . وكان مسيحيو الأنبار أو فيروز شابور من النساطرة ، وقد اشترك أسقفهم موشع في المجمع النسطورى المنعقد سنة ٤٨٦ (ج - ب . شابوت المجمع ، ٥٣) ، ومع ذلك فقد كان فيها سنة ٦٢٩ أسقف من أصحاب الطبيعة الواحدة اسمه أها (ميخائيل السرياني ، التاريخ ، نشره شابوت ، الجزء الرابع ص ٤١٣) . وأنشأ الرباني « أفنى ماران » حوالى سنة ٦٠٠

دير (أو قلعة) الزعفران على جبل عال أو في محيطه وهو جبل الجودي على مقربة من فيروز شابور . والعرب هم الذين أطلقوا عليه اسم الزعفران فقد كان يعرف قبلا « بدير أفنى ماران الحركى » .

وبعد أن بويع أبو العباس ، أول الخلفاء العباسيين في جامع الكوفة الكبير توجه إلى الأنبار وجعلها مقره ، ومات فيها سنة ٧٥٤ . وعاش أخوه المنصور الذى خلفه في الأنبار إلى أن انتقل إلى عاصمته الجديدة بغداد . وفي سنة ٧٩٧ نزل هرون الرشيد بالأنبار ورأى أن الكثيرين من الفرس من أهل خراسان قد استوطنوها . وزار الأنبار ثانية سنة ٨٠٣ بعد أداء فريضة الحج ونزل في مسجد العمر ، الذى كان متاخماً لدير مار يونان . ومن هناك أصدر أمره بقتل الوزير جعفر بن يحيى البرمكى .

٩ - الوطاة اليهودية :

قام اليهود بدور هام في نشر العلوم العربية وبخاصة الطب في مصر والغرب وفي شمال إفريقية وأسبانيا . وبدأ نشاطهم بإسحق بن عمران الإسرائيلي الذى كان يعمل في بلاط زيادة الله الثالث (٩٠٢ - ٩٠٣) في القيروان ، طبيباً للقصر أحياناً ومدرساً للفلسفة أحياناً أخرى . وقد تلقى علومه في بغداد وكان على صلة بأعمال ترجمة الكتب اليونانية وتفسيرها وعرضها . أما إسحق فقد أخفق كمدرس لأن زيادة الله كان عاكفاً على اللهو والمجون فلم يكن به من همة ليصرفها في الفلسفة . فلما خاب رجاءه في هذا الباب ، قصر إسحق نشاطه على متابعة دراسة الطب اليونانى فكان أول من أدخله في إفريقية ومنها انتشر غرباً إلى المغرب ثم الأندلس . وكتابه المسمى « كتاب البول » هو أحسن كتاب في هذا الموضوع في القرون الوسطى . وأما كتابه « دليل الأطباء » الذى

ضاح أصله العربي فقد ترجم إلى العبرية بعنوان « منهج (أو مسار)
 حاروفتين » وصار كتاباً متداولاً مفضلاً لدى الأطباء اليهود . ويبدو أنه
 كان أول أمهات الكتب الطبية العربية التي عرفها الغرب المسيحي في
 الترجمة اللاتينية التي وضعها قسطنطين الإفريقي (سنة ١٠٨٧) والتي
 طبعت فيما بعد في ليدن سنة ١٥١٥ . ومنذ ذلك الوقت فصاعداً لعب
 الأطباء ومن بعدهم الفلكيون والفلاسفة اليهود دوراً هاماً في نقل العلوم
 اليونانية كما عرفها العرب وفسروها في بغداد ، إلى الغرب .

ومع ذلك فقد كان في مصر وسوريا أطباء يهود قبل إسحق ولو أننا
 لا نعرف الكثير عن نشاطهم . والمفروض أنهم كانوا على صلة بنهضة
 العلوم اليونانية التي أيقظت العالم الهيلينستي وأثرت على الطائفة الآرامية
 (السريانية) . ولعل اليهود كانوا مستقلين في نقلهم العلوم من الإسكندرية
 مباشرة ، فقد كانت الإسكندرية مركزاً يهودياً كبيراً . وقد كان
 أبو الحسن علي بن سهل بن ربان (المتوفى سنة ٨٥٠) وهو من مؤلفي
 الكتب الطبية ، مسلماً ولكنه كان ابن طبيب يهودي من مرو ، وكان
 أستاذ محمد بن زكريا الرازي . فمن الواضح إذن أن العلوم الطبية
 اليونانية كانت قد وصلت إلى أيدي اليهود في شرق فارس في ذلك
 الوقت . ويقال إن ما شاء الله بن أثري (المتوفى سنة ٨١٥ - ٨٢٠)
 وهو أحد الفلكيين الذين استدعاهم المنصور عند تأسيس بغداد كان
 يهودياً . والخلاصة العامة أن العلماء اليهود والأطباء منهم بصفة خاصة
 كانوا على صلة بحركة إحياء العلوم اليونانية التي قامت في القرن الثامن ،
 ولو أن أحداً منهم لم يشتهر فيما يبدو قبل سهل بن ربان ، وإسحق بن عمران .

فهل قامت بين اليهود حركة مستقلة لإحياء العلوم الهيلينستية ؟ لم يكن
 الأمر كذلك فيما يبدو . فقد قامت هناك سلسلة متتابعة من المدرسين اليهود
 والمدارس اليهودية منذ أخريات أيام أورشليم فصاعداً . ولكنهم كانوا

معنيين بشرية موسى وبما يوضحها ويفسرها من أبحاث . وفي عهد الساسانيين كانت هناك مدارس ربانية ممتازة في نهارديا على النهر بين دجلة والفرات وفي ماخوسة على نهر دجلة بالقرب من طيسفون وفي سورا على الفرات على بعد عشرين فرسخاً من نهارديا وفي يومباديثا . ولم يكن نشاط هذه المدارس مطرداً ، ولكنها ازدهرت في عهد كسرى الثاني : ويقال إن الأبحاث العلمية كانت تجرى فيها جنباً إلى جنب مع الدراسات الربانية البحتة . وليس من الواضح إلى أى حد يصح هذا الكلام على أنه تحقق بالفعل . ويقال إن صموئيل من أهل نهارديا (المتوفى سنة ٢٥٠) كان عالماً في الفلك : ولكن لم يكن من سبيل إلى المؤلفات اليونانية في ذلك التاريخ المتقدم إلا في أصلها اليوناني ، فلا يعقل أنه كان متبحراً في العلم ، والأرجح أن علمه يعني حساب التواريخ والأعياد ومواسم الصوم على نسق حساب عيد القيامة (الفصح) الذي كان المسيحيون يعدونه من علم الفلك . أما تطور الدراسات العلمية بصورة أوسع من هذه فقد جاء فيما يبدو بعد هذا العهد بزمان طويل ، وأنه كان يرجع إلى الاتصال بالعالم السرياني الذي أخذ بالعلوم اليونانية في صورتها الآرامية . وقد بلغت هذه الدراسات طور النضج حوالى وقت تأسيس بغداد أو بعد ذلك بيسير في عهد هرون الرشيد . ويبدو أن سعده جاعون من أهل بيتوم (الفيوم) في مصر (٨٩٢ - ٩٤٢) وهو الذى وضع الترجمات من العبرية إلى العربية كان المسئول الأول عن إحلال اللغة العربية محل اللغة العبرية أو الآرامية كلغة أدبية لليهود . وطالما استمر استعمال اللغة العربية على هذا النحو كان اليهود على صلة وثيقة بالفكر العلمى والفلسفى العربى المعاصر . وعندما قام اليهود بإحياء اللغة العبرية وضعت الترجمات من العربية إلى العبرية . وإننا لا نعرف الكثير من المؤلفات العربية العلمية إلا في هذه الترجمات العبرية . وإن نظرة إلى هذه المؤلفات تبين أن اهتمام اليهود كان أبرز في الدراسات-

الطبية منه في غيرها . وقد لعب اليهود دوراً هاماً في نقل المؤلفات العلمية من العربية إلى اللاتينية وخاصة عن طريق قرطبة وطليطلة وبرشلونة . أما الترجمات اللاتينية السابقة لهذه فقد وضعت في مونت كاسينو وفي صور وطرابلس (الشام) . وأما الترجمات اللاحقة لها فقد قام بها الرهبان الدومينيكان في سوريا . وهذه الترجمات لاصلة لليهود بها ، ولو أنه يبدو أن المترجمين اختاروا مؤلفات اليهود من مثل مؤلفات إسحق ابن عمران باعتبارها خير الدراسات الصالحة لتعليم فن الطب للغرب المسيحي .

ثبت بالمراجع

- ABU-L-FEDA. *Annals Muslemici*, Arab-Lat, 5 vols., Copenhagen, 1789—94.
- AHUDEMMEH. "Life," ed. F. Nau in *PO.*, lii, fasc. 1, Paris, 1906.
- ALLMAN, G. J. *Greek Geometry from Thales to Euclid*, Dublin, 1889.
- AMMIANUS MARCELLINUS. Tauchnitz edit., Leipzig, 1676.
- ARNOLD, T.W. *Preaching of Islam*, 2nd edit., London, 1918.
- — *The Caliphate*, London, 1924.
- ASSEMANI, J.S. *Bibliotheca Orientalis*, i-iii, Rome, 1719—1728.
- BAR HEBRAEUS. *Chronicon Ecclesiasticum*, ed. J. B. Abbeloos et T. J. Lamy, Louvain, 1872-7.
- — *Chronicon Syriacum*, ed. P. Bedjan, Paris, 1890.
- BAUMSTARK, A. *Geschichte der syrischen Literatur*, Bonn, 1929.
- EL-BELADHURI. *Kitab futuh al-buldan, Liber expugnations regionum*, ed. J. de Goeje, Leiden, 1868.
- BERGESTRÄSSER, O. *Risalat Hunayn ibn Ishaq*, Leipzig, 1926. (Analysis by Meyerhof in *Isis*, viii (1926), 686-724.)
- BEVAN, E. R. *House of Seleucus*, 2 vols., London, 1902.
- — *Hellenism and Christianity*, London, 1921.
- De BOER, T. J. *Geschichte der Philosophie im Islam*, Stuttgart, 1901.
- (غير كاف ولكنه أفضل ما يمكن الحصول عليه .)
- BOUYOES, A.M. *Sur le de scientiis, d'Alfarabi*, Beyrouth, 1924
- BROCKELMANN, C. *Geschichte d. arabisch. Literatur*, 2 vols. I. Weimar, 1898; II. Berlin 1902. Supplementary fascicles, 1927, etc. (Chiefly bibliography. (وهو مرجع لا سبيل إلى الاستغناء عنه وإن كان به أحيانا بعض الأخطاء .)
- BROOKS, E. W. "Vitae virorum apud Monophysitas celeberrimorum" in *CSCO*, ii, 26. Paris, 1907.
- BROWNE, E. G. *History of Arabian Medicine*, Cambridge, 1921.
- — *Chahar Maqala*, 2 vols., London, 1910.
- — *A Literary History of Persia*, New York, 1902.
- (والجزء التمهيدى فيه يقدم لنا نظرة إجمالية حتى فجر الإسلام وتاريخه الثقافي .)
- CAETANI, L. *Annali dell' Islam*, vols., i, ii, Milano, 1905-7.
- (وهو خير وصف لظهور الإسلام وانتشار دعوته ، ولكنه فى نواح تفصيلية عديدة يحتاج إلى مراجعة وتصويب من مؤلفات موسىل (Musil) .)
- CAJORI, F. *A History of Mathematics*, New York, 1924.

- Cambridge History of India*, vol. i, Cambridge, 1922.
- CANTOR M *Vorlesungen über Gesch. der Mathematik*, Leipzig, 1907.
- CARRA DE VAUX. *Penseurs d'Islam*, 5 vols., Paris, 1921-8.
- — *Avicenne*, Paris, 1900.
- — *Mas'udi, le livre de l'Avertissement*, trad., Paris, 1897.
- CHABOT, J-B. "L'École de Nisibe" in *J. A.*, 1896.
- — "Documenta ad origines Monophysitarum illustrandas" in *CSCO.*, ser. 7
ii, vol. 37, Paris, 1903.
- — *Synodicon orientale* in *Notices et extraits*, xxxvii, Paris, 1902.
- CHRISTENSEN. "L'empire des Sasanides" in *Jour. Iran. Assoc.*, viii, 494.
- "Chronicle of Edessa" in *Texte und Untersuch.*, IX, 1, Leipzig, 1898.
- CHWOLSON, D. *Die Ssabier und der Ssabismus*, 2 vols., St. Petersburg, 1858.
- CRUM, W. E. "Sévère d'Antioche en Égypte" in *Rev. Orient. Chré.*, iii (192-3), 92-104.
- CSCO*, *Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium*, Paris.
- CUMONT. *L'Égypte des astrologues*, Bruxelles, 1937.
- DARMESTER. "Lettre de Tansar au roi de Tabaristan" in *J. A.*, 144, 186. (ويوضح كيف أن الأفلاطونية الحديثة انتشرت في فارس.)
- DAVIES, R. *Buddhist India*, London, 1903.
- DENHA "Histoire de Marouta" in *PO.*, III, 52-96.
- DIEHL *Justinien*, Paris, 1901.
- DIETERICI, F. *Alfarabi's philosophische Abhandlungen*, Leiden, 1890.
- DOUGHTY, C. M. *Travels in Arabia Deserta*, 2 vols., London, 1928.
- DREYER, J. L. E. *History of the Planetary Systems*, Cambridge, 1903.
- DROYSEN, J. G. *Gesch. de Hellenismus*, 3 vols., 2nd edit., Gotha, 1877-9.
- DUCHESNE, L. *Early History of the Christian Church*, Eng. trs. of 4th edit. 3 vols., London, 1914.
- — *Églises séparées*, Paris, 1906.
- — *L'église au vi^e siècle*, Paris, 1929.
- DULSEM, P. *La système du monde*, Paris, 1916.
- "Elias of Nisibis, Opus chronologicum," ed. E. W. Brooks and J-B. Chabot, in *CSCO.*, iii, vols. 7,8, Paris, 1909-11.
- Encyclopaedia of Islam*, ed. T. Houtsma and others, Leiden, 1906-34. Supplement, 1938.
- EVAAGRIUS. "Historia Ecclesiastica" in *PG.*, lxxxvi, 2415 sqq.
- FLÜGEL, O. *Al-Kindi, genannt "der Philosoph der Araber"*, Leipzig, 1857.

- — "Ueber Inhalt und Verfasser der arabischen Encyclopädie der Ikhwan as-Safa" in *ZDMG.*, xiii, 1 sqq.
- GOLDZIHNER, J. *Muhammedanische Studien*, 2 vols., Halle, 1889-90.
- GOODSPEED. "Athanasius (of Antioch), Conflict of Severus", in *P O*, iv, 333-5: 0
- Hamza al-Isfahani, ed. J. M. E. Gottwaldt, S. Petersburg, 1844.
- HANKEL, H. *Zur Geschichte der Mathematik*, Leipzig, 1874.
- HARNACK, A. *Lehrbuch der Dogmengeschichte*, 3 vols., Freiburg, 1894.
- — *Geschichte der altchristlichen Litteratur* Leipzig, 2 vols., 1893.
- — *Die Chronologie des altchristlichen Litteratur*, Leipzig, 2 vols., 1897, 1904.
- HASKINS, C. H. "Arabic Science in Western Europe" in *Isis*, vii (1925), 478-486.
- — *Studies in the History of Medieval Science*, Camb., U. S. A., 1924.
(وبه بيان لا بأس به من الترجمات اللاتينية للمؤلفات العلمية العربية)
- HAUSER. *Ueber das Kitab al-hijar*, Erlangen, 1922. (Account of the "Songs of Musa", etc.)
- HEATH, T. L. *Aristarchus of Samos*, Oxford, 1913.
- — *History of Greek Mathematics*, 2 vols., Oxford, 1921.
- HEFELE, C. J. *History of the Christian Church Councils*, English transl., 4 vols., Edinburgh, 1871-83.
- HEURTLEY, C. A. *De fide et symbolo*, Oxford, 1887.
- HIRSCHBERG, J. *Geschichte d. Augenheilkunde*, Leipzig, 1899-1918.
- HOERNLE, A.F.R. "Studies in Ancient Indian Medicine" in *JRAS.* (1906), 233-302, 915-941; (1907), 1-13; (1908), 997-1028.
- HOFFMANN, J. O. E. *De Hermeneuticis apud Syros Aristotelis* (Syriac), Leipzig, 1873.
- HOGARTH, D.G. *The Nearer East*, London, 1905.
- HOMMEL, F. *Grundriss der Geogr. u. Gesch. des alten Orients*, i, 1904; ii, 1926.
- HUART, C. *Histoire des Arabes*, Paris, 1911-12.
- Ibn Abi Usaibi 'a*, ed. A. Müller, 1884. (Biographies of eminent physicians.)
- Ibn Khallikan, Wafayat al-a'yan wa-unba' abna' az-seman*. Edit. Wiistenfeld, Göttingen, 1836-71. English trans., Baron MacGuckin de Slane, Paris-London, 1842-71. (Biographical dictionary finished in 1874.)
- INGE, W.R. *Philosophy of Plotinus*, London, 1918.
- INOSTRANZEV. *Iranian influences on Moslem literature* Bombay, 1918.
- IORGA, N. *Rélations entre l'Orient et l'Occident au moyen âge*, Paris 1923.

- Isis*, (G. Sarton.) (سارتون) ، يسطلع بنشرها ج .
- JA.*, *Journal Asiatique*, periodical, Paris.
- Janus*, "Zeitschrift für Geschichte und Litt. des Medizin," Leiden, 1924.
- JOHN OF APHTHONIA. *Life of Severus*, ed. trs. M.A. Kugener, in *PO.*, II, iii, Paris, 1905.
- JOHN DAMASCENE. In *Migne Patrologia Graeca*, xciv and xcvi.
- JOSHUA THE STYLITE. *The Chronicle of Joshua the Stylite*, ed. W. Wright, Cambridge, 1882.
- JRAS.*, *Journal of the Royal Asiatic Society*, periodical, London.
- KARPINSKI, L. C. *Robert of Chester's Latin Translation of the Algebra of al-Khwarizmi*, New York, 1915.
- AL-KINDI. *Defence of Christianity*, Engl. trs. Sir William Muir, *The Apology of al Kindy, with an essay on its age and authorship*, London, 1911. (The work of a Nestorian monk under al-Ma'mun.)
- KING, L. W., and THOMPSON, H.R. *Sculptures and Inscriptions of Darius the Great on the Rock of Behistan*, London, 1907.
- KOHL, K. "Ueber den Aufbau der Welt nach Ibn al-Haitham" in *Sitzb. d. phys. med. Soc.*, Erlangen, 1925.
- VON KREMER, A. *Culturgeschichte Streifzüge auf dem Geniete des Islam*, Leipzig, 1878.
- — *Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen*, Wien, 1875-7.
- — *Geschichte der herrschen Ideen des Islam*, Leipzig, 1868.
- LABOURT, J. *Le Christainism dans l'Empire Perse*, Paris, 1904.
- LAMMENS, H. *Le Chantre des Omiades*, Paris, 1895.
- — *La Mecque à la veille de l'Hégire*, Beyrouth, 1924.
- — *L'Arabie occidentale avant l'Hégire*, Beyrouth, 1928.
- — *Études sur le règne du Calife Omayade Mo'awia 1er*, Beyrouth, 1906, 1908.
- — *Le Califat de Yazid, 1er*, Beyrouth, 1909-21.
- LAND, J. P. N. *Anecdota Syriaca*, Leiden, 1862.
- LANDBERG, GRAF VON. *Études*, Leipzig, 1909.
- LANE-POOLE, S. *The Mohammedan Dynasties*, London, 1895.
- — *Studies in a Mosque*, 2nd edit. London, 1893.
- LECLERC, L. *Histoire de la médecine arabe*, 2 vols., Paris, 1876.
- LE STRANGE E. *Palestine under the moslems (550-1500)*, London, 1890.
- — *Baghdad*, 2nd edit., Oxford, 1924.
- — *Lands of the Eastern Khalifate*, Cambridge, 1909.

- VON LIPPMANN, E.C. *Gesch. der Zuckers seit der ältesten Zeiten*, 2nd edit., Berlin, 1929. (استخدام قصب السكر وانتشار اسمائه كمنوان على اتجاه التيار الثقافي)
- LOEW, *Aramäische Pflanzennamen*, 1881.
- LYDE, L., W. *The Continent of Asia*, London, 1923.
- MACDONALD, D. B. *Development of Muslim Theology*, London, 1903.
- McCRINDLE, J.W. *Topography of Cosmas*, Hakluyt Society, 1897.
- MANECKJI NUSSERVANJI DHULLA. *Zoroastrian Civilization*, New York, 1922.
- MASPERO-FORTESCUE-WIET. *Histoire des patriarches d'Alexandrie depuis la mort de l'empereur Anastase jusqu'à la réconciliation des églises jacobites*, Paris, 1923.
- MAS'UDI. *Maruj adh-Dhab*, text trs. B. de Maynard et P. de Courteille, Paris, 1861-71.
- — *Le livre de l'avertissement*, trs. Carra de Vaux (q.v.).
- MERIVALE, C. *History of the Romans under the Empire*, 8 vols., London, 1896.
- MEYER, E. VON. *Gesch. der Botanik*, Leipzig, 1856.
- — *Gesch. der Chemie*, Leipzig, 1914.
- MEYER-STEINER und SUDHOFF. K. *Gesch. der Medizin*, Jena, 1922.
- MEYERHOF, H. "New Light on Hunayn ibn Ishaq" in *Isis*, viii (1926), 685-724.
- — *The Book of the Ten Treatises on the Eye ascribed to Hunayn ibn Ishaq*. Cairo, 1928.
- — "An Arabic Compendium of Medico-philosophical Definitions" in *Isis*, x (1926), 340-9.
- MIELI, A. *Pagine di storia della Chimica*, Roma, 1922.
- MOMMSEN, T. *Provinces of the Roman Empire*, Eng. trans., vols. 2, London, 1909.
- MUIR, Sir WILLIAM. *The Caliphate, its Rise, Decline, and Fall*. London, 1891.
- MÜLLER, A. *Der Islam im Morgen und Abendland*, 2 vols., Berlin, 1885-7.
- — *Die Beherrscher der Glaubigen*, Berlin, 1882.
- MÜLLER, M. *Die Quaestiones naturales des Abelardus von Bath*, Münster, 1934.
- [MUSIL, A. *The Manners and Customs of the Rwala Bedouins*, New York, 1928.
- — *Arabia Deserta*, New York, 1927.
- — *Palmyrena*, New York, 1928.

- — *Northern Negd*, New York, 1928.
- NALINAKSHA DUTT *Early Monastic Buddhism*, i, Calcutta, 1941.
- NAU, F. "Documents pour servir à l'histoire de l'Église Nestorienne" in *PO.*, xiii, fasc. 2, Paris.
- NEUBERGER, M. *Gesch. der Medizin*, Stuttgart, 1908. Engl. trans., Oxford, 1926.
- NICHOLSON, R. A. *Literary History of the Arabs*, 4th ed., London, 1922.
- NÖLDEKE, TH. *Gesch. der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden* Berlin, 1879.
- — *Die Ghassaniden Fürsten*, Berlin, 1887.
- PAGEL. *Einführung in die Gesch. der Medizin*, Berlin, 1898.
- PURGITER. *Ancient Indian Historical Tradition*, 1922.
- PO.*, Migne's *Patrologia Graeca*.
- PINES, S. *Beiträge zur Islamischen Atomlehre*, Berlin, 1936.
- PO.*, *Patrologia Orientalis*, ed. Mgr. Gräffin, Paris.
- PROCOPIUS. Ed. Dindorf, *Corpus Script. Hist. Byzant.*, Bonn, 1833-8.
- RAY, Sir PRAPHULLA CHANDRA. *A History of Hindu Chemistry*, 2nd., ed., Calcutta, n.d.
- RAYMOND, A. *Histoire des sciences exactes et naturelles*, Paris, 1924.
- SCHWARTZ, E. *Concilium universale Chalcedonense*, Berlin, 1932.
- SÉDILLOT. *Prolegomènes des tables astronomiques d'Oloug-Beg*, Paris 1853.
- SEEMAN, H., und MITTELBAUM, T. *Das Kugelförmige Astrolab*, Erlangen, 1935.
- SEWELL, A. "Roman Coins found in India" in *JRAS.* (1903), 541 sqq.
- SMITH, D.E. *History of Mathematics*, 2 vols. New York, 1923-5.
- — and KARPINSKI, L. *Hindu-Arabic Numerals*, New York, 1911.
- SMITH, V. A. *Early History of India*, 3rd ed., Oxford, 1914.
- — *Asoka*, 3rd ed., Oxford, 1920.
- SOCRATES. *Ecclesiastica Historia*, ed. Oxford, 1844.
- SOZOMAN. *Ecclesiastica Historia*, ed. Migne, *PO.*, lxvii.
- STAPLETON & AZO-HUSSAIN. *Chemistry in Iraq and Persia in the Tenth Century*, Calcutta, 1927.
- STEELE, R. "Practical Chemistry in the Twelfth Century (Rasis de aluminibus et salibus)" in *Isis*, xii (1929), 10-96.
- STEINES. H. *Die Mu'taziliten oder die Freidenker im Islam*, Leipzig, 1865.
- STEINSCHNEIDER, M. *Die europäischen Übersetz. dem arabischen bis Mitte des xvii Jahrhundert*, Wien (Sitz. des Akad.), cxlix, 22-44).

٢٧٣

- — *Die hebräischen Uebersetzungen der Mittelalters*, Berlin, 1893.
- STRZYGOWSKI, J. *Der Ursprung des Christlichen Kirchenkunst*, 1919, Eng-
trs. Dalton. *Origin of Christian Church Art*, 1923.
- SUTER, H. *Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke*,
Leipzig, 1900-4.
- — *Das Buch der geom. Konstruktionen der Abu'l-Wefa'*, Erlangen, 1922.
- — und WIEDEMANN, E. "Ueber al Biruni und seine Schriften" in *Sitz-
d. Physik. Mediz. Gesell.* (1920), 55, 96.
- AT-TABARI *Aunales*, ed. M. J. de Goeje and others, Leiden, 1874-1901.
- TANNERY, P. *Recherches sur l'histoire de l'astronomie ancienne*, Paris, 1893.
- TARN, W. W. *The Greeks in Bactria and India*, Cambridge, 1938.
(وهو مرجع قيم للغاية)
- — *Hellenistic Civilization*, London, 1930.
- THOMAS, J. *Selections illustrating the History of Greek Mathematics*
(Loeb Classical Library), 1941.
- TROPEKE, J. *Geschichte der Elementar-Mathematik*, 3 vols., Berlin, 1921-2.
- WARMINGTON, E. H. *The Commerce between the Roman Empire and
India*, 1928.
- WEINBERG, J. *Die Algebra des Abu Kamil Soga' ben Aslam*, Munich, 1935.
- WIBERG, J. "The anatomy of the brain in the works of Galen and 'Ali
'Abbas" in *Janus*, xix (1914), 17 32, 48-104.
- WIEDEMANN, E. *Über Thabit ibn Qurra, sein Leben und Wirken*, Erlangen,
1922.
- — "Zur nabat. Landwirt-schaft von Ibn Wahschija" in *Zelt. f. Semit
i.* (1922), 201.
- — und FRANK, J. *Ueber die Konstruktion der Schattenlinien von Thabit
ibn Qurra*, Kopenhagen, 1922.
- WIELEITNER, H. *Gesch. der Mathematik*, 1, 1921, Berlin.
- WINER, L. *Contributions towards a history of Arabico-Gothic Culture*, New
York, 1917. (وبه أدلة هوجاه وغير محصاة)
- WÖPCKE, Sur l'introduction de l'arithmétique indien en occident, Paris, 1859.
- WÜSTENFELD, F. *Gesch. der arab. Aertze u. Naturforscher*, Göttingen, 1840.
- — *Die Akademien der Araber* Göttingen, 1837.
- WRIGHT, W. *History of Syriac Literature*, London, 1894. (Cf. also Joshua.)

فهرس الاعلام

ابن قتيبة : ٢١٣
 ابن ماسويه : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٥٨
 ابن هنام : ١٨٥
 أبو إسحق بن هلال : ٢٣٩
 أبو الأسود الدؤلي : ١٩٨ ، ١٩٩
 أبو الطيب سنده : ٢٢٣
 أبو العباس : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٦٣
 أبو الفداء : ٢٤٠
 أبو الفضائل : ٢٦٢
 أبو بشر متى : ٢٣٣ ، ٢٤٤
 أبو بكر : ١٨٦
 أبو جعفر الخازن : ٢٤٠
 أبو داود بن جلجل : ٢٣٤
 أبو ركرياه المنطقي : ٢٣٣
 أبو سعيد بن ثابت : ٢٣٩
 أبو سهل (التوحيدي) : ٢١١
 أبو علي السنجوري : ٢٣٤
 أبو علي عيسى بن زرعة : ٢٣٣
 أبو قريش : ٢٠٧
 أبو لؤلؤ : ١٥٨
 أبو اللودونس : ١٥٥
 أبولونيوس (رياضي) : ٣٩ ، ٤٣ ،
 ٢٣٨
 أبولونيوس (مصلح) : ٣٣
 أبو مسام الهراء : ١٩٩
 أبو معسر : ٢٤٦
 أبو يحيى البطريق : ٤٢ ، ٢١٨
 أتوربات : ٢٥٢ ،
 أنناسيوس الأول : ١٢٢
 أنناسيوس الثاني : ١٢٢
 أنناسيوس الجمال : ١٢١ ، ١٢٢

(١)

أبا القشقرى (مارأبا الثاني) : ٩٣ ، ٩٤
 أبا يزيد : ٨٠
 أبراهام القشقرى (الأول) : ٨٧ ، ٨٨
 أبراهام الميدي : ٨٠ ، ٨٨
 إبراهيم الفزاري : ٢٠٩
 إبراهيم بن آدم : ١٧٩
 إبراهيم : ٧٧
 أبروقلس : ٢٥٣
 أبشوتا : ٨٠
 أبقرط : ٤٤ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢
 ابن أبي أصيبعة : ٢٢٦ ، ٢٣١
 ابن إسحق : ١٨٥
 ابن الطفيل : ٢٤٧
 ابن العبري : ٤٦ ، ٩٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ٢٣٧ ، ٢٦٠
 ابن الفقيه : ١٧٧
 ابن المقفطى : ٢٢٥
 ابن المقفع : ٢١٣ ، ٢١٤
 ابن النديم : ١١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٨
 ابن الوحشية : ٢٤٠
 ابن حبير : ٢٤٠
 ابن حوقل : ٩٣ ، ٩٥ ، ٢٦٠
 ابن حلكاك : ٢٠٤
 ابن ديسان : ٣٤ ، ٦٧ ، ١٧٢
 ابن رشد : ٢٤٤
 ابن سعد : ٩٠
 ابن سينا : ٢٤٤
 ابن شهدي الكرخي : ١١٣
 ابن عبد ربه : ١٩٠

١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٦٦ ،
 ١٧١ ، ١٧٣
 إستريجووسكى : ٦٣
 إستوبايوس : ١٧٣
 أستير : ١٩
 إسحق الأنطاكي : ٦٧
 إسحق بن إبراهيم : ٢٢٦
 إسحق بن حسن : ٢٣٢
 إسحق بن عمران الإسرائيلي : ٢٦٣ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٦
 إسرائيل بن زكرياء : ٢٣٠
 إسقاط : ٤٥
 إسطفان بن باسيل : ٢٣٢ ، ٢٣٤
 إسطفانوس الرهاوي : ١٠٥ ، ١٠٦
 إسطفانوس (العديس) : ٥٤
 أسفاغورا : ١٧٥
 الإسكندر الأكبر : ٣ ، ٨ ، ١١ ، ٢٣ ،
 ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ١٣٠ ،
 ١٣٢ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 ١٧٠ ، ٢٥١
 الإسكندر الثاني : ١٢
 الإسكندر (ملك إيبروس) : ١٦٨ ،
 ١٦٩
 أسوكا (ملك) : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٥
 أسيلوس (أسقف) : ١١١
 إسطفانوس البيزنطي : ٢٥٥
 الأعشى : ٢٥٨
 أغابيتوس (بابا) : ١١١ ، ١١٢ ،
 ١١٣
 أغريغوريوس : ٤٧
 أغسطس (إمبراطور) : ١٤ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ١٦١ ، ١٧٣
 أغسطسونوس : ٢٥٥
 إفاغوريوس : ٢٥٤

أتناسيوس القديس : ١٢٦ ، ٢٥٤
 أجاتار خيديس : ١٣٢ ، ١٣٣
 أجاثياس : ١٦ ، ٩٢
 أحمد الهاوندي : ٢١٠ ، ٢١٤
 أحمد بن حنبل (الإمام) : ٢٢٣ ، ٢٤٥
 أحمد بن موسى : ٢٢٦ ، ٢٢٧
 أحسن (الرياضي) : ١٤٦
 أحوذمة : ١٢١ ، ٢٦١
 الأخطل : ١٨٩ ، ١٩٠
 آدم : ٢٥٥
 أذينة : ١٨ ، ١٩ ، ٢١
 إراتوستينس : ٣٨ ، ٣٩ ، ٢٢٣
 إرباباتا : ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧
 أردشير : ١٦ ، ١٧ ، ١٦٢
 أرساكيس : ٩ ، ١٥١ ، ١٥٣
 أرسطاليس : ٣٢
 أرسنياس : ٥٠
 أرسطو : ٢ ، ٦ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ،
 ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٦٠ ، ٦١ ،
 ٦٩ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ،
 ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٤ ،
 ١٧٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
 ٢٤٦
 أرشميدس : ٣٨ ، ٣٩ ، ٢٠٩ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٨
 أرطابانيس : ١٥٠
 أركولف (أسقف) : ١٨٨
 أرون : ٤٥ ، ٤٦
 أريانوس : ١٣٢ ، ١٣٨
 أريستارخوس : ٣٧
 أريسطلون : ١٣٣
 أريوس : ٦٠ ، ٦٣ ، ١١١ ، ٢٥٤
 إزاليا : ٨٠
 إسرأبون : ٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،

أنسطاسيوس الأنطاكي : ١٠٨
 أنطونيوس : ٢٩
 أنطونيوس ببوس : ١٥
 أنطيوخوس إيبفانيس (السلوق) : ١٢ ،
 ٤٩
 أنطيوخوس الآسيوي : ١٣
 أنطيوخوس الثالث : ١٥٠ ، ١٥٣ ،
 ١٥٤
 أنطيوخوس الرابع : ١٥٥
 أنطيوخوس ثيوس : ١٥٠ ، ١٦٨
 أنطيوخوس سوتير : ١٥٠ ، ١٥٩ ،
 ١٦٦
 أنطيوخوس سيديس : ١٦٠
 أها (أسقف) : ٢٦٢
 أهرون (طبيب) : ١٢٤
 أهورامازدا (إله) : ١٥١
 أهيها (هيبا - إلباس) : ٦٥ ، ٦٨ ،
 ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
 ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٥ ،
 ٩٩ ، ١١٦
 أوبي : ٤٧ ، ٤٨
 أوديسيوس : ٣٣
 أوريباسيوس : ٤٤
 أوريجين : ٢٩ ، ٥٧ ، ١٠٦
 أوستر : ٢٧
 أوطيخي (أوطاخي - أوطيخيوس) : ٦٠ ،
 ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
 ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ٢٥٩
 أولاد موسى : ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦
 أولمبيوس : ٢٩ ، ٣١
 أونياس الثالث : ٤٩
 أونياس الخامس : ٤٩
 أونياس الرابع : ٤٩
 أونيسكرتيوس : ٩٤
 آية الله الموصل : ١٢٤
 إى نسنج : ١٧٨

إفرايم (إبراهيم) : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
 ٦٦ ، ٦٧
 إفرايم (بطريك) : ١٠٥ ، ١١١ ،
 ١١٤ ، ١١٧
 أفلاطون : ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
 ٣٤ ، ٦٠ ، ٩٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦
 أفلوطين : ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،
 ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ١٩٦ ، ٢١٧ ،
 ٢٤١
 إفلين هوايت : ١٢٣
 إفني ماران : ١٦٢
 أفاق (مطران) : ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ،
 ٨٣ ، ٨١
 إقليدس : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
 ١٤٨ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨
 أكتيسياس : ٩٤
 أكموبادا : ١٧٤
 إلياس : ٧٩
 إلينغ : ٨٥
 اليعقوبي : ٢١٥ ، ٢٥٧
 أمانتيوس (خصي) : ١٠٦
 أمونيوس (ساكاس) : ٢٨ ، ٣٠ ،
 ٣٧ ، ٨١ ، ٩٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤١
 أميانوس ماركيلينوس : ٢٦٢
 أميليوس : ٣١
 الأمين : (خليفة) : ٢٠٦ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥
 أنيجونوس جوناثاس : ١٦٨
 أنتموس (بطريك) : ١١١ ، ١١٢
 أندراوس الإقريطي : ١٩١
 أنسناسيدس : ٢٥٣
 أنسطاس : ٧٠
 أنسطاسيوس (إمبراطور) : ١٠٢ ،
 ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧

۸۸ ، ۸۴ ، ۸۳
 پرستپولیس (اصطخر) : ۱۴۹
 برصوما : ۲۶۰ ، ۱۲۱
 برویوس : ۲۴۱ ، ۹۳ ، ۸۱ ، ۶۹
 بروتیریوس : ۱۰۱ ، ۱۰۰
 پرویفر : ۲۲۴
 یروقلس : ۴۳ ، ۳۷ ، ۳۵
 پروکویوس : ۵۹
 پریپلوس : ۱۳۳
 بریسوع : ۲۶۰
 البستی (المقدس) : ۲۴۵
 بطرس (أرخیاتر) : ۴۵
 بطرس الاییری : ۱۰۳
 بطرس القصار : ۱۱۶
 بطرس مونجوس : ۱۰۴ ، ۱۰۳ ، ۱۰۲
 بطلیموس سوتیر : ۲۴ ، ۲۳ ، ۸
 بطلیموس فیلادلفوس : ۵۰ ، ۲۴ ، ۱۳۳
 بطلیموس فیلوپاتور : ۵۰
 بطلیموس فیلومیتور : ۴۹
 بطلیموس کلودیوس : ۴۲ ، ۴۱ ، ۵
 ۴۳ ، ۱۳۷ ، ۱۴۳ ، ۱۴۸ ، ۲۱۰
 ۲۷۸ ، ۲۲۷ ، ۲۱۸ ، ۲۱۵
 بطلیموس یورجیتیس : ۱۳۳
 البغدادی : ۲۲۲
 بلخاریا : ۹۹
 بلوئارخوس : ۱۷۳ ، ۳۵ ، ۳۱
 پلیبی : ۵۵ ، ۵۴
 پلینیوس : ۱۳۸ ، ۱۳۷ ، ۱۳۶
 پمپی (قائد) : ۱۶۱ ، ۱۳ ، ۱۲
 پنیون : ۴۴
 پهابرا : ۱۶۸
 بود : ۹۱
 بوذ (طیب) : ۲۱۳
 بوذا : ۱۵۸ ، ۱۵۵ ، ۱۵۴ ، ۱۴۰
 ۱۶۹ ، ۱۶۶ ، ۱۶۵ ، ۱۶۴

آینوس : ۴۵
 آیدیسوس : ۳۵
 ایزاک . ه . هول : ۱۱۷
 ایسیخلوس : ۱۳۵
 ایسیدور (الفسری) : ۱۱۷
 آیشوع هب (بطریک) : ۲۵۶ ، ۸۹
 آیوب (الراهب) : ۸۷
 (ب)
 بابو (أسقف) : ۲۶۲
 پابوس : ۲۱۶ ، ۴۳
 پابوی (مطران) : ۷۹ ، ۷۸ ، ۷۷ ، ۸۴ ، ۸۳
 بابی (مطران) : ۸۵ ، ۷۷ ، ۸۳ ، ۱۱۸
 پاخوس (فدیس) : ۲۶۰
 بارهول : ۲۱۹
 بارپییر : ۹۲
 باسیلسکوس : ۱۰۲
 باسیلیوس : ۱۲۴ ، ۶۷ ، ۶۶ ، ۶۵
 باسیلیوس (انظر فورفوریوس)
 بالاتس (ملك) : ۷۶
 پالینی : ۲۶۱
 بهورن : ۲۱۶
 البخاری : ۱۸۵ ، ۱۸۳
 بختیشوع (أسرة) : ۲۰۶ ، ۹۶
 بختیشوع الأول : ۲۱۸ ، ۲۰۶
 بختیشوع الثاني : ۲۱۸ ، ۲۰۷
 بختیشوع بن جبریل : ۲۳۰ ، ۲۲۷
 براهماکوپتا (فلکی) : ۱۴۵ ، ۱۴۳
 ۲۱۵ ، ۱۴۷ ، ۱۴۶
 برایتان : ۶۵
 برجتراسر : ۲۲۹ ، ۲۲۵
 برزویه : ۹۱
 برسومة : ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۶ ، ۷۷
 ۷۸ ، ۷۹ ، ۸۰ ، ۸۱ ، ۸۲

١١٣ ، ١١٠ ، ١٠٩
 تيموناموس القسطنطيني : ١٠٤
 نيموناموس (الهر) : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣
 نيمور (باشا) : ٢٢٤

(ث)

ثابت بن قره : ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
 ثيوداهاد : ١١١ ، ١١٢
 ثيودوتس (والي) : ١٥٣ ، ١٥٤
 ثيودورا : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ،
 ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٦
 ثيودور البصري : ١١٥
 ثيودور المروزي : ٨٨ ، ١١٢
 ثيودور المصيبي : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ ،
 ٧٠ ، ٧٩ ، ٨١
 ثيودور روس أبوقارا : ١٩٣
 ثيودوريت : ٩٨
 ثيودوريك : ٤٥
 ثيودوسيوس : ٢٣٨
 ثيودوسيوس (الإمبراطور) : ٦٨ ، ٧١ ،
 ٩٩

ثيودوسيوس الأنطاكي : ١٠٦
 ثيودوسيوس (النسطوري) : ٢٣٠ ،
 ٢٣٣
 ثيودوسيوس (بطيريك) : ١١٠ ، ١١٥
 ثيودوسيوس (راهب) : ١٠٠
 ثيوفراسطوس : ٩٤ ، ٢٣٣
 ثيوقريطس : ١٠٦
 ثيون : ٤٣

(ج)

جاكسون : ٢٥٠
 جالينوس : ١٨ ، ٤٤ ، ٩٥ ، ١١٢ ،

١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
 ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٥٢
 البوريي : ١٤٤
 بوسي : ٨٠
 پوشياميترا : ١٦٩
 بوكوك : ١١٧
 پولس الأيجيني : ٤٥ ، ٢١٩
 پولس التلي : ١٢٣
 پولس السساطي : ٢٥٣
 پولس الفارسي : ٩٢ ، ١٢٤
 پولس القديس : ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٧ ،
 ١٠٤
 پولس (بطيريك) : ١٠٧
 پولس بن قاق : ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٥
 پوليبوس : ٢٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥
 پوليقراطيس : ٢٥
 پوليكارپوس : ١١٧
 پيرپونت مورجان : ١٠٨
 البروني : ٣٨ ، ١٤٥
 بيندوسارا : ١٦٦
 بيتن سميت : ١٢٠

(ت)

تارن : ١٤٩ ، ١٧١
 تاسنتوس : ١٤١
 تراچان (إمبراطور) : ١٤ ، ١٥ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ١٣٤ ، ١٦١
 تورفور : ١٧٠
 توما : ٨٦
 توما (القديس) : ١١٩
 توماس : ١٧٥
 توماس الخرقل : ١٢٣
 تيرپيوس : ١٣٩ ، ١٤١
 تيجرانيس (ملك) : ١١ ، ١٦٠ ، ١٦١
 تيريداتيس : ١٧
 تيموتاموس الثالث : ١٠٧ ، ١٠٨ ،

الحجاج بن يوسف : ۲۱۵ - ۲۱۶ - ۲۱۷
 حرقیال : ۵۰
 حسدای بن شاروت : ۲۳۴
 الحسن بن سهل : ۲۱۸ ، ۲۲۱
 حسن بن موسی : ۲۲۶
 الحسین بن علی : ۱۹۰
 الحموی : ۲۳۹
 حناقا الادبایی : ۸۸
 الحنین بن ابراهیم الناطلی : ۲۳۳ ، ۲۳۴ ، ۲۳۵
 حنین بن ایتیق القوابلی : ۴۴ ، ۵۰ ، ۹۰
 ۱۱۳ ، ۱۱۲ ، ۱۱۱ ، ۱۱۰ ، ۱۰۹ ، ۱۰۸ ، ۱۰۷ ، ۱۰۶ ، ۱۰۵ ، ۱۰۴ ، ۱۰۳ ، ۱۰۲ ، ۱۰۱ ، ۱۰۰ ، ۹۹ ، ۹۸ ، ۹۷ ، ۹۶ ، ۹۵ ، ۹۴ ، ۹۳ ، ۹۲ ، ۹۱ ، ۹۰ ، ۸۹ ، ۸۸ ، ۸۷ ، ۸۶ ، ۸۵ ، ۸۴ ، ۸۳ ، ۸۲ ، ۸۱ ، ۸۰ ، ۷۹ ، ۷۸ ، ۷۷ ، ۷۶ ، ۷۵ ، ۷۴ ، ۷۳ ، ۷۲ ، ۷۱ ، ۷۰ ، ۶۹ ، ۶۸ ، ۶۷ ، ۶۶ ، ۶۵ ، ۶۴ ، ۶۳ ، ۶۲ ، ۶۱ ، ۶۰ ، ۵۹ ، ۵۸ ، ۵۷ ، ۵۶ ، ۵۵ ، ۵۴ ، ۵۳ ، ۵۲ ، ۵۱ ، ۵۰ ، ۴۹ ، ۴۸ ، ۴۷ ، ۴۶ ، ۴۵ ، ۴۴ ، ۴۳ ، ۴۲ ، ۴۱ ، ۴۰ ، ۳۹ ، ۳۸ ، ۳۷ ، ۳۶ ، ۳۵ ، ۳۴ ، ۳۳ ، ۳۲ ، ۳۱ ، ۳۰ ، ۲۹ ، ۲۸ ، ۲۷ ، ۲۶ ، ۲۵ ، ۲۴ ، ۲۳ ، ۲۲ ، ۲۱ ، ۲۰ ، ۱۹ ، ۱۸ ، ۱۷ ، ۱۶ ، ۱۵ ، ۱۴ ، ۱۳ ، ۱۲ ، ۱۱ ، ۱۰ ، ۹ ، ۸ ، ۷ ، ۶ ، ۵ ، ۴ ، ۳ ، ۲ ، ۱ ، ۰
 ۲۵۸ ، ۲۴۳

(خ)

خالد بن أحمد : ۲۲۵
 خالد بن الولید : ۲۵۶
 خالد بن برمک : ۲۰۴ ، ۲۰۶
 الخزیمی (شاعر) : ۲۲۱
 خسرو (ملك) : ۱۷
 الخوارزمی : ۴۲ ، ۲۰۹ ، ۲۱۱
 خوثان : ۱۷۶

(د)

دادایسوع (مطران) : ۷۷ ، ۷۹ ، ۸۰
 دارا بن هیناسییس : ۱۴۹
 دانیال : ۱۹ ، ۵۰ ، ۲۴۹
 داود : ۲۵۴
 دایماخوس : ۱۶۶
 دفلدیانوس : ۲۱ ، ۵۶ ، ۱۴۱
 الدمشقی : ۳۶ ، ۲۳۵ ، ۲۳۹ ، ۲۴۱
 دمیان (بطریق) : ۱۱۶

۲۱۹ ، ۲۲۵ ، ۲۲۷ ، ۲۲۸ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۳۳
 جایوس (امبراطور) : ۱۳۶
 جبریل : ۸۸ ، ۹۶
 جبریل الأول : ۲۱۸
 جبریل الثاني : ۲۰۷ ، ۲۱۸ ، ۲۱۹ ، ۲۲۳ ، ۲۲۶ ، ۲۲۷
 جبریل الطیب : ۱۲۵
 جرجس بن بختیشوع : ۲۰۶ ، ۲۰۷
 جرجس بن کسری : ۱۲۱
 جذام بن بکر : ۱۸۹
 جریر : ۱۹۰
 جستینان (یوستینانوس) : ۳۶ ، ۹۱
 ۱۰۹ ، ۱۱۰ ، ۱۱۱ ، ۱۱۴ ، ۱۱۹ ، ۱۲۶ ، ۱۴۱ ، ۱۷۷
 جستین الإمبراطور : ۱۰۶ ، ۱۰۷ ، ۱۰۹ ، ۱۱۴ ، ۱۱۶ ، ۱۱۷ ، ۱۱۹ ، ۱۵۳
 جستین السجید : ۵۷
 جعفر البرمکی : ۹۶ ، ۱۴۸ ، ۲۰۶
 ۲۱۰ ، ۲۱۵ ، ۲۱۸ ، ۲۱۹ ، ۲۶۳
 چنکیز خان : ۱۷۹
 جودسپید : ۱۰۸
 جوردیانوس : ۱۷ ، ۳۰
 چولیان : ۳۴ ، ۳۵ ، ۴۴ ، ۴۵ ، ۶۴
 چولیانوس الهالبکارناسی : ۱۰۷ ، ۱۰۹ ، ۱۱۰ ، ۱۱۳
 جوینبول : ۲۶۲
 جیر هارد : ۲۲۶

(ح)

الحارث بن جبلة : ۱۱۴ ، ۱۱۵
 حیث بن الحسن : ۲۳۲

(ز)

زردست : ۱۶۲ ، ۱۷۶ ، ۱۷۸ ،
 ۲۵۰ ، ۲۵۱ ، ۲۵۲
 زکریا البلیغ : ۱۲۰
 الزنجاقی : ۲۴۵
 زهیر : ۲۵۸
 زیاد بن أبه : ۱۹۸
 زیادة الله الثالث : ۲۶۳
 زیثوس : ۳۰
 زید بن رفاعه : ۲۴۵
 زید بن حارثة : ۱۸۶
 زیفیرینوس (بابا) : ۵۶
 زینوبیا (الزباء) : ۲۱
 زینویوس الجزری : ۶۷
 زبتون (إمبراطور) : ۴۶ ، ۷۶ ، ۷۸ ،
 ۱۰۱ ، ۱۰۲ ، ۱۰۷ ، ۱۱۶

(س)

سابور : ۱۷ ، ۱۸ ، ۱۹ ، ۲۶۲
 سابور الثاني : ۲۵۲
 سارمانوخیاس (سرامانوکارچا) : ۱۷۳
 ساکوفوروس : ۲۸
 ساویرس الأنطاکی : ۱۰۳ ، ۱۰۴ ،
 ۱۰۵ ، ۱۰۷ ، ۱۰۸ ، ۱۰۹ ،
 ۱۱۰ ، ۱۱۱ ، ۱۱۳ ، ۱۱۴ ،
 ۱۱۶ ، ۱۲۳ ، ۲۵۹
 ساویرس سنجت : ۱۲۴
 سپتیمیوس سیفیروس : ۱۵ ، ۱۷
 سرجیوس : ۱۲۴ ، ۱۸۹
 سرجیوس الأنطاکی : ۱۱۵
 سرجیوس التلاوی : ۱۱۴
 سرجیوس الرسمی : ۴۴ ، ۴۶ ، ۸۸ ،
 ۱۰۵ ، ۱۱۱ ، ۱۱۲ ، ۱۱۳ ،
 ۲۲۷

دوتاجامینی : ۱۷۰

دو قال : ۲۱۹

دومنوس : ۷۳ - ۷۴ ، ۹۸

دومشيان أولتیانوس : ۵۵

دیتریسی : ۲۱۷

دیکیوس : ۵۶

دی لاجارد : ۶۸

دیتریانوس : ۲۰

دیتریوس : ۵۰ ، ۱۵۴ ، ۱۵۵

دینسون روس : ۱

دیودوتوس (ثیودوتوس الثاني) : ۱۵۳

دیودور الصقلی : ۱۳۳

دیودورس (ناسک) : ۶۳ ، ۶۹ ، ۷۰ ،

۷۱

دیوستوروس : ۷۲ ، ۷۳ ، ۹۷ ،

۹۸ ، ۹۹ ، ۱۰۰ ، ۱۰۱ ، ۱۰۷

دیوستوروس (الشمس) : ۱۰۷

دیوستوریس : ۲۳۲ ، ۲۳۴ ، ۲۳۵

دیوفانتس (الریاضی) : ۴۲ ، ۴۳ ،

۱۴۵ ، ۱۴۶

دیوفانتس (الفلكی) : ۴۳

دیوقلیس : ۳۹

دیوکاسیوس : ۱۴۱ ، ۱۷۳

دیونیسیوس الأریوپاغی : ۱۰۴ ، ۱۰۵ ،

۱۲۹

(ذ)

ذاماراکیتا : ۱۶۹ ، ۱۷۰

ذی بواس : ۱۱۸

(ر)

رابولا : ۶۵ ، ۶۸ ، ۷۱

راعوب : ۵۰

رایت : ۶۲ ، ۸۲ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۱۱۹

رسم : ۱۴۹

روفیوس : ۱۲۶

(ش)

الشابشي : ٢٥٧
شابو : ٨٢
شابوت : ٢٦٢
شارلمان : ٥
شارلنصر الثالث : ١٣١
شامودراكوتا : ١٤٢
شانج كئين (قائد) : ١٥٧
شتايشنيدر : ٤٦
التهمروزي : ٢٤٥
شوارتز : ١٦١
شونفلدر : ١٢٠
تيرين : (ملكة) : ١٢٥
شيل : ٨٥

(ص)

صديق : ٩٢ ، ٢١٦
صموئيل النহারدي : ٢٦٥

(ط)

الطائع (خليفة) : ٢٣٩
طاهر (قائد) : ٢٢١
طاليس : ٢٥
الطبري : ١٩ ، ١٥٩
طريقة بن العبد : ٢٥٨
طوراماي (بطليموس) : ١٦٨
طيئس البصري : ٦٨

(ع)

العباس بن المأمون : ٢٢٩
العباس بن سعيد الجوهري : ٢١٥ ، ٢٢٣
عبد الرحمن الثالث : ٢٣٣ ، ٢٣٤
عبد الرحمن (الداخل) : ٢٣٣

سرجيوس سرجون : ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ٢٦٠
سرونج بان جامبو : ١٧٨
سعد بن أبي وقاص : ١٩٧
سعد جاعون : ٢٦٥
سعيد الدمشقي : ٢١٥
السفاح : ٢٠٦
سفيان بن معاوية : ٢١٣
سفرط : ١٢٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
سكايلاكس : ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩
سكيوالاسيوي (قائد) : ١٥٤
سلموبه بن بنان : ٢٢٧
س . ل . ٦٨
سليمان الحكيم : ٥٢
سمعان (أسقف الحيرة) : ٢٥٦
سمعان (أسقف بيت أرسام) : ١١٨
سمعان الأرشيمي : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ،
٨٠
سمعان الجرمي : ٩٤
سمعان قوقايا : ١١٩
سنارت : ١٦٩
سنان بن ثابت : ٢٢٤
سنجا : ١٦٩
سنخريب : ١٣١
سبل بن ريان الطبري : ١٦٣ ، ٢١٦ ،
٢٦٤
سومرونيوس اللاهوتي : ١٩١
سويداس : ٢٩ ، ٤٥
سيبويه : ٢٠٠
سيريانوس : ٣٥
سيستان : ١٧١
سيسينيوس : ٢٥٢ ، ٢٥٣
سيف الدولة : ٢٤٣
ميلوقوس نيكاتور : ٨ ، ١٥٠ ، ١٦٦

(ف)

الفارابي : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
 قاراها ميهيسا (فلكى) : ١٤٢
 فارنخت (مطران) : ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠
 فارهيس : ١٧٦
 فازوديكا : ١٤٠
 قالتينيانوس : ٤٥
 قالنس : ٤٥
 فاليريانوس : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠
 فان هوناكر : ٦٩
 الفردوسى : ٢١٣
 فروميتيوس : ١٢٦
 فريدمان : ٦٩
 الفضل البرمكى : ٢٠٦
 فلانيان : ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٨ ،
 ٢٥٩ ، ٩٩
 فورفوريوس : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
 ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ،
 ٦٩ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٢٣ ، ١٧٣ ،
 ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٤
 فوشيه : ١٧٥
 فوطينوس : ٢٥٣
 فوطيوس : ٢٥٤
 فول : ١٥٢
 فولوجاسوس الأول : ١٥٢
 فولفيوس كويتوس : ١٨ ، ١٩
 فولفيوس ماكريانوس : ١٨
 فون دولينجر : ٥٦
 فيثاغوراس : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
 ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٢٤٦
 فيروز (ملك) : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
 ٨٣ ، ٨٤
 فبروس : ١٥
 فيلوقراطيس : ٥٠
 فيلوكسينوس (أكسينايا) : ١٠٥ ، ١١٦

عبد الله بن على : ٢١٣
 عبد الله بن معاوية : ١٨٩
 عبد المسيح الحمصى : ٢١٧ ، ٢٤٢
 عبد الملك بن مروان : ١٨٨ ، ١٨٩ ،
 ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٩
 عبد بشوع بن بريخا : ٦٩ ، ٨٢ ، ٩١ ،
 ١١٢
 عتبة بن عزوان : ١٩٧
 عثمان بن عفان : ١٨٥
 عزرا : ٥٠ ، ٢٤٩
 عفيية (أسقف) : ٦٢
 على الرضا : ٢٢١
 على بن أبي طالب : ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ،
 ٢٥٨
 على بن سهل الطبرى : ٩٢ ، ٢١٦
 على بن عيسى الأسطري : ٢٢٣
 على بن يحيى : ٢٢٥ ، ٢٢٩
 على عباس : ٤٥
 عمر بن الخطاب : ١٨٥ ، ١٨٧
 عمر بن الفرخان : ٢١٨
 عمر بن عبد العزيز : ١٩٠
 عمرو بن هند : ٢٥٨
 العوفى : ٢٤٥
 عيسى (المسيح) : ٢٨ ، ٧٠ ، ٢٥٥
 عيسى بن أسيد : ٢٣٩
 عيسى بن على : ٢١٣
 عيسى بن نون : ٢٢٣
 عيسى بن يحيى بن إبراهيم : ٢٣٢

(غ)

غايانوس (بطريك) : ١١٠
 غراطيان (جراتيانوس) : ٥٨
 غريغوريوس : ٦٥ ، ٦٦ ، ١٢٤
 غرسيس (بثايس) : ٤٦

٢٨٣

كسرى الأول : ٨٧ ، ٨٢ ، ٣٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠
 كسرى الثاني : ٢٥٦ ، ١٦٠ ، ١٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٥٧
 كلمت السكندري : ٤٧ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٥٧ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٢
 كلوديوس الإمبراطور : ١٥٢ ، ١٣٨ ، ١٠٨
 كلوديوس القديس : ٢٤٢ ، ٢٣٣ ، ٤٠ ، ٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥
 كنج هن : ١٥٧
 كنتكلي (حكيم) : ١٤٤
 كوبتا : ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٤٢ ، ١٤١
 كوبرنيقي : ٤٢ ، ٣٧ ، ٥
 كوجالا : ١٥٧
 كورتز : ٢٢٦
 كوساس (راهب) : ١٩٢
 كولسون : ٢٣٥
 كومودوس : ٥٦
 كومي : ٦٩
 كبرتيوس : ١٧١
 كيرلس الأورشليمي : ٢٥٤

(ل)

لايور : ٨٠ ، ٢٠
 لابي : ٩٩
 لامانس : ١٢٨
 لاند : ٩٢
 ليبيد بن ريمه : ٢٥٨
 لو : ٢٣٢
 لونچينوس : ٣٢ ، ٢٩ ، ٢٨
 لي سترنج : ١٩
 ليون (إمبراطور) : ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٩٧
 ليون (بابا) : ٢٥٩ ، ٩٩ ، ٧٣

فيلولاولوس : ٢٦
 فيلون السكندري : ٤٨ ، ٣١ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ٥٠
 فيليب : ١٧
 فيليبوس الصيدي : ٢٥٣ ، ٢٥٢

(ق)

القاهر (خابغه) : ٢٣٩ ، ٢٢٤
 قباد الأول (ملك) : ٨٥ ، ٧٦
 القزويي : ١٧٩
 مسطابن لوقا : ٢١٧ ، ٤٧ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٢٣٣
 قسطنطين (أسقف) : ١٠٨
 قسطنطين الإغريقي : ٢٦٥ ، ٢٦٤
 قسطنطين الإمبراطور : ٢٢ ، ٢١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٢٦ ، ١٤١
 ١٩١
 قسطنطين السابع : ٢٣٤
 قميشوع (أسقف) : ١٢١
 قندراكوينا : ١٦٦ ، ١٤١
 قندراكوينا الثاني : ١٧٦ ، ١٤٢
 قورش : ١٤٩ ، ١١٦ ، ٧٦ ، ٤٨

(ك)

كاپيلا : ١٦٤
 كادفيسيس الأول : ١٥٧
 كادفيسيس الثاني : ١٥٧
 كاراكي سامهيتا : ١٧٤
 كالوتبخيوس (خصي) : ١١٠
 كاليستوس : ٥٦ ، ٥٥ ، ١٩ ، ١٨
 كانيشكا (ملك) : ١٥٨ ، ١٤٠ ، ١٧٥ ، ١٦٦
 كرام : ١٠٨
 كريستوفر (مطران تكريت) : ١٢٢

(م)

ماج (ماجاس) : ١٦٨ ، ١٦٩
 مار : ٢٠
 مارا (الأملى) : ١١٧
 مارأبا : ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠
 ٩٣ ، ١١١ ، ١١٢
 مارتن : ١١٨
 مارسيا : ٥٦
 ماريلا : ٣٢
 ماركوس أو ريلوس : ١٥ ، ١٧ ، ١٤١
 ماروثا (أسقف تكريت) : ١٢٢ ، ١٢٩
 ماروثا بن حبيب : ١٢٣ ، ٢٦٠
 ماري : ٧٩
 ماري (الفارسي) : ٨٠
 ماريوس : ٣٦ ، ٤١
 ماريونان (ناسك) : ٢٦٢ ، ٢٦٣
 ماشاء الله بن أنرى : ١٦٣ ، ٢٠٤ ، ٢٦٤ ، ٢١١
 ماكوفالد : ٢٤٤
 ماكريفانوس : ١٨ ، ٩٩ ، ١٠٠
 ماكليين : ٦٨
 المأمون : ٧٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢
 مانوس : ١٠٥
 مانسى : ٢٥٩ ، ٢٥٤
 ماني : ١٦٢
 ماهافيرا : ١٦٤
 ماهراكتيرا : ١٦٧
 مايرهوف : ٢٢٤ ، ٢٢٩
 ماينكي : ٢٥٥
 المتوكل بن الواثق : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٢
 منى (القديس) : ٢٨ ، ١٢٦

محمد (النبي) : ٤ ، ٩٠ ، ١٢٧
 ١٣٤ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠
 ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤
 محمد بن إبراهيم الفزاري : ٢٠٩
 محمد بن جابر بن سنان : ٢١٧ ، ٢١٨
 محمد بن زكريا الرازي : ٢٦٤
 محمد بن موسى : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢
 ٢٣٨
 محمود الغزنوي : ١٤٠
 مركس : ٨٢
 مروان الأول : ٢٠١ ، ٢٠٣
 مروان الثاني : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٣٦
 ٢٣٧
 مريم : ٧٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
 مزدك : ١٦٢
 المستعين : ٢٣١
 المسعودي : ٢٠ ، ٢٠٩
 مسلم : ١٨٣ ، ١٨٥
 مسلمة المجريطي : ٢٠٩ ، ٢٣٩
 المسيح : ٥١ ، ٧٢ ، ٩٨ ، ١٠٩
 ١١٩ ، ١٩٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
 ٢٥٩
 مسيرغوية : ٤٦
 المطيع (خليفة) : ٢٣٩
 معاوية : ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١
 المعنز : ٢٣١
 المحتصم : ٢٢٩ ، ٢٤٢
 المعتضد : ٢٢٦
 المعتمد : ٢٣١
 معني : ٨٦
 معني (مطران) : ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠
 مقلونوس : ١٠٤
 مكسيموس : ٣١
 ممنون : ٧١
 المتصنر بن المتوكل : ٢٣١

نسطور (راهب) : ٩٠
نسطوربوس (الجرماني) : ٦٠ ، ٦٩ ،
٧٠ - ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ،
٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

النمات : ٨٩
نمان الخامس : ٢٥٦ ، ٢٥٨
النيجوري (المهرجاني) : ٢٤٥
نور : ١٢٥
نوبخت : ٢٠٤ ، ٢١١
نومينوس : ٢٧ ، ٢٩
نوفوس : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٩
نيآرخوس : ٩٤ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،
١٣٨

نيرون : ٥٤ ، ١٣٩
نيفالوس : ١٠٣
نيقولا الدمشق : ٩٣ ، ١٧٣
نيقولا (راهب) : ٢٣٤ ، ٢٣٥
نيقوماخوس : ٤١
نيقوميديس : ٣٩
نيميسيوس : ٢٩

(ه)

هادريان : ١٤ ، ٣٤
هارثا : ١٧٧
هارفي (عالم) : ٦
هاليجا بالوس : ١٧٢
هاماراجرد : ٨٥
هان : ١٥٨
هايجر : ٢١٦
هرقل : ٢٩ ، ١٩١
هرماس : ٤٧
هرمز الثالث : ٨٣
هرمز بن نرس : ٢٠

المنصور : ٦ ، ١٤٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،
٢٦٣ ، ٢٦٤

المنصور بن المهدي : ٢٢١
منصور موافي : ٩٣
المهدي : ٢٣١
المهدي : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٤٦
موريس (إمبراطور) : ٢٦٢
موزيل : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩
موسى الخوري : ١٦
موسى النبي : ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٢٦٥
موسى بن شاكرك : ٢٢٥
مولتون : ٢٥١
مولر : ٢٥٥

ميسرايداتييس الأول : ١٥١ ، ١٥٥
ميسرايداتييس السادس : ١٢
ميجاستييس : ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٢
ميخا (أسقف) : ٨٠
ميخائيل السرياني : ٢٦٢
ميخايس (أسقف) : ٦٤
ميناس (بطريرك) : ١١٣
مينالاوس (الرياضي) : ٤١
ميناندر : ١٥٥ ، ١٥٦
مينجقي (إمبراطور) : ١٥٧

(ن)

النابغة : ٢٥٨
النازري : ٢١٦
فاليناكشادت : ١٦٥
نبوخذ نصر : ١٣١
نحميا : ١٩ ، ٥٠
نرسى : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ،
٨٥

وارمجتون : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٣٩

الوليد بن عبد الملك : ١٩٠

وليم الطرابلسي : ١٩٣

(ى)

يارانينهر : ٢٠

ياسون : ٤٩

ياقوت : ٩٢ ، ١٧٨

يحيى البرمكي : ٢٠٦ ، ٢٠٧

يحيى الميموني : ٢٢٣ ، ٢٢٦

يزدجرد الأول : ٧٩

يزدجرد الثالث : ١٥٩

يزدجرد الثاني : ٧٦ ، ٨٣ ، ٢٥٢

يزيد بن معاوية : ١٨٩ ، ١٩٠

يسوع : ٦٨

يشوع العمودي : ١١٨ ، ١١٩

يشوع بن سيراخ : ٥٢

يعقوب : (أسقف) ٦٢ ، ٦٤

يعقوب الثاني : ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١

يعقوب السروجي : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩

يعقوب بن طارق : ٢٠٩

بمقويم : ٢١٥

يمليخا : ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥

يهب الله (مطران) : ٧٧ ، ٧٩

يهوذا بن باثيرا : ٦٢

يويديموس : ١٥٣ ، ١٥٤

يوحنا : ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢

يوحنا أسقوزناغيس : ١٢٣

يوحنا الإفسوسي : ١١٩ ، ١٢٠

يوحنا الأنطاكي : ٢٣٩

يوحنا الأورشليمي : ١٩٢

هرمس : ٢٤٦

هرون الرشيد : ٩٦ ، ١٤٣ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ،

٢٣٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥

هشام الثاني : ٢٣٤

هشام بن عبد الملك : ١٩٢ - ٢٠١

هند (أخت النعمان) : ٢٥٦

هوسبا : ٢١٥

هورميسداس (بابا) : ١٠٧

هوفان : ٦٩

هوئيثكا (ملك) : ١٤٠

هومبروس : ٣٣ ، ١٣٥

هيباتيوس (مطران) : ١٠٥

هيبايبا : ٣٥ ، ٤٣

هيبارخوس : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢

هيبالوس (بحار) : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩

هيبسيكليوس : ٣٩ ، ٤٠ ، ١٤٦

هيبوليتوس : ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦

هيجيسيبيوس : ٥٧

هيريودوت : ٢٥ ، ٩٤ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ،

٢٥٠ ، ٢٥١

هيريوبانوس : ١٦

هيريوقليس : ٢٩ ، ٣٥

هيرون (السكندري) : ٤٠ ، ٤١ ، ١٤٦ ،

٢٣٣

هيرونيموس : ٢٨

هيرونيوس : ٢٩

هاسيخيوس : (قس) : ٢٥٤

هيون تسانج : ١٧٧

هيبروثيوس : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٩

(و)

الوانق : ٢٢٩

يوسيتين : ٢٦	يوحنا الدمتقي : ١٢٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
يوسف : ٨٦	٢٢٤ ، ١٩٥
يوسف الخوري : ٢٣٢	يوحنا الشماس : ٤٧
يوسف الهزى : ٨٢	يوحنا (القديس) : ٤٨ ، ٥١ ، ١٩٥
يوسيبوس : ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ،	يوحنا النيق : ١٠٤ ، ١٠٧
٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ،	يوحنا أيشوع الثاني : ٩٤
٩٩ ، ٢٥٤	يوحنا برفرصوص : ١١٧ ، ١١٨
يوسيفوس : ٤٩	يوحنا (بطريك) : ٧١
يوشع . (أسقف) : ٢٥٦	يوحنا (بطريك القسطنطينية) : ١٢٣
يوطيخوس : ١٩١	يوحنا بن البطريق : ٢١٧
يوفراسيوس : ١١٤	يوحنا بن هيلم : ٢٤٤
يوكراتيديس : ١٥٥	يوحنا فم الذهب : ٦٦
يوليافوس . ٢٥٩ ، ٢٦٠	يوحنا فيلوفونوس : ٣٧ ، ٨١ ، ٩٣ ،
يوفاتيروس : ٢٩	١٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤١
يونان (القيم) : ١٢٤	يودوكسوس : ١٣٣ ، ١٣٨
	يوسانيوس : ٣٥ ، ٦٢ ، ٦٣

فهرس الأماكن والبلدان

إستانبول : ٢٢٥ ، ٢٢٩	(١)
أسقيط : ١٢٣	أباراتا : ١٦٩
الإسكندرية : ٢ ، ٣ ، ٩ ، ١٢ ، ٢٢ ،	أباريون : ٢٦٢
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،	أپاميا : ٢٧
٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،	أتیکا : ٢٨
٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،	أثينا : ٢ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٢ ،
٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٧ ،	٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٩١ ،
٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٠ ،	١٧٣
٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٢ ،	إنجوبة : ١٢٦ ، ١٣٥
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،	أجين (ميناء) : ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،	١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ،	١٥٥
١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ،	أذربيجان : ٨٧
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،	إرثا (الحيرة) : ٢٥٥
١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ،	أرجان : ٩٢ ، ٩٣
١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٩١ ،	أرزون : ٨٦
٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ،	أرسنوى (السويس) : ١٣٣
٢٦٤	أرشام : ١١٨
الأسكورا : ١٦٦	أرض الجزيرة : ١٥ ، ٢٤٨
أستيليتي : ٤٧	أرمي : ٨٦
أسوان (سينى) : ٣٨	أرمينية : ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ،
آسيا : ٣ ، ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢١ ،	١٧ ، ١٨ ، ١٢٥ ، ١٦١ ، ٢٠٦ ،
٢٢ ، ٢٤ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ،	٢٥٢ ، ٢٥٠
٨٩ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٢ ،	أزدشير (سلوقية) : ٨٠
١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،	أزروهين : ١٦١
١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧١ ،	الازل (جبل) : ١١٤ ، ١٢٥
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢٣٣ ،	أزمير (أنميرنا) : ٤٤ ، ٥٩
٢٥٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧	أزوف (بحر) : ١٥١
أسيوط : ١٠٨	أساق : ٢٥١
أشوريا : ١٤ ، ١٥	أسپانيا : ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
إفريقية : ٤٧ ، ٤٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،	٢٦٣ ، ٢٣٥

(ب)

بايى بابان : ١٥٩
 باب الطاق : ٢٢٦
 باب المنذب : ١٣٨ ، ١٣٥
 بابل : ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٦
 باتالا (حيدر آباد) : ١٣٢ ، ١٣٦
 باتالى پوترا : ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٦
 ١٧٦ ، ١٧٩
 يارثيا : ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ٥٧ ، ١٤١
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣
 ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٨٥
 بارجوسيس : ١٧٣
 باروخ (بروقتس) : ١٤٢
 باريجازا : ١٥٥ ، ١٧٣
 ياريس : ٤٨ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ٢١٩
 بافلا جونيا : ١٠١ ، ١١٦
 باميان : ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٧٩
 بانجشير غربانه (نهر) : ١٧١
 البانديا : ١٦٨ ، ١٧٣
 باهيسنان : ١٦٧
 البتينكا : ١٦٨
 البحر الأحمر : ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٢
 ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩
 ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٨٠
 البحر المتوسط : ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢
 ٤٨ ، ٥٧ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦١
 پرچا : ٣٩
 يرجاموم : ٣٥
 يرغامه . ٢١
 برلين : ٦٩ ، ٩٢ ، ٢١٦
 برنيقة : ١٣٣
 بريسوبوراس : ٢٦٢
 البصرة : ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨
 ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢١٣
 ٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥

(١٩ - علوم اليونان)

١٨٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٦٣
 إفسوس : ٥٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤
 ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١١٩
 ١٢٠ ، ٢٥٤
 أفغانستان : ١٤١ ، ١٦٧ ، ١٧١
 أقروطونا : ٢٥
 أقریطش : ١٩١
 أكسفورد : ١١٧ ، ٢٣٥
 أكسوم : ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٦٩
 أليساندا : ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٨
 ١٧٠ ، ١٧١
 آمد : ٤٥ ، ١١٧ ، ١١٨
 الأنبار . ٢٠٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
 إنجلترا : ١١٧
 الأندلس : ٤ ، ٤٢ ، ٢٠٨ ، ٢٣٣
 ٢٣٤ ، ٢٦٣
 الأندرا : ١٦٨
 أنطاكية : ٩ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠
 ٣٠ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢
 ٧٣ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
 ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤
 ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣٢
 ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٧٣
 ١٩١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩
 أوبيان : ١٧٠
 أور : ١٣١
 أوربا : ٤٣
 أورشليم : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤
 ٥٩ ، ٦٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٩١
 ١٩٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤
 أياصوفيا : ٢٢٥ ، ٢٢٩
 أيجينا : ٤٥
 إيران : ٢٥٠
 إيطاليا : ١١ ، ١٢ ، ٤٨ ، ١٩٢
 إيلة : ١٣٣ ، ١٣٥

بيٲ كوش : ٢٥٦
بيٲ لاپات : ١٩ ، ٧٨
بيشنيا : ٥٤
بيشوم (القيوم) : ٢٦٥
بيروت : ٧٤ ، ١٢٨
بيزنطة : ٨٢ ، ٢٣٤
بيهار : ١٦٤

(ت)

تارقم : ٢٥
تاكسيلا : ١٥٤
التبت : ١٧٨
تدمر : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ١٦١ ،
٢٤٩
تراقيا : ٥٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٦
تركستان الصينية : ١٧٥
تستر : ١٩
تشيناباق : ١٥٨
تكريت : ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٥٧ ،
٢٦٠ ، ٢٦١
تلا : ١١٤ ، ١١٧
تل مقدم : ٤٩
تهامة : ١٢٦ ، ١٢٧
تيانا : ٣٣

(ث)

ثاليسار : ١٧٧

(ج)

الجاية : ١٩٧
جامي : ١٤٢
جباي : ١٥٥
جدروسيا : ١٣١ ، ١٣٢
جرى : ٨٠ ، ٩٤

بصري : ٩٠ ، ١١٥ ، ١٨٦
بغداد : ٤ ، ٥ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٩٠ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ،
١٦٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،
٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥

بقطر : ١٥٣ ، ١٥٤

بلاد البرابرة : ٤٥

بلاد العرب : ٢١ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ١١٥ ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٨٥ ،
٢٠٢ ، ٢٥٧

بلخ : ٣ ، ٤ ، ٩٦ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٦ ،
٢١٢ ، ٢١٦

بلياس (نهر) : ٢٣٥

بنارس : ١٦٥

البنجاب : ٨ ، ١٣١ ، ١٥٤ ، ١٦٨

بنطش : ١١ ، ١٢ ، ٥٩

به يز آنديوشافور : ١٩

بور شاپورا (بشاور) : ١٤٠ ، ١٧٥

بوزورج شاپور : ٢٦٢

البوليندا : ١٦٨

يومبادشا : ٥٣ ، ٢٦٥

يوميبوبوليس : ١٨

بيت عدراي : ٧٨

بيت عربايا : ١٢٥

(خ)

خالقاس : ٣٤
 حراسان : ١٢٢ ، ١٥٠ ، ١٧٨ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ،
 ٢١٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٦٣ ،
 خلقيلوية : ٥٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
 ٧٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
 ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
 ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
 ١٦٢ ، ٢٥٩ ،
 خليج السويس : ١٣٣
 الخالص الفارسي : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤١ ،
 ١٤٩ ، ٢٥٠ ،
 خليج هرونبوليس : ١٣٣
 خوزستان : ١٩ ، ٢٠ ،
 الخولا : ١٦٨

(د)

داره : ٢٣٨
 داستجرد : ٩٤
 داوسارا : ١٥
 دجلة : ١٤ ، ١٧ ، ٨٠ ، ٨٥ ،
 ١٢١ ، ١٥١ ، ١٨٠ ، ٢٢٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،
 دجيل : ١٩
 الدقهلية : ٤٩
 الدلتا (حى) : ٤٨
 دلمى : ١٧٧
 دمشق : ٥ ، ٣٦ ، ٦٢ ، ٩٤ ، ١٨٠ ،
 ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٥ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ ،
 دوريلايوم : ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
 الدول الاسيوية : ٣
 ديدان (العلا) : ١٣٤

جزر البحرين : ١٣٢

الجزيرة العربية : ١٨٥

جشير : ١١٩

الخص (قلعه) : ٩٣

جندبساپور : ١٩ ، ٢٠ ، ٤٤ ، ٧٨ ،
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
 ٩٦ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ،
 ١٤٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
 ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٥٧ ،
 جندارا : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،
 ١٧٠ ، ١٧٥ ،

جويتا : ١٧٩

الجويرات : ١٦٩ ، ١٧٠

الجودى : ٢٦٣

جومنا : ١٧٦

جيجاس : ١٣٦

جيحون (نهر) : ١٥٦

جيسار : ١٢٥

(ح)

الحجاز : ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
 حلب : ١٤ ، ١٢١ ، ١٢٥ ،
 حران : ٣ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٠١ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٠ ،
 حصن الفراب : ١٣٦
 حلب : ٥ ، ٢٤٣ ،
 حلوان : ١٢١
 حص : ٩١ ، ٢١٧ ،
 حورا : ١١٦
 الحيرة : ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ،
 ١١٨ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

ديزفول : ١٩

(ذ)

ذوقنين : ١١٨

(ر)

راچاپور : ١٣٦

راجاجريها : ١٧٥

رأس سيحروس (فرتك) : ١٣٦٠

رأس عين : ٢٣٥

راقودة : ٢٣

رايشاهار : ٩٢

الرباط : ١٥٩

الرزيق (قرنة) : ١٥٩

الرها : ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٤

٤٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦

٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣

٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩

٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٥

٩٥ ، ٩٦ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢

١٢٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٣٥

٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

رودس : ٤٠

روساويل : ١٧٠

الروم : ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٦

روما : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨

١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢

٣٢ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٢

٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤

٦٤ ، ٧٣ ، ٩٩ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ١٩٣

١٩٣

الري : ١٥١

(ز)

الزباب الأكبر : ١٢١

زيوجا : ١٣٢

(س)

سارديس : ٥٩

ساري : ٨٠

الساكا : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٤

سامراء (سرهن رأى) : ٢٢٩ ، ٢٦٠

ساموس : ٢٥ ، ٣٧

سانارت : ١٦٥

سجبالا (سيا لكوت) : ١٥٥

سردينيا : ٥٥

سروج : ١١٦

سلطان فلعة (حى) : ١٥٩

سلع (بطرة) : ١٣ ، ٧٢ ، ١١٧ ، ١٣٣

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠

ساوقية : ١٤ ، ٢٠ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ٨٠

٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩

٨٩ ، ٩٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٢

١٣٢ ، ١٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧

سهرقند : ٥

سنجار : ٢٢٣

السند : ٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤١

١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١

١٥١ ، ١٧٦ ، ١٧٧

سويارا : ١٤٢

سورا : ٢١ ، ٥٣ ، ٢٦٥

سوراشترا : ١٤٢

السوس (سوسا) : ١٩ ، ٦٤ ، ٩١ ، ٩٥

٩٥

سوريا : ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧

١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠

٢٩٣

الصين : ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨

(ط)

طرابلس (النام) : ٢٦٦

طرسوس : ٦٣

طليطلة : ٢٦٦

طميل : ١٣٩

طورعبدین : ١٢٢ ، ١٢٥

طيسفون : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧

٢١ ، ٨٥ ، ١٥١ ، ٢٦٥

(ع)

العالم اليوناني : ٣

عدن : ١٣٢ ، ١٣٦

العراق : ٩٤ ، ٩٤ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨

٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٦٢

عزلا (جل) : ٨٧

عين شمس : ٢٣

(غ)

الغال : ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦

١٨٨

غانغرا : ١٠١ ، ١١٦

الغر : ١٧٨

غزة : ١٠٣ ، ١٣٥

(ف)

فارس : ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨

٢١ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٦٠

٦٢ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦

٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣

٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٨

١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥

١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥

١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦١

١٧٢ ، ١٨٥ ، ١٨٦

١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٤

١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢

٢٠٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤

٢٦٥ ، ٢٦٦

سيجيروس : ١٣٦

سيحون (هر) : ١٥٦

سيسوستريس (قناة) : ١٣٣

سيناء : ٨٧ ، ٢٥٠

سيلان : ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣

١٧٦ ، ٢٦٢

(ش)

النام : ١٢

شاه آباد : ١٩

الشرق الأدنى : ٨ ، ١٣ ، ١٩ ، ١٣٠

٢٠٤

الشرق الأقصى : ٣ ، ٨٩ ، ١٣٠

١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٧٨

٢٥٢

الشرف الأوسط : ١٥١

شط العرب : ١٣١

شوشن : ١٩

شهبان (أسقيط) : ٨٦

(ص)

الصغد : ١٣٠ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٢

١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٨

صفليہ : ٣٢

صور : ٢٥ ، ٣١ ، ٤١ ، ٧٤

١٠٧ ، ٢٦٦

الصومال : ١٣٤

قنسرين : ٦٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ،
١٢٤ ، ١٢٥
قورينة : ١٦٨ ، ١٦٩
القوقاز : ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٧٠
قوس منس : ١١٧
القيروان : ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٦٣
قيصرية : ٦٥ ، ٦٧

(ك)

كابيل : ١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٨
كاپيسا : ١٥٨ ، ١٧١
كاراي : ٢٣٥
كاريا : ١٤٩
كارياندا : ١٤٩
الكاهپوجا : ١٦٨
كانوب (أبوقير) : ١١٠
كاني : ١٣٦ ، ١٣٧
كبادوكيا : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٣١
كبدوشيا : ١٧ ، ١٨
كربلاء : ١٩٠
الكرخ : ٢٠٥
كريمونية : ٢٢٦
كشمير : ١٦٦ ، ١٧٥
كفرتوتا : ٢٣٨
كفرماري : ٨٠
كزيرديج : ٦٨ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ٢٤٧
الكندرة (جبل) : ٢٥٩
كوبهاجن : ٢١٦
كورنثية : ٤٤ ، ١٠٦
كوس (جزيرة) : ٤٤
كوسالا (أوذ) : ١٦٥
كوشان (ملكة) : ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٤
الكوفة : ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٤٢ ، ٢٥٨ ،
٢٥٩ ، ٢٦٣

١٣٠ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ،
١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ،
٢٠٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ،
٢٦٠ ، ٢٦٤
الفرات : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ،
١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٦١ ،
١٨٠ ، ٢٠٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ،
٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٦٢ ، ٢٦٥

فرغانة : ٣٥ ، ١٣٠ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،
١٦٢
القسطاط : ١٩٧
فلسطين : ٤٨ ، ٥٠ ، ٨٦ ، ١٠٠ ،
١٩٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
فيروزشاپور : ٢٦٢ ، ٢٦٣
فيلپوپوليس : ١١٦
ثينا : ٥٤
فينيقية : ١٣١

(ق)

قاسيان : ٢٢٣
القاهرة : ٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٤
قرطاجنة : ١١ ، ٤٨ ، ٥٩
قرطية : ٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٦
القسطنطينية : ٣٥ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٩ ،
٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ،
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٤١ ،
١٧٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩
قشقر : ٨٧
قسط : ٩ ، ١٣٣
قندهار : ١٤٢

٢٩٥

المهاثوبو : ١٧٠
 المحيط الهندي : ١٣٩ ، ١٤٩
 مدراس : ١٥٥
 المدينة : ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٨٥ ، ١٩٠
 ١٩٧
 مرزبان : ١٥٣
 مرو : ٣ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠
 ١٣٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ٢٠٤
 ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢
 ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
 ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٦٤
 مصر : ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧
 ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤
 ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠
 ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٦
 ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨
 ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٢
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢
 ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٠
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٧٣
 ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٤
 ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩
 ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
 مصيصة : ٦٣
 المغرب : ٢٦٣
 مقلوب (جبل) : ١٢١
 مكة : ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨
 ١٣٤ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٧
 مليار : ١٣٦ ، ١٣٧
 منيج : ١١٦
 موزا (نخا) : ١٣٢
 موزيريس : ١٣٨
 الموصل : ١٢١ ، ٢٠٢ ، ٢٢٣
 مونت كاسينو : ٢٦٦

كوماجيني (مقاطعة) : ١٦١
 كيزيكوم : ٢٥٣
 كيليكية : ١٨

(ل)

لاشوم : ٨٠
 لاهاسا : ١٧٨
 لبنان : ١٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠
 لندن : ٦٨
 ليزج : ٤٤ ، ٨٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥
 ٢٢٩
 ليبيا : ٢٠٨
 *
 ليدن : ٢١٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥
 ليكوبوليس (سيوط) : ٢٩
 ليننجراد : ٦٨ ، ٢٢٤
 ليوكي كوي : ١٣٣
 ليون : ٥٤
 ليونتوبوليس (نيتو) : ٤٩

(م)

ما بين النهرين : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢
 ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨
 ٢١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠
 ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٩٤ ، ١١٨
 ١٢٢ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦١
 ١٧٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣
 ٢٤٦ ، ٢٥٧
 ماثورا : ١٥٨
 ماجادها : ١٤١
 ماجاذا : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧
 ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٨
 ماخوسة : ٢٦٥
 ماسرجاسان : ١٥٩
 مالوا : ١٤٢

هزى (الأهواز) : ٨٠

همدان : ١٥١

الهد : ٣ ، ٤ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١١٥ ،
١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤

الهندكوش : ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،

١٦٧ ، ١٧١

هيكاتومييلوس : ١٥١

(و)

وادی القرى : ٩٠

وادی النطرون : ١٢٣

وادی النيل : ١٣٣ ، ١٨٠

(ى)

اليابان : ١٥٨ ، ١٧٥

يثر ب : ١٣٤

يقاتنا : ١٦٧

ايمامة : ٢٥٧

اليمن : ١١٥ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

٢٦٠

اليونا (يونان) : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،

اليونان : ١٢ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٦٠ ، ٦١ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٢٩ ،

١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٦٧ ،

١٧٠ ، ١٧٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣١

ميتابونتم : ٢٥

ميت غمر : ٤٩

ميديا : ٢٥٠

ميسور : ١٦٧

ميسيا : ٣٥

ميليزاجارا : ١٣٦

الميمنة (اليهودية) : ٢١٦

ميوس هرمس : ١٣٣

(ن)

ناندا : ١٦٥ ، ١٦٦

النبط : ١٣٤

نجران : ٩٠ ، ١١٨ ، ١٢٨

نصيين : ١٥ ، ٢١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٥ ،

٩٦ ، ١١٩ ، ١٢٥

نلكنبه : ١٣٨

نهاديا : ٢٦٥

نهر الكنج : ١٦٥ ، ١٧٧

نوابجر : ١٦٢

نوبهار : ٢٠٦

نيقو بوليس (مصطفى باشا) : ٢٩

نيقية : ٢١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤

النيل : ١٣٣

نينوى : ٨٠

النهار : ٢٦٥

نيويورك : ٢٥٠

(ه)

هاليكارناسوس : ٢٥٩

هرات : ١٢٢

هرمز (خليج) : ١٣٢

هرموز أردشيس (الأهواز) : ٨٨

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦٢